الثورة الموريسكية (١٥٦٨م)

أسبابها ونتائجها

إعداد

محمد محمود بدر شلباية

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان /٢٠٠٨م

الجامعة الأردنيــة
كلية الدراسات العليا

التاريخ: ٢٨/٤/٢٠٠٨

نموذج رقم (٢٧)
تسليم رسالة ماجستير جامعية للمكتبة

الدكتور مدير المكتبة

تحية طيبة وبعد...

لقد ناقش الطالب / الطالبة: محمد محمود سعد شليبك ورقمه الجامعي: ٨٠٠٢١٧٨٧

تخصص الماجستير: تاريخ المغرب والأندلس

يوم: الأحد الموافق: ٣٠/٣/٢٠٠٨ ، وكانت النتيجة ناجحا.

عنوان الرسالة (باللغة التي كتبت بها الرسالة)

الثورة المدرسية (١٠٦٨م): أسبابها ونتائجها

نرجو استلام النسخة الورقية التي تمت الموافقة عليها في صيغتها النهائية من قبل المشرف ولجنة المناقشة، ونسخة من الرسالة على القرص المضغوط (CD). وذلك لإيداعها في المكتبة حسب الأصول.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام...

المشرف	رئيس قسم التخصص او نائب رئيس لجنة الدراسات العليا في كلية التخصص	نائب عميد كلية الدراسات العليا
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:
التاريخ: ٨/٤/٢٠٠٨	التاريخ: ٢٠/٤/٢٠٠٨	التاريخ: / /

مواصفات الأقراص المدمجة الخاصة بالرسائل الجامعية

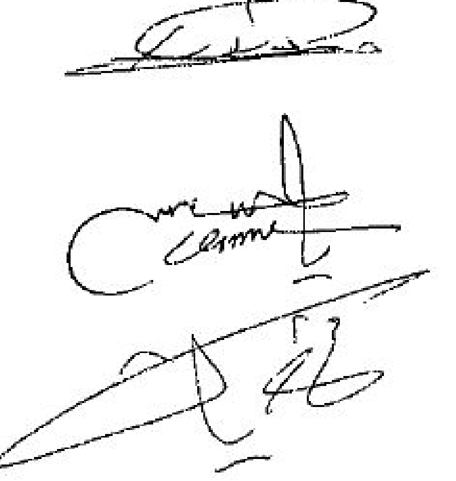
- ان يضم القرص المدمج كافة المعلومات الواردة في النسخة الورقيه من الرسالة وذلك ضمن ملف واحد.
- ان يكون ترتيب الرسالة على القرص حسب ترتيب النسخة المطبوعة ورقيا.
- ان يحتوى القرص على صورة (save as jpg) عن اجازة الرسالة موقعة وموثقة من اعضاء لجنة المناقشة ومعتمدة من قبل الجامعة.
- تخزين الرسالة في ملف اخر على شكل (Acrobat reader PDF) لتسهيل تفعيل الرسالة على شبكة الانترنت ضمن قاعدة الرسائل الجامعية كاملة النص.

علما" انه لن يكون بالامكان توثيق اى رسالة غير مطابقة للمواصفات المذكورة اعلاه.

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الثورة الموريسكية (١٥٦٨م)

وأجيزت بتاريخ : ٢٣ / ٣ /٢٠٠٨م.



أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور محمد عبده حتامله/مشرفا
أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي

الدكتورصالح درادكة/عضواً
أستاذ التاريخ الاسلامي/صدر الاسلام

الدكتوريوسف بني ياسين/ عضواً
أستاذ التاريخ الاسلامي

الدكتور تقي الدين عارف الدوري/ عضواً
أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (**الثورة الموريسكية (١٥٦٨م) أسبابها ونتائجها**)

وأجيزت بتاريخ : ٢٣ / ٣ /٢٠٠٨م.

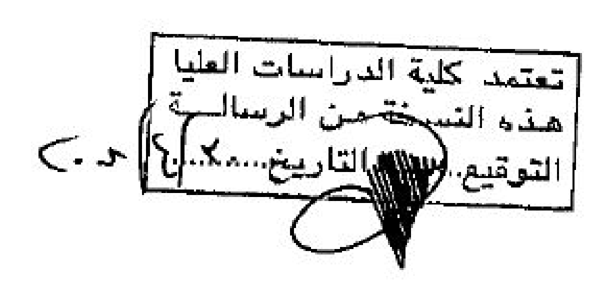
أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد عبده حتامله/مشرفا أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي	
الدكتورصالح درادكة/عضوا أستاذ التاريخ الاسلامي/صدر الاسلام	
الدكتوريوسف بني ياسين/ عضوا أستاذ التاريخ الاسلامي	
الدكتور تقي الدين عارف الدوري/ عضوا أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي	

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الثورة الموريسكية (١٥٦٨م) أسبابها ونتائجها)

وأجيزت بتاريخ : ٢٣ / ٣ /٢٠٠٨م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد عبده حتامله/مشرفا أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي	
الدكتور صالح درادكة/عضواً أستاذ التاريخ الاسلامي/صدر الاسلام	
الدكتور يوسف بني ياسين/ عضواً أستاذ التاريخ الاسلامي	
الدكتور تقي الدين عارف الدوري/ عضواً أستاذ التاريخ الاسلامي/ الأندلسي	



الإهداء

إلى

عميد الدراسات التاريخية الأندلسية

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله.

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث ، وخصه برعايته، والإفادة كثيرا من تجربته وعلمه الواسع في ميدان البحوث الأندلسية كما أود أن أتقدم بصادق الشكر للجنة مناقشة هذه الرسالة .

المحتويات

قائمة الجداول

قائمة الأشكال والصور

الثورة الموريسكية (١٥٦٨م)

أسبابها ونتائجها

إعداد

محمد محمود بدر شلباية

المشرف

الدكتور محمد عبده حتامله

ملخص

تناولت هذه الدراسة الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م، هادفة إلى إظهار أسباب الثورة الموريسكية ونتائجها ، والقيام بدراسة علمية منهجية شاملة والتي حصلت من قراءة الدراسات التاريخية الموريسكية،واعتمادا على العديد من المعطيات الجديدة التي استمدت من الوثائق العثمانية وأرشيف محاكم التفتيش والحوليات التاريخية الأسبانية.ومن خلال المعطيات الجديدة تم دراسة الأوضاع الاقتصادية والثقافية والدينية والأحوال السياسية في أسبانيا وأثرها في قيام الثورة الموريسكية.

وتطرقت الدراسة إلى تحليل موقف القوى السياسية والدينية المعاصرة : الدولة العثمانية ، دول الشمال الإفريقي ،مجاهدو البحر ، والبروتستانت الفرنسيين الثورة الموريسكية. وحاولت الدراسة أيضا أن تجيب عن موقف الدولة العثمانية تجاه المسألة الموريسكية اعتمادا على دراسة الوثائق العثمانية .وتوصلت الدراسة إلى تحديد وتحليل أسباب الثورة، وركزت على تحليل الأسباب الدينية ودورها الجوهري في الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م.

وتحاول هذه الدراسة كتابة تاريخ المسلمين الموريسكيين بعيدا عن السرد العاطفي المثير ،ليتناول جوهر الوجود الحضاري الموريسكي ودراسة أبعاد اختناقه وذوبانه في صلب المجتمع الإسباني، وبيان خطورة وعمق وأهمية هذا الموضوع بالنسبة للتاريخ العربي- الإسلامي.

فهذه الدراسة تبحث في فترة معينة من تاريخ مجموعتين قد عملتا بالفعل على قطع الحوار بينهما .ومن خلال ذلك سوف نلمس في نفس الوقت صيحة انتفاضة الموريسكيين ضد الاضطهاد وندائهم للتسامح. ورائدنا في البحث عن الحقيقة التي هي الاهتمام المشترك لكل الباحثين في التاريخ ، بقطع النظر عن اختلافاتهم إننا نعلم أن هذه الحقيقة هي المعرفة التي ستساهم في صنع الحقيقة التاريخية .

تحاول الدراسة الكشف عن الخلفيات المختلفة للمجادلة (المسيحية – الإسلامية) وإعادة تقييم لتلك المجادلة الطويلة بدقة – والتي سبقت سقوط غرناطة – وفقا لوجهتي النظر (المسيحية – الإسلامية) وبيان أن هذه المجادلة لم تكن فقط على صعيد الدين،إذ هي علاوة على ذلك، ثقافية، وقد كان المسيحيون والموريسكيون يردون على بعضهم البعض ليس فقط باسم العقل، ولكن أيضا تحت ضغط عوامل شعورية مرتبطة بالأحداث السياسية.

وحاولت الدراسة أيضا أن تكشف عن عمق الهوة التي تفصل المجموعتين، (الإسلامية والمسيحية) والذي سيساعدنا بصورة جيدة على فهم الأفكار الأساسية التي راجت يومئذ باسبانيا الدينية منها والسياسية والاجتماعية.

وتحاول الدراسة بيان أن المشكل الموريسكي كان أحد المعطيات الثابتة التي سيطرت على القرن السادس عشر في البحر الأبيض المتوسط، وبيان ارتباطه وتأثيره على البلاد الإسلامية، وحاولت الدراسة الأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد الحقيقة لهذا الجانب وخاصة دور الإمبراطورية العثمانية تجاه المشكل الموريسكي.

وتوصي الدراسة بمتابعة البحث في الدراسات الموريسكية للدراسات والبحوث الجديدة في المشكل الموريسكي، والسعي من منطلق جديد ورؤية شمولية للتاريخ العربي الإسلامي، وحسن ووعي كاملين بالمسؤولية العلمية في دراسة هذه القضايا الجوهرية ،وإيمانهم بوجوب الاهتمام بالتاريخ الموريسكي الأندلسي.

مقدمة

حظيت الدراسات الأندلسية بكثير من الاهتمام لدى الباحثين العرب والأجانب، ولكن الدراسات المتعلقة بالحقبة الممتدة من سنة ١٤٩٢ –١٦١٠ م ،لم تحظ باهتمام الباحثين العرب والتي لم تأخذ بعين الاعتبار التطور الحاصل لعلم الموريسكولوجي عبر العالم .

وقد أخذت البحوث المتعلقة بالدراسات الموريسكية خلال الخمسة عشر عاما الماضية تحظى بالاهتمام من قبل المؤرخين الأسبان، الفرنسيين، والأمريكان، والمغاربة .

وقد تناولت هذه البحوث والدراسات كافة النواحي في تلك الحقبة التي امتدت أكثر من قرن من حياة الموريسكيين بعد سقوط غرناطة آخر معقل للإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية وزوال السيادة الإسلامية عنها، وهجرة الكثير من المسلمين الذين أبوا الخضوع للسلطة الإسبانية .

وبقي كثيرون يعيشون في ظل هذه السيادة، ظناً منهم أن الامتيازات التي حصلوا عليها في ظل معاهدة تسليم غرناطة باقية إلى الأبد وأن السادة الجدد يرعون الذمام ويحافظون على الوعود الخطية التي أخذوها على أنفسهم . ولكن سرعان ما تبدد الحلم ونقضت العهود واحدا بعد آخر بحيث أنه لم تمر ثمانية أعوام على استسلام غرناطة حتى ألغيت كل الامتيازات التي نصت عليها وثيقة تسليم غرناطة .

وما كاد يدخل القرن السادس عشر حتى اضطر مسلمو غرناطة إلى التنصر، ومنذ ذلك الحين أطلق عليهم اسم الموريسكيين،مع أن هذه التسمية موجودة قبل ذلك الحين بأربعين سنة على الأقل ١٤٦٣ م،إذ كان التمييز موجودا بين المسلمين الذين يطلقون عليهم اسم "موروس" والمسلمين المتنصرين الذين يسمونهم "موريسكوس "، وقد قسموا إلى ثلاثة أقسام : موريسكيوبلنسية وموريسكيوأراجون وموريسكيو غرناطة . وقد وزع هؤلاء على المناطق الأندلسية والقشتالية بعد ثورتهم سنة ١٥٦٨ م.

يحاول هذا البحث سد ثغرة في هذا التاريخ الفريد الذي تقل فيه المؤلفات العربية التي تدرس هذه الحقبة بعلمية وموضوعية، حيث يود الكثير من المهتمين بهذا التاريخ أن يعرفوا ما الذي حل بذلك الشعب الحي الذي رفع راية العروبة والإسلام عالية فوق شبه الجزيرة الأيبيرية .

أين هو ذلك الشعب العربي في الأندلس؟ وكيف تم محوه محواً تاما من الوجود؟ بحيث لم يعد لأفراده كيان كأمة على الرغم من أنهم كانوا ولثمانية قرون كاملة أمة متميزة عن سائر الأمم، وما هي ردود أفعالهم إزاء محاولات القهر و الإكراه لطمس معالم عروبتهم وعقيدتهم على مدى مائة وثلاثة وعشرين عاماً بعد سقوط غرناطة؟

أن محاولة الإجابة عن كل هذه الأسئلة وكثير غيرها مما يتعلق بنضال العرب ومقاومتهم وتشبثهم للدفاع عن تراث آبائهم و أجدادهم في الأندلس، تشكل المباحث الأساسية التي تم تناولها في هذا البحث وذلك بأسلوب علمي واعتماداً على الدراسات والبحوث والمعطيات الجديدة للمشكل الموريسكي وأحداثه والتي ظهرت خلال الخمسة عشر سنة الماضية ،ويهدف هذا البحث إلى :

١- دراسة الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨ م من كافة جوانبها في ظل أوضاع القرن السادس عشر الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية الثقافية .

٢- توضيح أسباب الصراع الإسباني والإسلامي وبعده الديني .

٣- تحديد الدور والنتائج الاقتصادية والاجتماعية للموريسكيين في إسبانيا .

ولكي يحقق الباحث في المشكل الموريسكي أهداف بحثه لا بد له من قراءة في الأبحاث والدراسات الموريسكية الحديثة، فقد أصبحت هذه الدراسات أو الموريسكولوجيا كما يسميها البعض، علماً قائماً بذاته وهو علم تاريخي بالأساس يتناول بجميع فروعه بالدرس والتحليل العنصر الموريسكي في فضائه الواسع، واتجاهاته المتعددة، وتفكيره، ولغته وعاداته وتقاليده . ويعتمد أساساً على عناصر العلوم التاريخية من مصادر ومناهج متنوعة ومكملة لمعرفة دقيقة للموريسكيين في واقعهم الاجتماعي وفي زمانهم وتعد الموريسكولوجيا حالياً أكثر من ١٥٠٠ باحث مختص، موزعين على كليات ومعاهد ومراكز بحث مختلفة، يعملون على نشر أعمالهم في حقول علمية مختلفة قاسمها المشترك جميعها الموريسكي .

لقد شهد التاريخ الموريسكي بدايته مع محنة الموريسكيين، فمن الصعب أن نجد في تاريخ أسبانيا كله قضية كقضية الموريسكي، فهي لم تثر اهتمام المؤرخين فحسب ولكن أثارت، وبنفس الحدة اهتمام الشعراء والكتاب المسرحيين والقصاصين والكتاب السياسيين الذين كتبوا كلٌ من تصوره ومنطلقه عن التعميد القسري وثورة وطرد الموريسكيين، وأحداثها وظروفها، ونتج عن ذلك الاهتمام التراكم العلمي الذي يتمحور حول الموريسكيين، بعضه كان معاصراً ولفترة فيليب الثاني، وهي المرحلة التي انهزم فيها الموريسكيين الغرناطيون الثائرون وأبعدوا إلى كل من قشتالة وExtremadura ،ومناطق أخرى من إسبانيا لقد كانت الانطلاقة الحقيقية للتاريخ الموريسكي قبل القرن العشرين بأربعة قرون، ولكن الدراسات الموريسكية عرفت انطلاقتها الفعلية مع منتصف القرن العشرين، ويعزو الباحثون سكوت الباحثين خلال مرحلة طويلة إلى كونهم كانوا يظنون أن الموضوع الموريسكي قد أنهك وابتذل دراسة وبحثاً كما أن أغلب

الأرشيفات الإسبانية والمحلية منها بصفة خاصة لم تفتح أبوابها في وجه الباحثين لاستنطاق واستغلال مادتها الدسمة المؤرخة للموريسكيين إلا في العقود الأخيرة .

ولعله من المهم الإشارة إلى جانب مهم يعكس وبصدق صيرورة وراهن الأبحاث الموريسكية ألا وهو الأبحاث والأعمال البيبليوغرافية،فبعد التراكم الكيفي والكمي اللذين عرفتهما الدراسات والأبحاث الموريسكية في العقود الخمسة الأخيرة أضحى التجمع البيبلوغرافي ضرورة ملحة، أولاً لتثمين المجهودات السابقة ولمواصلتها وإتمامها بأعمال جديدة دون السقوط في التكرار الممل، ولتسهيل الطريق أمام كل مهتم بالحقل المعرفي . وقد حقق فعلاً هذا الهدف الذي كان ينشده الباحثون المختصون،وانتقلت الأعمال من الشمولية إلى الميكرواقليمية، أو غيرها من المحاور التي استند أصحابها في أغلبها إلى ما تمدهم به الأرشيفات الإسبانية من معلومات وإحصاءات دقيقة تساعدهم على القراءة والتأويل واستخلاص نتائج نادراً ما تفند أو تدحض من طرف الدارسين اللاحقين. كما ساعد هذا النوع من الأبحاث على معرفة الأماكن والجهات المتعددة التي تهتم بالموريسكي .

إن الازدهار الذي عرفته بيبليوغرافية الدراسات الموريسكية في العقود الأخيرة اكتسى أهمية بالغة حتى أضحى من الصعب على كل باحث مهتم أن يكون على علم بهذا الكم الهائل من الأعمال التي تظهر يوميا. ومن القراءات في الأبحاث والدراسات الموريسكية تظهر الصعوبات التي تواجه الباحث في المشكل الموريسكي.وتعتبر الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م وما نتج عنها محوراً هاماً في الدراسات في الموريسكية،لأنها حدث بارز في تاريخ إسبانيا القرن السادس عشر يكتسي دلالة مأساوية إذا أخذنا بالاعتبار القرون التسعة التي عاشها المسلمون في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولأنه يعني وما ترتب عليه من نتائج نهاية وحشية للموريسكيين، ولأنها محور كان حاضراً بكل ثقله في الأبحاث والدراسات الموريسكية الإسبانية مما أدى إلى الاهتمام المتواصل بها، وظهور عدد كبير من الأبحاث والدراسات ومنها ما كان معاصراً لنفس فترة فيليب الثاني، وهي الفترة التي شهدت انهزام الموريسكيين الغرناطيين وإبعادهم إلى مناطق أخرى .

وتحاول هذه الدراسة تحليل الانعكاسات السلبية على اقتصاد البلاد كنتيجة من نتائج الثورة، فقد تأثر اقتصاد اسبانيا في جميع القطاعات تأثراً عميقاً نتيجة خروج الموريسكيين منها، وكان أكثرها تضرراً قطاع الحرير والفلاحة، فقد كانت الثورة بحد ذاتها خراباً لهذا القطاع على واجهات عدة، فقد أدت إلى إتلاف كثير من أشجار التوت وحرقها واقتلاعها، وترحيل الموريسكيين وتهجيرهم مما أدى إلى ضياع الأيدي العاملة الخبيرة .

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه حاول أن يفسر أسباب الصراع بين حضارتين متميزتين خلال القرن السادس عشر من خلال الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م، محاولاً إلقاء الأضواء على الأسباب التي أدت إلى اتساع الهوة الحضارية بين العالم الإسلامي وبين الحضارة الغربية .وتحاول أن تجيب عن سؤال : لماذا فعلت اسبانيا ما فعلته بالموريسك؟

مصادر البحث

لقد مر تاريخ الموريسكيين بمراحل مختلفة وشغل مناطق متعددة في أسبانيا ومثل الشغل الشاغل للملوك وحكوماتهم وخلال الفترة من استسلام أبي عبد الله إلى طرد الموريسكيين صدر بشأنهم العديد من المرسومات والقرارات والقوانين واحتلوا قسماً طيباً من المراسلات وكانوا موضوعاً لمشاورات عديدة شغلت حيزاً ضخماً من محاضرات جلسات البرلمان واجتماعات المجالس المحلية والمركزية ولقاءات الملك الكاثوليكي مع مستشاريه من رجال الدين ودون كله في وثائق وسجلات ملأت فراغاً كبيراً في المكتبات القومية ودور المحفوظات ببلاد عديدة واحتفظ بها في مظانها المختلفة وفي بحثنا في أسباب الثورة الموريسكية الكبرى أسبابها ونتائجها اعتمدنا على العديد من القرارات التي أصدرها ملوك أسبانيا والتي اعتبرت لدى بعض المؤرخين من الأسباب المباشرة للثورة: قرارات الملكة خوانا المعتوهة وقرارات الملك شارل الخامس لسنة ١٥٢٨ وقرارات فيليب الثاني لسنة ١٥٦٦م وهي نفس قرارات شارل الخامس التي لم تنفذ. حيث تم الاستفادة منها في تحليل أسباب الثورة من خلال دراسة الأوضاع لدى المسلمين قبل الثورة.

واعتمد البحث أيضاً على أرشيفات القوى السياسية المعاصرة والتي كان لها دور في المشكل الموريسكي مثل أرشيفات محاكم التفتيش الأسبانية والمحفوظة في المكتبات القومية ودور المحفوظات وأرشيف رئاسة الوزراء في استنبول والفرمانات التي أرسلها السلاطين لحكام الشمال الأفريقي وخاصة حكام الجزائر حيث ساعدت في توضيح موقف الدولة العثمانية من المشكل الموريسكي والثورة الكبرى بشكل خاص. وكذلك اعتمدت الدراسة على مراسلات أسبانيا مع سفرائها في الدول الأوروبية و التقارير التي أوردوها لملوكهم عن صدى الثورة في تلك الدول مثل رسالة سفير فرنسا (فوركفور) ورسالة سفير أسبانيا في باريس (فرانسيس دو آلافا).

واعتمد الباحث على العديد من المصادر الأسبانية المبكرة مثل:

١- كتاب "دييجو هرتادو دي مندوثا" Diego Hurtado De Mendoza وهو واحد ممن شهدوا الحوادث وكان بطلاً من أبطالها – أخرج كتاب حرب غرناطة La Guerra De Granada الذي طبع في لشبونة بالبرتغال سنة ١٦٢٦م.

٢- كتاب "لويس دي مارمول كارباخال Luis Del Marmol Carvagal وهو كتاب وثائقي يتضمن الكثير من التفصيلات تحت عنوان "تاريخ تمرد وعقوبة الموريسكين في مملكة غرناطة" Historia De La Rebelion Y Castigo De los moriscos Del Reino' De Granada.

٣- كتاب خينيث بيريث دي هيتا Gines Perez De Hita بعنوان الحروب الأهلية بغرناطة Las Gguerras Civiles De Granada واشتمل على الكثير من الأساطير والروايات والأقاصيص التي لها صلة بالمسلمين والمدجنين والموريسكيين بالإضافة إلى الوقائع التاريخية.

وتؤرخ هذه المصادر لحروب غرناطة إلى سنة تهجير الموريسكين ١٦٠٩م وما بعدها وتتأرجح مواقف أصحاب الحوليات والمصادر التاريخية المعاصرة بين التأييد والمعارضة للقضية الموريسكية دون اقتراح الحلول المتطرفة كالطرد فإن الكتابات التي عاصرت الحدث قبل وقوعه وبعده طبعت كلها بالطابع التبريري محاولة إثبات أحقية قرار التهجير مثلا واعتباره عملاً لا يتعارض والقيم الإنسانية لأنه ضرورة حتمية وخصوصاً في نظر أولئك الذين نشروا مؤلفاتهم قبل سنة ١٦٠٩م.فقد عايشوا تغيير الوضعية العالمية التي تزامنت مع وصول فيليب الثاني إلى العرش.

ففي العقد الخامس من القرن السادس عشر كان الأتراك والبربر يسيطرون على حوض البحر الأبيض المتوسط وبات الموريسكي يشكل خطراً في نظرهم على العرش الأسباني في هذا الجو الذي طبعه العداء للموريسكي ولكل ماله علاقة به أصدرت قرارات نذكر منها قرار ١٥٦٧م الذي يقضي بمنع الموريكسين من استعمال لباسهم ولغتهم وكان هذا القرار الفتيلة الأساسية التي قادت إلى حرب غرناطة (١٥٦٨م-١٥٧١م) حتى أصبح التعايش بين الجانبين مستحيلاً. وبعد هذا الحدث الحاسم وإخماد الثورة وانهزام الموريسكين فكرت السلطات في نقلهم إلى قشتالة....يوم ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩م فقد تمركزت الكتابات المجايلة للحدث حول هذا المحور وانقسمت إلى مجموعتين:

أ- المجموعة الأولى وتعبر عن الموقف المؤيد للقرار وتتمثل في المؤلفين الأسبان الكاثوليك الذين اعتبروا الإجراء عادلاً وذا نفع عام ووقاية من جميع الأخطار التي تهدد العرش الأسباني وهو إجراء من شأنه أن يحقق الوحدة التي ينشرها رجال الكنيسة بالدرجة الأولى ومن بين المؤلفين الذين يمكن إدراجهم ضمن المجموعة الأولى نذكر :
Jaime Bleda, Damian Fonseca, Pedro Aznar Cardona Antonio Corral Rojas .

ب-المجموعة الثانية فعكس المجموعة الأولى كان هؤلاء يعملون على فضح النتائج السلبية لهذا الإجراء لأنه لا يخلو من التطرف الديني ومن النتائج الوخيمة على اقتصاد البلاد إلا أن أصوات المجموعة الثانية لم يكتب لها الذيوع إلا بعد مرور وقت ليس بالقصير

على تنفيذ القرار. ويعد كالديرون دي لا باركا Calderon de La Barca خير من يمثل هذه المجموعة.

وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت أعمال جديدة اعتمدنا في بحثنا على أحدها وهو عمل "هنري تشارلس لي" Henry Charles Lea الموريسكين الأسبان تحويلهم للمسيحية وطردهم. The Moriscos of Spain: Their Conversion and Expulsion والذي اعتمد على وفرة من الوثائق تم تحليلها والاستفادة منها.

وقد ساد الكتابات في هذه المرحلة (القرن التاسع عشر) اتجاهان أيديولوجيان:

١- الاتجاه المحافظ ويعكس موقف المؤيدين الذين تشبثوا بالدفاع عن أحقية الطرد ومشروعيته وموقفهم هذا يحول دون قدرتهم على إبداء أي نقد للقرار ولا يجدون فيه أي دليل يلقي بعتمته على هذا الإجراء.

٢- الاتجاه الليبرالي: وهو اتجاه يتسم بالتسامح أكثر مع القضية الموريسكية وأصحابه أكثر نقداً للسلطة الحاكمة وخاصة سياسة الاستيعاب التي فرضها الملكان الكاثوليكيان عند سقوط غرناطة وأسرة لوس أوستروباس Los Austrias بعدهما. ومن الملاحظ أن الاتجاهان يتطابقان تماماً مع الخطوط العامة للإنتاج التاريخي خلال القرن التاسع عشر ويعكسان التطور الاجتماعي والسياسي الأسباني وانطلاقاً من هذه الكتابات يمكن أن نلمس بعض التغيير في موقف الأسبان إزاء الموريسكي...

وفي بداية القرن العشرين بدأت تظهر المؤلفات التي تشرح أحداث المسألة الموريسكية وتحللها وتنظر إليها من منظور علمي أكاديمي وبدأ هذا المنحى الباحث الفرنسي "فيرناندو بروديل" Fernando Braudel وفي كتابه " البحر الأبيض المتوسط وعالمه في عهد فيليب الثاني 'La Mediterranee et le Monde Mediterraneen a la Epoque de Philippe 11.

وقد صدر بجزأين بباريس ١٩٤٩م وترجم إلى الأسبانية واعتمدنا أيضاً على ملخص مترجم إلى العربية (المتوسط والعالم المتوسطي) ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث كتاب " الموريسكيون في مملكة غرناطة" Los Moriscos del reino de Granada ومؤلفه خوليوكارو باروخا(Julio caro Baroja) وقد صدر بمدريد سنة ١٩٧٦م ولجأ البحث إلى بعض الدراسات المتخصصة التي تدرس جانباً واحداً من المشكلة مثل كتاب "بدرو لونجاس" Pedro Longas الحياة الدينية عند الموريسكيين Religosa los Moriseos الذي صدر بمدريد سنة ١٩١٥م وتم تعريبه وتظهر أهميته في دراسته للآداب الموريسكية المدونة بلغة وكتابة الموريسكيين.

ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث بصورة أساسية عمل الباحث الفرنسي لويس كارديالك :"موريسكيين ومسيحيين مجابهة جدلية ١٤٩٢-١٦٤٠"

وقد صدر بالفرنسية في باريس سنة ١٩٧٧ وترجم إلى الأسبانية ونشرت الترجمة في مدريد ١٩٧٩م وترجم إلى العربية حيث ترجمه عبد الجليل التميمي وكتاب هورتز وبنشت تاريخ مسلمي الأندلس وقد تحدثا عن الثورة الموريسكية الكبرى وقدما تحليلاً لكل جوانبها: مراحل الثورة وميزة كل مرحلة أسباب الثورة، المناطق التي شاركت في الثورة والمناطق التي لم تشارك زعماء الثورة نتائج الثورة.

لقد عرفت الدراسات الموريسكية انطلاقتها الفعلية مع منتصف القرن العشرين حيث بدأ الاهتمام بالأقليات والمهمشين بالإضافة إلى الصراع بين Sanchez Albornoz و Americo castro حول الحقيقة التاريخية لأسبانيا.

وقد بدأت الأبحاث تتابع بوتيرة سريعة ولن نستطيع أن نثمن هذه الأعمال نظراً لوفرة عددها وتشعب محاورها إلا من خلال النقاط الآتية:

١- التوجهات والخطوط المنهجية المعتمدة في هذه الدراسات :

أ- توجه تاريخي بمفهومه الواسع ويهتم بالدرجة الأولى بكرونولوجية الظواهر لدراسة الموريسكي في وقته ومحيطه وزمانه وربطها بالأوضاع السياسية والاجتماعية وهو توجه متشعب تنبثق عنه محاور مختلفة يتناولها الباحثون بالدرس والتحليل ومن تلك المحاور: المصادر المؤرخة للموريسكين الفلاحة، التغذية، الهندسة المعمارية، العلوم، السكان، القانون، اللهجات، الهجرة، الطرد، الضرائب، الأساطير، السحر وعلم المسكوكات. وفي هذا التوجه يندرج الموريسكولوجيين.

ب-توجه ثقافي : ويركز فيه الباحثون على التعبير الموريسكي أداة و نصاً وتنصب فيه دراساتهم على لغات الموريسكيين العربية والرومانسية وأدبهم.

وعموما فان التوجهين يعكسان مواقف الموريسكولوجيين اتجاه الإنسسان الموريسكي وهذه المواقف وإن تباينت فإنها لا تحول دون الدفع بالأبحاث الموريسكي إلى الأمام لأن الاختلاف ناتج بالدرجة الأولى عن كل من الفريقين حول التوجهين معاً على مناهج متباينة وفق العلوم التي ينطلقون منها داخل التراث المشترك للعلوم الإنسانية والتاريخية وهي في مجملها مناهج ثلاث:

- المنهج التاريخي وهو السائد في تلك الدراسات التي تتناول تاريخ الموريسكي في جهته وإقليمه وتاريخ السكان والتاريخ الاقتصادي وهو المنهج الذي يعتمده أغلب الباحثين المنتمين إلى مختلف كليات التاريخ التي تهتم بالدراسات الموريسكية.
- المنهج الفيلولوجي وهو ما يعتمده دارسو اللغة الأعجمية والأدب الأعجمي الموريسكي ويعمل أصحابه على تحليل النصوص وتوثيقها ونشرها.
- المنهج الأيديولوجي وينصب اهتمام الباحثين فيه على الفكر والثقافة والدين والعلاقات الإسلامية المسيحية والمعتقدات الإسلامية.

٢- الأبحاث والأعمال البيبليوغرافية: لقد ازدهرت الدراسات والأبحاث الموريسكية في العقود الخمسة الأخيرة وأضحى التجميع البيبليوغرافي ضرورة ملحة أولا لتثمين المجهودات السابقة ولمواصلتها وإتمامها بأعمال جديدة ولتسهيل الطريق أمام كل مهتم بهذا الحقل المعرفي.

٣- المراكز والمعاهد والمجلات المتخصصة والأنشطة العملية في الدراسات الموريسكية وهي المرآة الحقيقة الثالثة التي تنعكس فيها أهمية هذه الدراسات وتطورها والمحاور المتناولة فيها والمجهودات المثمرة المتواصلة والإهتمام المتزايد بها ن طرف الباحثين ومنظمي اللقاءات ومديري المجلات.

ومن المراكز العربية المتخصصة في الدراسات الموريسكية:

مركز الدراسات والأبحاث العثمانية والموريكسية: الوثائق والمعطيات

CEROMDI: Centro de Estudios e Investigocion Otomana Y Morisca Y de Documentacion Informacion.

الذي أنشأه ويتولى إدارته عبد الجليل التميمي.

وبعد العقد الثامن من القرن العشرين تزايد الاهتمام بالموضوع الموريسكي تحت تأثير العوامل الأربعة الآتية:

- التطور الذي عرفته الدراسات الإسلامية في أسبانيا وخاصة دراسة الأدب الأعجمي الموريسكي.
- انضمام العديد من المؤرخين العرب لهذا النوع من التخصص.
- انضمام المستعربين الأسبان إلى الدراسات الموريسكية.
- أطروحة Luis Cardaillac التي وضعت الجانب الإسلامي في وسط القضية الموريسكية.

وأما المراجع العربية التي اعتمد عليها البحث: أعمال المـؤتمرات مثـل مـؤتمر الدراسـات الموريسكية الخامس حيث خصصت في بعض أعماله وبحوثه دراسة جوانب مهمة في المـشكل الموريسكي والثورة الموريسكية الكبرى ومنها دراسة ارتباط حركة مجاهدي البحـر بخـروج المسلمين من الأندلس ودورهم في الثورة الكبرى وكذلك الاعتماد على العديد من المقالات التي اهتمت بدراسة المشكل الموريسكي وبالتحديد ثورتهم الكبرى مثل: المجلة التاريخية المغربيـة، مجلة التاريخ العربي، مجلة الأصالة الجزائرية، وأعمال الندوات مثل ندوة الموريـسكيون فـي المغرب التي اعتمد فيها البحث على تحليل الأسباب الاقتصادية للثورة ونتائجها علـى صـناعة الحرير وتركيزها على توضيح البعد المغربي في السياسة الأسبانية تجاه الموريسكيين.

ومن المراجع المهمة التي تم الاعتماد عليها في البحث وعالجت الثورة الموريسكية كتاب محمد عبد الله عنان "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين" حيث ترجم بعض الرسائل المتبادلة بين الموريسكيين وسلاطين المغرب والعثمانيين "رسالة ابن عبو إلي مفتي القسطنطينية".

وكتاب عادل بشتاوي " الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطـة تحدث فيه عن الأصول القوطية في شبه جزيرة أيبيريا وعن تطور ممالك الشمال وعن تـأثير العوامل الخارجية والداخلية في سقوط الأندلس ثم تحدث عن الثورات الأندلسية من حيث أسبابها ونتائجها وعن نفي الأندلسيين الموريسكيين، مبرراته ووجهته ونتائجه وخصص فـصلا عـن محاكم التفتيش.

وأيضا كتاب المسلمون المنصرون للباحث عبد الله محمد جمال الدين حيث ركز كتابـه علـى دراسة تاريخ الموريسكيين وأدبهم واعتمد على الكثير من الدراسات والبحـوث التـي عالجـت المشكل الموريسكي وقد اعتمد بشكل أساسي على كتـاب هـورتز وبنشـت وتحتـل الثـورة الموريسكية جزءاً كبيراً من عمله حيث تتبع مراحلها وحاول تحليل أسبابها والنتـائج المترتبـة عليها وعلى طرد الموريسكيين.

ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث أيضا بحوث ودراسات الكتـاب المغاربـة التـي عالجت الثورة الموريسكية من كافة جوانبها: سياسة ملوك أسبانيا وقـراراتهم أسـباب الثـورة الموريسكية الكبرى وأشارت إلى تأثير نتائج الثورة على المغـرب العربـي وعلـى التركيـب السكاني في أسبانيا مثل الأندلسيون وهجراتهم في القرن السادس عشر والسابع عـشر لمحمـد رزوق.

ومن المراجع المهمة التي عالجت الثورة الموريسكية من جهة موقف الدولة العثمانية والـشمال الأفريقي منها اعتماداً على دراسة واعية وشاملة للوثائق كتب وبحوث عبد الجليـل التميمـي:

الدولة العثمانية وقضية الموريسكين الأندلسيين وقد عالج أيضا المشكل الموريسكي في العديد من المقالات في المجلات (المجلة التاريخية المغربية) والمؤتمرات (المــؤتمر العــالمي للدراســات الموريسكية والعثمانية) وأيضا عالج عبد الواحد ذنون الثورة الموريسكية الكبرى من كل جوانبها في كتابه "حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة" وكذلك أسعد حومد في "محنة العرب في الأندلس" الذي اعتمد على كتب معاصرة للأحداث ومذكرات شهود عيــان للثورة حيث تتبع جميع مراحل الثورة ومعاركها وأحداثها تفصيلاً وغيرها من المراجع.

التعريف بالموريسكيين

سقطت آخر دولة للمسلمين في الأندلس سنة ٨٩٧هـ-١٤٩٢م عندما استسلم أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة ووافق على تسليم البلاد للملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا ولكن الشعب المسلم ظل موجوداً بهذه البلاد يمثل عنصراً مهماً من عناصر السكان في الدولة المسيحية الجديدة تنظم حقوقه وواجباته اتفاقية وقعها الجانبان: الإسلامي والمسيحي وقدم الجانب المسيحي المواثيق والأيمان المغلظة وتعهد بضمان احترام بنود تلك المعاهدة بكل ما يتصور من وسائل لكن لم يمض على ذلك سنوات معدودات حتى نقضت مواد الاتفاقية واحدة وراء الأخرى وتعرض المسلمون لمعاملة قاسية وعنيفة وأهينوا وعذبوا وصودرت أموالهم واغتصبت ممتلكاتهم وأهدرت حقوقهم بل وفرض عليهم فرضا أن يتنصروا وعرفوا في المجتمع المسيحي باسم خاص بهم هو اسم "الموريسكيين" و "الموريسكي" (E Morisco) تصغير لكلمة "المورو" (El Moro) يعني المسلم، فالموريسكي كلمة يقصد بها المسلم الصغير أو المسلم الحقير الذليل(١) وقد أصبحت علماً على هؤلاء الذين حملوا على الدخول في النصرانية كما أطلق عليهم كذلك المسيحيون الجدد (Los Cristianos Nuevos) تمييزا لهم عن المسيحيين القدامى (Los Cristianos Viejos) الذين كانوا يؤمنون بالمسيحية أو الذين اعتنقوها قبل انتهاء الدولة الإسلامية من شبه الجزيرة الآيبيرية.(٢)

ويتفق المؤرخون على لفظة Moriscos استعملت بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ولكن بعض الباحثين يساءلون عن أن إمكانية وجود (الظاهرة الموريسكية) قبل سنة ١٤٩٢م حيث يرى سيمون الحايك أن هذه التسمية كانت موجودة قبل السقوط بأربعين سنة على الأقل إذ أننا نستطيع ردها إلى عام ١٤٦٣م إذ كان التمييز موجوداً بين المسلمين الذين يطلق عليهم الأسبان اسم "موروس" والمسلمين المتنصرين الذين يسمونهم "موريسكوس" (٣) ولكن الباحث محمد عبود يتساءل عن إمكانية وجود الظاهرة الموريسكية وبصفة أدق منذ سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.(٤)

---

(١) انظر: هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس.الموريسكيون(حياة ومأساة أقلية)،مصر، ترجمة عبد العال طه،١٩٨٨، ص ٢٣.

(٢) عبد الله محمد جمال الدين،المسلمون المنصرون، القاهرة،١٩٩١، ص ٣. آيبيريا(Iberia) :هي الأندلس وأول من أطلق على أيبيريا هذا الاسم هم الإغريق ثم سماها الرومان:سبانيا Spaina أو إسبانيا Hispania وأصل هذه التسمية فنيقي.محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ج ١، ص ١١.

(٣) الحايك ، سيمون، المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية الدراسات الموريسكية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة في أسبانيا ص ٢٥.

(٤) عبود، محمد، << الموريسكيون في نهاية عهد دول الطوائف من خلال النصوص التاريخية الأندلسية>>. مقال بمجلة البحث العلمي العدد ٣٥، سنة ١٩٨٥م، ص ٣١-٤٨.

لقد كان الموريسكي في عرف الأسبان المسلم الذي دخل حديثاً "المسيحيون الجدد". لكن المسلمين خارج أسبانيا لم يستعملوا هذه الكلمة قط فهو بالنسبة لهم في جميع الحالات "أندلسي" غير أنهم يستعملون في بعض الوثائق لفظ <<الغرباء>>.([1])

لقد أصبح الموريسكيون في عرف المؤرخين والباحثين اسم يطلق على الأسبان المقيمين في أسبانيا والذين كان يعلن رسمياً أنهم مسيحيون خلال الفترة ما بين ١٥٠٢م –١٥٢٦م. ([2])

لقد استعمل في أول الأمر أثناء الصراع الأخير بين المسيحيين ومملكة غرناطة([3]) للدلالة على من كان يدخل في طاعة ملوك النصرانية من أهل إقليم غرناطة ثم أطلق على مسلمي غرناطة أجمعين عندما سقطت ١٤٩٢م في أيدي ملكي قشتالة([4]) وليون([5]) ، ثم حل محل لفظ "مدجن" خلال القرن السادس عشر في الدلالة على من بقي من العرب في الأندلس سواء منهم من ظل على دينه أو من تنصر وسواء كانوا يعيشون في الممالك التي سيطر عليها المسيحيون من قبل مثل بلنسية وأرغون(Aragon) وغيرهما أم كانوا يعيشون في الأندلس الجنوبي بأقاليمه المختلفة.([6])

([1]) رزوق ، محمد ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب. الدار البيضاء،١٩٩١، ص ٢٥ والغرباء في اللغة تعني الأباعد وتعني <<المنفيين>> وتعني الذين يشعرون بالغربة وسط محيط مغاير لهم >> وكلها تنطبق على المسلمين المتنصرين في الأندلس بعد سقوطها فهم غرباء دينياً وحضارياً عن المجتمع المسيحي الغالب وهم بحكم المنفيين لأنهم غدوا محكومين بأهل دار الحرب كما قد يكون لفظ الغرباء مستمداً من الحديث الشريف عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغرباء فقال :<<أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء>>.

([2]) هوس ، اندرو ، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ص ٣١٨، بوشرب، أحمد ، مغاربة في البرتغال...، ص ١٢٩.

([3]) غرناطة(Granda):مدينة يرى بعض الباحثين أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة اللاتينية Granata ومعناها الرمانة والتي أصبحت شعار غرناطة التاريخي.محمد عبده حتاملـه، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، عمان،١٩٩٩، ج٢،ص٧٢١.

([4])قشتالة(Castilia): إحدى الممالك النصرانية التي أنشئت في شبه الجزيرة الأيبيرية تقع بين النافار وليون وقد أشارت مصادر المؤرخين والجغرافيين المسلمين إلى موقعها ونشأتها وعلاقتها مع الممالك النصرانية الأخرى وخاصة النافار وليون.

حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢ص٨٤٢.

([5]) ليون(Leon):مدينة ومملكة من ممالك النصارى في شمالي شبه الجزيرة الأيبيرية.حتامله، محمد عبده،موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص٩٧٤.

([6]) فضل، صلاح ، ملحمة المغازي الموريسكية ، دراسة في الأدب الشعبي المقارن ، ط٢،القاهرة،١٩٩٢، ص ١٣.

وكان هذا التمييز واضحاً لدى عامة الكتاب والمؤرخين الأسبان، " إن عرب بلنسية مثلهم في ذلك مثل من بقي في قطلونية وأرغون وقشتالة ظلوا خاضعين لملوكنا حتى ارتفعت في غرناطة أعلام إيزابيل وفرناندو فاستدار مؤشر الزمن معلناً انتهاء صفة المدجنين وبداية ظهور صفة أخرى هي التي تتضح في لقب الموريسكيين".([1])

لقد كرس الأسبان هذا الوصف القدحي المحرف عن المدجنين بل سحب الأسبان المتعصبون لقب الموريسكيين على جميع الأندلسيين حتى المدجنين القدامي بل وحتى أبي عبد الله آخر ملوك بني نصر الذي لقب بالملك الصغير El Rey chico .([2])

ولم يكن الأندلسيون المهاجرون أو الباقون في شبه الجزيرة الإيبيرية يقبلون هذا اللقب أو يستعملونه وإنما يسمون أنفسهم أندلس– دون ياء النسب– أو غرناطيين أو أهل غرناطة كما نجد ذلك في كتب الحسن الوزان وأحمد بن قاسم الحجري ومحمد بن عبد الرفيع وإبراهيم غانم وغيرهم وكلهم أندلسيون مهاجرون وكذلك في الوثائق والكراريس التي عثر عليها باللغة العربية أو الإلخميادية. ([3])

([1]) Janer, Florencio, Condicion Social de los Moriscos de Wspana, Madrid 1857. pag 15.
عن: صلاح فضل ، ملحمة المغازي الموريسكية ، ص ١٤.E

([2]) حجي ، محمد ،الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب العربي، سلسلة ندوات الموريسكيون في المغرب، الندوة الثانية، ص ٥٩.

([3]) المرجع نفسه، ص ٥٩-٦٠.

الدراسات السابقة

إن دراسة موضوع الموريسكيين وثورتهم الكبرى يعد أحد المواضيع الشائكة والمعقدة في التاريخ الإسلامي والتاريخ الأسباني على حد سواء وأنه على الرغم من دقة هذا الموضوع وخطورته فما زلنا نجهل الكثير عن هذا الموضوع وأبعاده المختلفة.

ومن رجوعنا لمصادر دراسة الثورة الموريسكية الكبرى نرى أن العاملين في حقل الدراسات الأندلسية السابقة للسقوط قد غطوا مختلف الأوجه السياسية منها والأدبية والحضارية وهذا خلافاً لفترة ما بعد السقوط وخاصة أهم هذه الأحداث وأخطرها المتمثل بالثورة الموريسكية الكبرى حيث لا نجد في الساحة العربية والإسلامية سوى قلة نادرة من الباحثين تعد على الأصابع قد اهتموا بهذا الموضوع وأولوه عنايتهم.

ونلاحظ أن الباحثين والمؤرخين العرب- المسلمين اليوم يسعون من منطلق جديد ورؤية شمولية للتاريخ العربي-الإسلامي وحس ووعي كاملين بالمسؤولية العلمية المناطة بعهدتهم التصدي لدراسة هذه القضايا الجوهرية إيماناً منهم بوجوب الاهتمام بالتاريخ الموريسكي-الأندلسي واشراك المجامع والمراكز العربية في تأطير المعرفة والعمل على إبلاغها وتعميم فائدتها لتاريخنا وحضارتنا ولعل أهم الدراسات السابقة التي كتبت عن الثورة الموريسكية:

- حتاملة، محمد عبده.
- الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، عمان- الأردن، ٢٠٠٠م.
- التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيليب الثاني (١٥٢٧-١٥٩٨م). ط١ الجامعة الأردنية عمان، ١٩٨٢.
- التنصير القسري لمسلمي الأندلسفي عهدي الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤-١٥١٦)، ط١، ١٩٨٠شركة المطابع النموذجية،عمان- الأردن.

- حومد ، أسعد محنة العرب في الأندلس ، ط٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨٨.
- بشتاوي ، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، منشورات دار أسامة، القاهرة، ١٩٨٣.
- رزوق، محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأقصى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، الرباط، ١٩٨٩.
- جمال الدين، عبدالله، المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون : صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس، القاهرة، ١٩٩١.
- الكتاني، علي المنتصر، ثورة غرناطة الكبرى، (١٥٦٨-١٥٧٠)، مجلة التاريخ العربي العدد السادس عشر ، أسبانيا، ٢٠٠٠م.

وتشترك معظم هذه الدراسات بالاهتمام بهذه الفترة الزمنية والكتابة حولها، وتشترك معظمها في أنها اتبعت أسلوب السرد الحدثي بشكل مثير وعاطفي وحاولت أن تحيط بموضوع الثورة الموريسكية من جميع جوانبه (الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للموريسكين خلال القرن السادس عشر وتحديد أسباب الثورة والنتائج الاقتصادية والسياسية والسكانية المترتبة على الثورة وتتميز بعض الدراسات السابقة (حتاملة، التهجير القسري، الأندلس) اعتمادها على مراجع أسبانية معروفة وأرشيفات دواوين محاكم التفتيش وضبطه العلمي والصحيح والمطابق للإعلام والأماكن الجغرافية ووضع كشاف لها.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن أغلب الدراسات اتجهت في تفسير أسباب الحوادث التاريخية الأندلسية إلى التبسيط كتفسير سقوط غرناطة (الترف المادي والرخاء والنعيم وإهمال الدين وعدم أخلاقية المسؤولين وخيانتهم للقيم الإسلامية وترك العلماء لواجبهم الديني والأخلاقي)

وتفسير أسباب فشل الثورة الموريسكية ب (خيانة البعض والصراع على السلطة). بينما ترى دراسات مثلاً (رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم) أن الأسباب الحقيقية أعمق من ذلك بكثير إذ هي تترجم عن حتمية لواقع سياسي عسكري بدأ يفرض نفسه على الطرف العربي منذ القرن الثالث عشر الميلادي وهنا ما يعكس عدم قدرة العرب المسلمين يومئذ على وضع أعدائهم في مواقعهم الصحيحة على جميع المستويات: السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية والدينية وعلى الخصوص فهم وإدراك الإستراتيجية التي أنتهجها الملوك والساسة ورجال الدين الذين أعماهم التعصب وعدم التسامح مع كل الديانات الأخرى غير المسيحية والكاثوليكية على وجه التحديد

واعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات التي تم تعريبها ونشرها:

١- أندرو، هيس، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى، دار السلاسل،الكويت، ١٩٨٤.

٢- كاردياك، لوي، الموريسكيون-الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية ١٤٩٢-١٦٤٠ مع ملحق لدراسة عن الموريسكيين بأمريكا تعريب عبد الجليل التميمي، ط٢٥، منشورات سيرمدي، زغوان، ١٩٨٩م.

٣- هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون، حياة ومأساة أقلية، ترجمة عبدالعال صالح طه، ط١، دار الإشراق، ١٩٨٨.

٤- لونفا، الحياة الدينية للموريسكين، تعريب جمال عبد الرحمن منشورات سيرمدي- زغوان، ١٩٩٣.

أشار هيس في تحليله لأسباب ثورة الموريسكين إلى أن اتجاه تاريخ أسبانيا الأوروبي في أوائل العصر الحديث هو المسؤول عن التفسير المحلي للثورة وأنه جزء من هجوم أكبر على الكنيسة والدولة. بينما يرى هورتز وبنثنت أن القرن السادس عشر يعطينا سبعة تواريخ تقسم القرن إلى

ست وحدات تعطي فكرة عن مدى تعقد مأساة الموريسكيين وهو ما يتفق عليه الكثير من المؤرخين ويتفق هؤلاء المؤرخون على عدم إهمال رؤية التاريخ الديني التي تشكل اساس وجوهر أسبانيا خلال القرن السادس عشر وهي أسباب الكراهية بين الطرفين حسب (الكارديك).

نلاحظ في الطرف المقابل الغربي للدراسات الموريسكية عشرات الباحثين والمختصين لفترة ما بعد السقوط حيث تعددت مراكز البحوث في أوروبا وأمريكا ونتج عن ذلك مئات الدراسات والكتب التي ظهرت بلغات أجنبية وتناولت هذا الموضوع استناداً إلى مختلف الأرصدة الأرشيفية في أسبانيا والبرتغال وتركيا فضلاً عن المخطوطات الإلخميادية والتي توزعت في مختلف المكتبات في أوروبا:

- F.Braudel,El Mediterraneo Y el mundo mediterraneo en La epoca de Felipe II, 2 Vols. Mexico,1953.
- Garrad, K, ; "La Inquisixon Y los morisxos granadinos", Bulletin Hispanique, LXVII, 12, 1965/
- Garcia Arenal, Mercedes: Los Moriscos, Madrid, 1975-;Los Moriscos de Cuenca Y La Inquisicion, tesis inedita, Madrid, 1974.
- Lapeyre, Henri, Geographie de L'Espagne morisque, paris, 1959.
- Le Flem , Jean Paul, "Les morisques du Nord-Ouest de I 'Espagne en 1594, d'apres un recensement de L'Inquision de Valladolid " Melanges de la Casa de Velazquez , I 1967.

تمهيد :

كانت ضرورة الصراع ضد المسلمين من أجل البقاء هي التي جعلت أسبانيا المسيحية أمة فقد حققت أسبانيا ذاتها فيما سمته حرب الاسترداد .

سقطت مدينة غرناطة([1]) آخر دولة للإسلام في الأندلس بعد حصار طويل من طرف النصارى القشتاليين بتاريخ (٢-١-١٤٩٢م) وذلك بعد أن وقع فرناندو الكاثوليكي وكبار رجال دولته وثيقة تتضمن (٤٧) بنداً ضمن فيها حقوق المسلمين كاملة .

غير أنه بعد مضي سنوات أظهر حكام قشتالة غدرهم ونقضهم لبنود المعاهدة واحداً تلو الآخر ، إلى أن قرروا تنصير جميع الأندلسيين، بالضغوط المختلفة ، مما أدى إلى أول ثورة للمسلمين سنة ١٥٠٢م ثم بدأت محاكم التفتيش بملاحقة المسلمين والتجسس عليهم ومعاقبتهم أشد العقوبات ([2]).

ومات فرناندو في ١٥١٦/١/٢٣م وكانت زوجته ايزابيلا قد هلكت قبله في ١٦/ ١١/١٥٠٤م وخلف فرناندو على ملك أسبانيا حفيده شارل الخامس فتنفس الأندلسيون الموريسكيون الصعداء إذ واجههم الملك الجديد في أول أمره بشيء من اللين وخفف حدة محاكم التفتيش بعض التخفيف لكن هذا الوضع لم يدم طويلاً، حيث تحولت أوضاع الأندلسيين الموريسكيين من جديد إلى الأسوأ ففي سنة ١٥٢٤م ففي ١٥٢٤/٣/٢٢م أصدر شارل الخامس مرسوماً جديداً يحتم فيه تنصير كل مسلم بقي على دينه وإخراج من أبى التنصير من أسبانيا بعد مصادرة كل أملاكه، وأن يعاقب من أبى التنصير أو الهجرة في المهلة المحددة بالرق مدى الحياة وأن تحول جميع المساجد المتبقية إلى كنائس مع إجراءات تعسفية منها :منع التكلم باللغة العربية، ومنع الألبسة الأندلسية، ومنع كل المظاهر الثقافية للأمة الأندلسية([3]).

وبعد توسلات الموريسكيين إلى شارل الخامس وطلب الرأفة منه ودفع ما لا يقل عن ثمانين ألف دوقة ذهبية له ولأعوانه، قبل تأجيل تطبيق القانون الجديد لمدة أربعين سنة مقابل دفع الموريسكيين غرامة سنوية باهظة .وعندما مات شارل الخامس سنة ١٥٥٥م وخلفه ابنه فيليب الثاني انتظر إلى سنة ١٥٦٦م بعد مضي الأربعين سنة، فقرر تطبيقه بكل صرامة، ففي مايو من السنة المذكورة جدد القانون الذي وضعه شارل الخامس والذي جدده فيليب الثاني للموريسكيين ثلاث سنين لترك اللغة العربية تماماً،والتكلم باللغة الإسبانية، وتلغى فوراً كل العقود المكتوبة

([1]) غرناطة:مدينة،يرى بعض الباحثين إلى أن اسمها يرجع إلى عهد الرومان، وأنه مشتق من الكلمة اللا(Granata) ومعناها الرمانة والتي أصبحت شعار غرناطة التاريخي، محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية،ج٢،ص ٧٢١.

([2]) ذنون، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة،ط١، ص١٠، ١١.

([3]) محمد عبده حتاملة، الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة (دراسة شاملة) ، ص ٧٣٧.

باللغة العربية ويسلم كل ما تبقى من كتب بالحروف العربية لحرقها وذلك في ظرف شهر واحد وتمنع خياطة أو لباس اللباس العربي،......الخ([1]).

وأعلن هذا القانون الجديد بتاريخ ١/١/١٥٦٧م، وجاءت بعض الأحداث لتشعل نار الثورة الموريسكية والتي لم يبق أمام الموريسكين إلا إعلانها في ١٥/ نيسان ١٥٦٨م ([2]).

([1]) محمد عبده حتاملة ، الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة (دراسة شاملة)، ص ٧٦٩.
([2]) محمد عبده حتاملة ، الأندلس،التاريخ والحضارة والمحنة (دراسة شاملة)، ص ٧٧٠.

جغرافية الثورة

كان الموريسكيون في ثورتهم الكبرى يستفيدون بشكل جيد من جغرافيــة الأرض ويتحــصنون بالأماكن المنيعة ويتخذونها لعمليات سريعة وجريئة.(١) ويلاحظ تأثير وعورة الأرض الجبليــة في تكتيك الثوار منذ البداية وذلك بفشل "دي مندوجر(Manddusar) " في حملاته في مرتفعات "بقيرة" و"قريرة"(٢) حيث كان الموريسكيون يتمركزون بمواقع لها أهمية استراتيجية من جبــال الأندلس:"لاس بنيتوس" "غواخرس" الواقعة حول حوض "جوخر الأعلى" وجبل "فريخليانا" وهــو من سلسلة جبال "بنتوميث" ونذكر أيضاً جبل "ايناكس" والربوة المستديرة "رســتابال" وحــصن "اربوتا" في سلسلة جبال "رندة" (٣) حيث كان الموريسكيون يخرجون من هذه القلاع والجبــال لتوجيه ضربات ثم يهربون من المجموعات المعادية محتمين بظهور هذه القــلاع والجبــال.(٤) وكانو يطبقون حرب العصابات ويتجنبون اقامة معركة في ارض مكشوفة وكان محمد بن أمية يتحصن بقواته في الممرات الجبلية الوعرة وقد تمكنت قواته من حرب الجبــال ومفاجآتهــا.(٥) ووزع المجاهدين وفرقهم في ضواحي المريــة ووادي المنــصورة ووادي آش ووادي شــنيل ومرج غرناطة ووادي الإقليم وجبال البشرات(٦) وجبال منتماس شرق مالقة ومنطقة رنــدة.(٧) واتخذ ابن فرج له مواقع منيعة في أعماق الجبال وأرسل رســلاً إلــى كافــة الــبلاد يــدعون الموريسكيين إلى خلع طاعة النصارى والعودة إلى اعتناق الدين الإسلامي.(٨)

والتحق ابن أمية ببرننار "وادي لكرين" (Beznar) ونودي به ملكاً في السابع والعــشرين مــن كانون أول عام ١٥٦٨م(٩) على: اجيجر(Ugijar) وفيرتشيل(lihvere) وفــالور المرتفــع (Valor el alto) وفالور المنخفض (Valor el Bajo) وغــواخرس المرتفــع(Guajares Altos وغواخرس المنخفض(Guajares Bajos) واندرش(Andarax) وكورها، و مــرتش(Murtas)، و طرن (Turon) و البونيــسيلاس (Albunicelas)، ولانجــرون (Lanjaron) وقــانيلس (Caniles) والزيتــون (Aceitun) و قــسطل دي فــرو(Castell de Ferro)

(١) هورتز وبنشت، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ط١ ،قطر، ١٩٨٨، ص٤٤..
(٢) المسلمون المتنصرون ، ص ١٠٠.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٠
(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٠
(٥) المرجع نفسه، ص٩٥
(٦) البشرات (Alpujarras):سلسلة جبال تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة وتلفظ أيضاً البشارات وهــي تحريــف لكلمــة sierras الأسبانية أي سلسلة جبال.حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج١، ص ٢٥٥.

(٧) علي المنتصر الكتاني، ثورة غرناطة الكبرى (١٥٦٨- ١٥٧٠)، مجلة التاريخ العربي، العدد١٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،ص٣١٢.
(٨) Julio caro BAroja : LOs moriscos , p. 173 -180,del Reino de Granada,Ensaye de historria social ,Madrid, 2ed.,Istomo,1976,p;173- 180..
(٩) Marcelino Menendez Y Pelayo, Historia de Espana, Madrids 1941, pag, 149.

والمنثاتا (Almanzata, واوهـــانس (Ohanes) وفيلـــيس (Fieles) وشـــنتفى(Santa Fe) والحامة الجافة (Alhama La Seca) وغويثخـــا (Guecija) وفيلـــيش (Felix) وآيـــويكس (Yuix) وبقار (Bicar) ودرقال (Durcal) واوراقا(Uraca) وغومث (Jumitih) وعلي لا دي برشينا (Uley La de Purchena) وعلي ديل كامبو (Uley La del campo) [1] مضافاً إلى ذلك نهرا المرية والمنصورة وأماكن عديدة أخرى لم تذكر من البشرات:([2])بـــسطة[3] ووادي آش"([4])

بدأت الثورة العامة في " لانجرون" ثم انتقلت إلى" ارجبه " والى كور " بقيرة" حتى عمت جميع مملكة غرناطة.([5]) وقد أعلن الموريسكين الثورة في مناطق أخرى هي:

فريرة (Ferreira) وجبليس (Jubiles) والسهول (Los Ceheles) وعذرة (Adra) وبرجة (Berja) ودلاية (Dalias) ولوتشار (Luchar) ومرشـــانة (Marchena) وشـــلو بينيـــة (Salobrena) ومنطقة نهر البلنوذ (rio Alboloduy La Zona del) وآبلة(Abla) ولا وريـــشينا (وادي آش)Laauricena (Guadix) ووادي لكـــرين (El Valle de Lecrin) ومربلة (Marbella) ماركيسادو دي سينيتي (El Marquesado decenete) وغيرها.([6])

وفي الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول عام ١٥٦٨م سار فـــرج بـــن فـــرج علـــى رأس خمسمائة فارس يوقظون روح الثورة في جميع أنحاء مملكـــة غرناطـــة مـــن شـــواطئ بيـــرة (Vera) (جنوب قرطاجنة) إلى جبل طارق فانضم إليهم الكثير يهتفون "الله أكبر لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله" واحرقوا كثيراً من الكنائس التي كانت مساجد لهم من قبل وصبوا جام نقمتهم على رجال الدين الذين طالما نكلوا بقهم قبلاً.([7])

وأصبح مسرح العمليات يتسع بصورة مستمرة وما بدا في بداية الأمر نزاعاً ليست لـــه أهميـــة تذكر تحول إلى شغل شاغل للملك فيليب الثاني لدرجة أنه تقرر دعوة برلمان قشتالة في مدينـــة

([1])محمد عبده حتامله ، الأندلس ...ص٧٧٧.

([2])Gines Perez de Hita, Guerras Civiles de Granada Segunda Parte, Reproduccion de La edicion de Cuenca de 1619, Madrid, 1915, Cap . II. Pagina 15

([3]) بسطة Baza:مدينة وهي مدينة Basti القديمة تقع شمال شرق غرناطة بنحو مائة واثنين وثلاثين كيلو متراً فتحها طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م.حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج١، ص ٢٥٠-٢٥١.

([4])Marmol: Historia de laRebelio Y castigo de los Moriscos del Reino deGranada, Libro IV, cap. XXX V Y XXX VI, PP. 363, Y ss

عن عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص ٩٥، وانظر : عنان ، نهاية الأندلس....، ص ٣٦٧.

([5])–محمد عبده حتامله ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس...ص ٤١.

([6]) محمد عبده حتامله، الأندلس ...ص ٧٧٧–٧٧٨، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٩٤.

([7]) مؤلف موريسكي مجهول، ص ١٢٤ – ١٢٥

عن حتامله، الأندلس....ص ٧٧٨.

قرطبة ليكون قريباً من مسرح العمليات العسكرية وهذا الاجتماع تم في ديسمبر ١٥٦٩م([1]) وقد اهتم (Julio Caro Baroja) بتحديد المناطق الثائرة وبصورة أقل تلك التي لم تثر وتحديد زمن ثورتها في قائمتين:([2])

١- المناطق التي ثارت وتحديد زمن ثورتها: اورخيبا، بقيرة ، جبليس، سهل، اندرش، اجبير، داليأس، لونشار، مارتشينا، إقليم سالوبيرينا ما عدا سالوبيرينا، إقليم المريه ما عدا المريه ، أليا وألبروتينا، وقد تمردت هذه المناطق في الفترة بين ١٤ ديسمبر ١٥٦٨م و ٣ يناير عام ١٥٦٩م، وادي لكرين (ما عدا بادول، درقال ، نيغوبلاس، ألونيولاس، ساليريس). أنستان، ماركيزادو دي لسينيت ، ألبونيولاس، وساليرس، لابيثا، اغويخار دودار، كينتار، هضاب ابن توميت (مايو ١٥٦٩م) ، وادي المنصورة، وجبل دي فيلابريس (ما عدا ليرون ، لاس كويباس ، أوربا وفيليس بلانكو) في يونيو عام ١٥٦٩م، وسيرون في يوليو عام ١٥٦٩م ، غاليرا في أكتوبر ١٥٦٩م، لاس كويباس في سبتمبر عام ١٥٦٩م، جبل روندا في إبريل ١٥٧٠م([3]).

٢- المناطق التي لم تثر: غرناطة، بيفادي غرناطة، هوتير تاخار، بادول، درقال، نيغولاس، المريه ، فينانا، فيليس بلانكو، صوبيرا، جواديكس، أراضي جواديكس (ماعدا لابيثا)، باثا، ويسكار، أراضي باثاوديسكار (ماعدا غاليرا وكاستيرخا) موتريل، الموخيا، بني عكا، ايزاناتي، مانشاربيجا، مويخاكن، بينا أوخان، الغاتوسين، بني عرابة.([4])

وهناك الكثير من القرى في سلسلة جبال "رندة" مشكوك في موقفها وهي: موندا، تولوس، كاسارا بونيلا، البندير، خوكر، فاراخان.([5])

ويتضح مما سبق أن الثورة كانت ذات طابع جبلي حيث بدأت في بؤرة جبلية مركزية ثم انتشرت إلى نقطة هامشية.([6]) ومما برهن على ضعف روح الثورة عند مواطني المدينة وقوة البأس والإيمان بالفكرة عند سكان المناطق الجبلية رفض الموريسكيين بالبيازين الانضمام إلى الثورة.([7]) وقد اشترك الكثير من رجال السهل ورجال الهضبات في الثورة ومنذ البداية ومن

([1]) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٨٩.

([2]) أعد كارمولي هاتين القائمتين اعتمادا على الحوليات والوثائق المتنوعة في دور المحفوظات المختلفة بمنطقة غرناطة ومدريد

([3]) هورتز وبنشت ، تاريخ مسلمي الأندلس....، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٥٠، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المتنصرون، ص ١١٨.

([4]) هورتز وبنشت ، المرجع نفسه، ص ٥٠ ، عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المتصرون، ص ١١٨

([5]) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المتنصرون، ص ١١٨.

([6]) هورتز وبنشت،تاريخ مسلمي الأندلس....، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٤٩ وانظر:

Julio Caro Baroja: los moriscos.....p . 175-177,

Braudel: Fernaudo: La mediterrananee et le monde mediterraneen al époque de phelippe II paris 1949, 1966, 1976.

([7]) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٩.

الخطأ افتراض الثورة جبلية-سهلية.([1])ومع ذلك يظهر الطابع الريفي للثورة بصورة جوهرية وهناك قليلون من الفنيين المشتغلين بالحرير وما يتصل بصناعته أسهموا في الإعداد واشتركوا في الثورة بصورة نشطة ولكنهم كانوا يمثلون استثناءات فالأواسط الريفية هي التي عانت بسبب مشكلة الحرير وبسبب ابتزازات السلطات المسيحية.([2]) ونستنتج أسباب ذلك من دراسة أسماء القرى التي لم تشترك في الثورة: فالموريسكيون في المدن لم يشتركوا بحماس وكذلك سكان السهول لم يتعاونوا مع المتمردين من قريب وبعض سكان القرى المعزولة([3]) وعلى الرغم من أغلبية الموريسكيين الواضحة في المناطق السابقة فإنهم لم يتحركوا للأسباب الآتية:

١- فمن المحتمل أنه في كثير من هذه القطاعات كانت تسود المعايشة الطبيعية بين الطرفين فالموريسكيون قضوا " في البيازين" مثلاً عشرات السنين وهم يتعايشون مع النصارى والتفرقة السكنية (أي وجود أحياء خاصة بكل طائفة)لم تكن واضحة حتى ذلك الوقت.([4])

٢- والعنصر الأهم هو العلاقات بين الطرفين ففي هذه الناحية وفي وسط غرناطة حول باب الرملة وبخاصة في القيصرية كانت الحركة الرئيسة للعمل وكان هناك عالم يموج بالنصارى والموريسكيين على حد سواء وكذلك كان العمل في الحرير الذي برز فيه الموريسكيون ولم يكن محتكراً منهم ومهنة التجارة بواسطة البغال كانت مشتركة بين الموريسكيين والنصارى لقد كانت هذه القرى بصورة عامة مراكز تنقل وكانت تعاني من تغير مستمر بالنسبة للمدينة عن طريق السوق.([5])

٣- الحملات التبشيرية :حيث يزيد عدد ونشاط القساوسة أكثر من القرى الجبلية بالإضافة إلى عامل الرهبة الذي يمثله مرور القوات النصرانية.([6])

٤- وقد يكون للنظام الإقطاعي دور في القرار الذي اتخذه الموريسكيون في المناطق الريفية التي لم تثر وقد يكون هذا الاحتمال ثانوياً وكقاعدة عامة فإن السادة الإقطاعيين كانوا يحمون تابعيهم من الموريسكيين وهؤلاء بالمقابل ظلوا في حالة هدوء تام ولم يتمردوا في معظم المناسبات.([7])

([1]) هورتز وبنثت، المرجع نفسه ، ص ٥١.
([2]) عبد الله محمد جمال الدين ، ص ١٢٤-١٢٥، هورتز وبنثت، المرجع نفسه ، ص ٥٧
([3]) هورتز وبنثت، المرجع نفسه ، ص ٥١.
([4])هورتز وبنثت ، ص ٥١-٥٢، عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون، ص ١٢٠
([5]) هورتز وبنثت ،المرجع نفسه، ص ٥٣-٥٤، عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون، ص ١٢١-١٢٢.
([6]) هورتز وبنثت، المرجع نفسه ، ص ٥٤
([7]) هورتز وبنثت، المرجع نفسه، ص ١٢٢.

٥- ومن دراسة الوضع الاجتماعي لزعماء الثورة والذين ظلوا مرتبطين بالنظام العشائري القديم واحتفاظهم بعلاقات قرابة قوية متماسكة فكان يكفي أن يقرر أحد الزعماء الثورة حتى يتبعه الشعب كله ولا يحدث هذا في الأوساط الحضرية حيث الأسر العريقة التي لم تكن مرتبطة مع جماهير الموريسكيين لقربها من النصارى.(١)

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.

الأوضاع السياسية

يستحيل على المؤرخ المتخصص في تاريخ الدول الأوروبية، أن يفصل الدين عن السياسة في القرن السادس عشر، ذلك أن الدين كان الموجه والملون لكل الفعاليات والتحركات السياسية،وحيث "كانت الكنيسة تتدخل في كل شيء".([1]) وحتى"مظاهر الحياة اليومية كانت مشبعة بالدين".([2]) ٦٥٠٦٦٩

ولعل الملابسات والمناخ السياسي لاسبانيا منذ سقوط غرناطة كان يترجم عن مدى عمق التأثير الديني الذي كان يسيطر على الناس المسؤولين،خاصة بعد سقوط غرناطة سنة(١٤٩٢م) والذي ألهب انتصار الإسبانيين وحفزهم إلى محاربة الإسلام أينما كان وخاصة في أرضهم. إن هذا الإصرار وهذه الملاحقة وهذا العنف في محاربة "أعداء الدين" هي مميزات اسبانيا التي جندت خلال قرنين من الزمن، وباسم الوحدانية وصفاء الدين جنود"الملك الكاثوليكي". وعلى هذا الأساس وجب اعتبار الدين في القرن السادس عشر بمثابة "الضمير الوطني" للشعب الإسباني.([3]) والباني للوحدة، وحدة العقيدة والإيمان. وقد فرض هذا الإيمان وهذا التمسك المغلق بالدين أشق الواجبات على المواطنين للعمل على خلق عالم جديد للإنجيل والدين المسيحي.([4])

وقد نصت السياسة الخارجية الإسبانية على العمل على" إقامة السلم بين المسيحيين وإعلان الحرب على الكافرين "([5]) وهذا ما يعكس أن الفكر الصليبي كان حيا ومغذيا لأبعاد السياسة الإسبانية".([6])

وكان للمواطنين العاديين دور في بلورة السياسة الإسبانية في تعزيز حركتها الصليبية وتعميق رسالتها الدينية في العالم المعروف يومئذ.([7])

لقد تزامنت الثورة الموريسكية الكبرى بصورة تقريبية مع تعزيز العثمانيين لإمبراطوريتهم في شرق البحر الأبيض المتوسط ، سياسيا واقتصاديا، ومع الاستيلاء على تونس (١٥٦٩ م)وتنصيب بابا صليبي "هوبيوس الخامس"(١٥٦٦ م) والقضاء المؤقت على الثورة البروتستانتية في الأراضي المنخفضة (١٥٦٧م).([8])

([1]) Lucien,Febre,Le probleme de Iincroyance au XVI siecle,p.317,paris,1947.
([2]) Ibid.p.370

([3]) B.Bennasser,L homme espagnol, attitude.et mentalites du XVI au XIX ,siecle,p:58,paris,1975.
([4]) Jean perez, L espagne du XVI,paris,1973 siecle, p:41.
([5]) H enri Lepeyre , Les monarchies europeennes du XVI , paris , 1967 siecle , p . 382.
([6]) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، ص : ٧٠ .
(٧) المرجع نفسه، ص : ٧٠.
([8]) هيس، افتراق العالمين، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص: ١٣٨ - ١٣٩.

وفي أوروبا جاءت الثورة الموريسكية وسط تحركات دينية ثورية بروتستانتية كانت تمزق أوروبا ، وهذا ما عبر عنه سفير فرنسا (فور كفو) عندما قال: "إنها دليل آخر على أن هذه الأزمنة هي أزمنة ثورات الرعايا ضد أمرائهم الشرعيين،فبالأمس كانت ضد شارل التاسع في فرنسا،وضد ماري ستيوارت في اسكتلندا،وضد الملك الكاثوليكي في الأراضي المنخفضة، فالعالم اليوم نازع الى الثورة والرعايا يتجهون إلى التمرد ". (١)

سار فيليب الثاني في نفس الإستراتيجية العامة التي حددها له أبوه وأعطاها بعدا جديدا وبشكل متواصل لتصل في معركة لابنتي (lepante) أوجها وذروتها .(٢)

وأعتبر فيليب الثاني أن قضية الدين المسيحي هي قضية أسبانيا وأن أمر ا لدفاع عنه قد ولد حتما نوعا من الإمبريالية الأسبانية على المنطقة (٣).

وقد بادر إلى بذل مجهوداته بقصد وضع حد للتناقضات السياسية الصارخة بينه وبين فرنسا وانجلترا ،وتوج عمله بعقد معاهدة(كاتو كمبر يسيس) (cateau-Gambresis) بتاريخ ٢و٣ أبريل سنة(١٥٥٩ م).(٤)

ولتجعل منها دولا ذات غايات موحدة تقريبا ومناخا سليما(٥)وأصبح في استطاعته تحويل اهتمامه إلى الخط الأساسي الخارجي المتمثل في التوسع العثماني المخيف في حوض البحر الأبيض المتوسط والذي يهدد ليس فقط النظام السياسي والاقتصادي والتجاري للقارة الأوروبية بل أيضا الدول المسيحية على الإطلاق.(٦)وقد عبر فيليب الثاني عن هذه المشاغل في رسالة كان قد وجهها إلى دوق فلورنسا : " برضاء من الله تمت المعاهدة وإقامة السلم مع المسيحي الغيور الملك الفرنسي، فقد بدا لي أن طاعة الله وخدمة الدين المسيحي ..." (٧) وما أورده السفر الإسباني في البندقية غارسي هرنانديز(Garci Hernandez) في رسالة بعث بها إلى ملكه يخبره فيها أن العدد الكبير من الموريسكيين الفارين قد نجحوا في عام ١٥٦٠م في الوصول على القسطنطينية عبر البندقية قد استخدمتهم تركيا جنودا ومترجمين وجواسيس .(٨)

---

(1) ،زروق،الأندلسيون وهجراتهم.............، ص(٩٤)

(2) عبد الجليل التميمي،الدولة العثمانية ......مص : ٧٦ .

(3) المرجع نفسه،...ص :٧٦.

(4) زروق،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص٨٩ ،التميمي،الدولة العثمانية مص :٧٦ .

(5) F.Braudel,la mediterranee et le monde mediterran een a,lepoque de philippe (ii) ,t.2,p.279,2 edition,paris,1966.

(6) زروق ، المرجع نفسه مص ٨٩،وانظر:عبد الجليل التميمي : "الخلفية الدينية للصراع الإسباني –العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر "مقال بالمجلة التاريخية المغربية العدد الثالث سنة ١٩٧٥،ص١٣.

(7) عبد الجليل التميمي، ، المرجع نفسه ص ٧٧.

(8) زروق،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب،٨٩ وانظر أيضا: F. Braudel,op.cit.2.282.

ولم يكن المشكل الموريسكي مشكلا داخليا حسب وجهة نظر الأسبان ولم يكن ينحصر في طرفين بل مشكلا عالميا يؤثر على العلاقات بين القوتين العظيمتين أسبانيا وتركيا([1]).

لقد قضى فيليب الثاني على آخر ما تبقى من السياسة المعتدلة التي حاول أن ينتهجها أبوه،فأصدر عدة مراسيم تبين من جهة مدى الفزع الذي أصابه من غزو إسلامي جديد للمنطقة، ومن جهة أخرى مدى التأثير الذي كان يمارسه رجال الكنيسة على الملك لجعل السياسة في خدمة الدين ([2]).

وأنه بدون هذه الخلفية الدينية لا نستطيع أن نفهم أبعاد الحركية السياسية المسيحية الأوروبية في القرن السادس عشر، وبدونها نكون قد جردنا أحداث القرن السادس عشر من محتواها الأصلي العميق،إن هذه الخلفية الدينية الأسبانية تعتبر المحور الأساسي التي انبثقت عنه كل التحركات العسكرية ووجهتها وجهة مؤلمة ومأساوية،اصطبغت بفكر صليبي أكثر خطورة وضررا من الفكر الصليبي الذي ساد في القرون الوسطى .([3])

([1])المرجع نفسه،ص٨٩ .

([2]): رزوق،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب،ص٨٩.

([3]) عبد الجليل التميمي،الدولة العثمانية ....،ص ٨٠،وانظر: Henri Kamen ,LHistoire de l, Inquisition espagnole, paris , 1966.

الأوضاع الدينية

مقدمة :

أنها الظروف،هذه القوة العمياء،التي تتحمل جزءا من مسؤولية ما جرى .فالحضارات تعيش ظروفا طويلة تكون فيها مرتعا لحركات جماهيرية تدفعها جاذبية التاريخ باتجاه منحدرات لا يملك احد التأثير فيها ولا يكون احد مسئولا عن سقوطها فيها.([1]) ومن أقدار الحضارات أن ترسم "خط القسمة" وإن تخضع للعمل الشاق على الذات ،والحضارة الأيبيرية خضعت لذلك العمل الشاق أكثر من غيرها ،بوصفها شعلا خاصا من الحضارات الغربية.فبعد أن غمرت واجهتها وأطرافها حياه حضارية غريبة عنها هي حضارة الإسلام،كان على اسبانيا،لكي تعود أوروبية من جديد،أن تصنع من نفسها،مسيحية محاربة ومصارعة ،وان ترسخ "خط القسمة"بينها وبين الديانتين الداخليتين:الإسلامية واليهودية .([2]) وهكذا فيما كانت إسبانيا تسير في اتجاه الوحدة السياسية لم يكن في وسعها أن تتصورها إلا على صورة وحدة دينية .([3]) إن التمييز بين المجموعتين داخل إسبانيا نفسها، يمثل في الواقع المواجهة بين عالمين اثنين.([4])

ومن خلال تتبع نشاط محاكم التفتيش المحلية نلاحظ أنها شددت نشاطها في ثلاث مراحل: ([5])

١- من ١٥٢٠ - ١٥٣٥ م.

٢- من١٥٦٥ - ١٥٧٥م.

٣- من١٦٠٥ - ١٦١٠م .

وقد توافق نشاط محاكم التفتيش في أوجه مع حادثتين جرت فيهما أقسى مواجهة بين الجماعتين :الإسلامية والمسيحية،حادثة الثورة الغرناطية(١٥٦٨ _١٥٧٠ م)،والطرد العام ١٦٠٩_١٦١٤ م ،ويبرز الدور الأساسي الذي قامت به محاكم التفتيش في الفترة من ١٥٦٠ _١٥٧٠ والذي يمكن تعميمه على كل البلاد،إن تشدد محاكم التفتيش في تبني وسائل القمع، يبدو كما لو كان تعبيرا عن حساسية النزاع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية .([6])

---

(1) بروديل ،المتوسط والعالم المتوسطي ،ترجمة وإيجاز مروان أبي سمرا ،ص١٤٤.
(2) المرجع نفسه،ص١٤٤ .
(3) المرجع نفسه،ص١٤٥ .
(4) كاردياك ،الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي،ص ٨٣.
(5) Garcia Arenal Mercedes,losmor is cos de cuenca y la inquisicion .
(6) عبد الله محمد جمال الدين،المسلمون المنصرون ،ص ٣٨٢ .

فدراسة التاريخ الديني شكل أساس وجوهر أسبانيا خلال القرن السادس عشر ([1])

سياسة القهر و التنصير الموريسكي :

لقد لجأ المسيحيون لوسائل القهر والتنصير بالقوة والتي تترجم عن رغبتهم في إدماج الأقلية الموريسكية بالأكثرية المسيحية ونشر الثقافة المسيحية والذي يمثل الجانب السلبي للموضوع.([2]) وتعتبر الفترة الممتدة من النصف الأول من القرن السادس عشر مرحلة إدماج،تبعتها مرحلة أخرى من القهر في النصف الثاني من القرن نفسه،حيث لجأت السلطات لذلك حينما خاب أملها بضآلة النتائج، ويجب الإشارة إلى أن أساليب القهر لم تكن منفصلة بصورة واقعية عن الرغبة في الاندماج،لكن وسائل القهر حلت بسرعة محل الوسائل الأخرى وفي كثير من الأحيان كانت تستعمل منذ البداية([3])، ومن خلال وثائق دواوين محاكم التفتيش نستطيع أن نشكل صورة عن الأوضاع الدينية للموريسكيين قبل الثورة، حيث تشير وثيقة تعبر عن التضييق الشديد الذي كان يعاني منه الموريسكيين.([4]) "يعتبر الموريسكي أو العربي المنصر قد عاد إلى الإسلام إذا امتدح دين محمد صلى الله عليه وسلم أو قال أن يسوع المسيح ليس إلها وليس إلا رسولا، أو أن صفات العذراء أو اسمها لا تتناسب مع كونها أما للمسيح الرب،ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك،ويجب عليه أيضا أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع بأن أحدا من الموريسكيين يباشر بعض العادات الإسلامية، ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة وهو يعتقد أنه مباح،وأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثيابا انظف من ثيابه العادية أو يستقبل المشرق قائلا بسم الله، أو يوثق رجل الماشية قبل ذبحها، أو يرفض أكل التي لم تذبح أو ذبحتها امرأة،أو يختن أولاده أو يسميهم بأسماء عربية أو يعرب عن رغبته في إتباع هذه العادة أو يقول أنه يجب ألا يعتقد إلا في الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أو يقسم بإيمان القرآن أو يصوم رمضان ويتصدق من خلاله ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب أو يتناول طعام السحور قبل الفجر،أويمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر أو يقوم بالوضوء والصلاة بأن يوجه وجهه نحو المشرق ويركع ويسجد ويتلو سورا من القرآن،أو أن يتزوج طبقا لمراسم الشريعة الإسلامية،أوينشد الأغاني العربية أويقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية،أو أن تستعمل النساء الخضاب في أيديهن أو شعورهن، أو يتبع قواعد محمد صلى الله عليه وسلم الخمس أو يملس بيده على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذا لهذه القواعد أو يغسل الموتى ويكفنهم في أثواب جديدة

(1) كارديناك،المرجع نفسه ،ص ٥٧ .
(2) هورتز وبنثنت،تاريخ مسلمي الأندلس...،ترجمة عبد العال صالح، ص.١٢٤.
(3) المرجع نفسه،ص١٢٤.
(4)Don ,Antonio llorente,historia critca de la inquisicion de Espana lea:the moriscos,p130.
عن عبد الله محمد جمال الدين ،المرجع نفسه،ص٣٨٤. كذلك كارديناك ، المرجع نفسه ص١١٤. أيضا هورتز وبنثنت،المرجع نفسه،ص١٢٦

ويدفنهم في أرض خلاء أو يغطي قبورهم بالأغصان الخضراء أو أن يستغيث بمحمد وقت الحاجة منعتا إياه بالنبي ورسول الله، أو يقول أن الكعبة أول معابد الله أو يقول أنه لم ينصر ولا أمن بالدين المسيحي المقدس أو أن أباءه وأجداده قد غنموا رحمة الله لأنهم ماتوا مسلمين ....."

والقهر الذي مارسه المسيحيون ضد الموريسكيين بشكله الديني استند إلى جهاز قضائي متشعب،كان عمله محاولة إظهار وربط التصرفات الفردية أو الجماعية بأصلها التاريخي الإسلامي السابق([1]) قد ترك لمحاكم التفتيش الدور البارز ،لاجتثاث الشعائر الإسلامية القائمة ،ودفع الموريسكيين للاندماج التام في الأيمان المسيحي فتدخلت في جوانب الحياة اليومية كلها ولذلك اعتبرت في نظر الموريسكيين رمزا للإرهاب والقهر لقد كان التعسف والجشع صفة تلك المحاكم ومصادرة أموال الناس كان إجراءا عاديا .([2])

عقوبات محاكم التفتيش :

اتخذت عقوبات قاسية بحق الموريسكيين إلى جانب مصادرة أموالهم، وهي الموت حرقا فقد كانوا بنظر القضاة تابعين للإسلام، وقد كانت أقل جريمة توجه إليهم هي الهرطقة، ويحكم عليهم بمقتضاها بالجلد بالسياط أو لبس ثياب مخزية، ولقد تمت معاملتهم بكل قسوة وصرامة لاسيما حينما يكون المتهمون زعماء دينيين للموريسكيين ، لقد كانت هذه سياسة محاكم التفتيش طيلة القرن السادس عشر .([3])

الموريسكيون والملوك والمسيحيون القدامى :

ولم تقتصر سياسة التعسف والقهر على محاكم التفتيش بل امتدت إلى الملوك الأسبان ورعاياهم من المسيحيين القدامى، فقد كان الملوك الأسبان متمسكين بالدين ويحسون بثقل الإرث المسيحي على عاتقهم وواجب الدفاع عنه وحمايته ثم العمل على نشره ومحاربة أعدائه وقد صرح فيليب الثاني بأنه يفضل إتلاف أملاكه ومائة حياة لو منحت له ، عن السماح بإتباع طريق خاطئ للدين .([4]) وتمثل ذلك في الملاحقة التضييقية الخيالية للموريسكيين ومراقبتهم والوشاية بهم ومحاكمتهم على أيدي دواوين التحقيق إذا ما لوحظت أبسط الظواهر لممارسة دينهم أو لعدم تنفيذ تعاليم الدين المسيحي الجديد الذي اعتنقوه مؤخرا ([5])، ولقد تفنن المواطنون الأسبان في مراقبة الموريسكيين والوشاية بهم ، إيمانا منهم أن مثل هذه التصرفات من شأنها أن تقوض

([1]) هورتز وبنثث،تاريخ مسلمي الأندلس...،ترجمة عبد العال صالح طه،ص.١٢٤.
([2]) المرجع نفسه،ص١٢٨ – ١٢٩.
([3]) المرجع نفسه،ص١٣٠-١٣١.
([4]) عبد الجليل التميمي،الدولة العثمانية...،ص ٧٦.
([5]) المرجع نفسه،ص٦٩ .

المفهوم الصارم الذي فرضته الكنيسة والدولة لاحترام وحدة الدين المسيحي ومثاليته والذي يشكل فلسفة الوجود للفرد الأسباني خلال القرن السادس عشر ([١])

كيف حافظ الموريسكيون على إسلامهم وسط المجتمع النصراني؟

لقد تجلى ذلك مبكرا في إسبانيا،لدى موريسكيي غرناطة في أوائل القرن السادس عشر،عندما أجبروا على التعميد والتمسح من خلال فتوى صادرة عن أحد علماء وهران أحمد ابن جمعة،مؤرخة بأوائل شهر ديسمبر ١٥٠٤ م وعلى أثر ذلك تناولت الفتوى مشاكل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين: ماذا يجب على الموريسكي القيام به كلما أجبر على التنكر لعقيدته وممارسة أخرى ليست له؟([٢]) .

لم تكن المواجهة الجدلية ممكنة بين المجموعتين في أسبانيا خلال القرن السادس عشر،فدواوين محاكم التفتيش كانت ترفض كل تسامح وحوار،ولم يبق للموريسكيين كإجراء وقائي،إلا إخفاء معتقداتهم والدخول في جدل مستمر([٣]).

وانطلاقا من اللحظة التي تلقى فيها الموريسكيون التعميد بالقوة، فأن المجتمع الذي شكلوه سوف يتحول إلى جمعية ضخمة ذات طابع شبه سري وقد استمر الفقهاء في مباشرة وظائفهم سرا([٤]). ولقد اتهم الموريسكيون بالخبث والرياء في الحياة اليومية: وقد ظهرت عدة صراعات بسبب سعيهم لبقائهم أوفياء لأنفسهم ومعتقداتهم الشخصية وأنه حتى لا يعترفوا بتعلقهم بالدين الأسلامي، فقد اضطروا إلى العثور على مخارج وحيل هروبية عندما يواجهون الضغط الأجتماعي المسلط عليهم([٥]).

ودواوين محاكم التفتيش وكذلك القساوسة لم يكونوا مغفلين عن هذه الوضعية : والتهمة التي تكررت بشدة ضد الموريسكيين كانت بالتحديد التالية:" إخفاء معتقداتهم بفن وخبث كما أخذوا أيضاً بممارسة الدين الكاثوليكي "لتنفيذ الأوامر بذلك فقط " وهذا لا يعني سوى القيام بالتزام جماعي ليس غير.([٦])

([١]) عبد الجليل التميمي ،المرجع نفسه،ص ٧٠ .

([٢]) كارديك، الموريسكيون الأندلسيون .....ترجمة عبد الجليل التميمي،ص ٩١-٩٢ .

([٣]) المرجع نفسه،ص ٩٠ .

([٤]) المرجع نفسه،ص ٩١ ،وانظر:

J.Caro Baroja, Los Moriscos de Reino de Granada, Madrid, Instituto de Estudios politicos . 1951.p.102.

([٥]) المرجع نفسه،ص ٩٦ .

([٦])المرجع نفسه ،ص ٩٤ .

وقد شرح الموريسكيون جيداً كيف أن " التقية " كانت موقفاً سياسياً وفقاً " للملابسات التاريخية.[١]

الإسلام والمسيحية :

لقد أثير جدال لم يتوقف بين علماء اللاهوت النصارى والمسلمين خلال القرن السادس عشر كان أحد مظاهره ظهور مؤلفات تطعن في الإسلام ورسوله :

١- كتاب في (مواجهة القرآن) لبرناردو بيريز،وظهر في اشبيلية عام ١٥٢٨ م وفي بلنسية ١٥٣٢ م يحاول فيه كاتبه أن يثبت تفوق الإنجيل والتعميد على القرآن والختان[٢].

٢- كتاب (إزهاق القرآن) للراهب ريكولدودي فونتكروني ،وقد عاش بين المسلمين سنوات كثيرة في آسيا.[٣]

٣- كتاب(نور الإيمان ضد القرآن) من تأليف خوان دي نين ،وظهر في بلنسية ١٥١٩ م وفيه يدين اللذات الحسية وأخلاق الرسول [٤].

٤-كتاب (مواجهة ضد القرآن وضد الملة المحمدية من خلال كتابها وحياة محمد نفسه) وهو من تأليف لوبي أوبريقون،وطبع بإشراف محاكم التفتيش في غرناطة ١٥٥٥ م[٥].

٥- كتاب لخوان أندريس،وطبع في بداية عام ١٥١٥ م في بلنسية ثم في إشبيلية ١٥٣٧ م وأخيراً في غرناطة ١٥٦٠ م،يركز المؤلف فيه على التناقض بين نزول القرآن في ليلة واحدة بواسطة الملاك وبين استمرار هذا النزول عشرين عاماً[٦].

وهذه الكتب كانت موجهة لجمهور محدود من أجل أن تكون قاعدة لا ارتداد جماهيري عام ، وهو عمل لا يمكن القيام به بدون إعداد جيش من القسيسين جيد ونشيط[٧]. الذين ساهموا في وضع برنامج للتبشير بين الموريسكيين واهتموا بشكل رئيسي بتنصير مجموعتين هما : الأطفال والوجهاء،لما لهؤلاء من أثر حقيقي في حدوث ارتداد الشعب الموريسكي،فالأطفال

---

(١) كارديالك ،المرجع نفسه ،ص٩٥ ،رزوق ، المرجع نفسه ، ص ١٠٣

(٢) هورتزوينثث ،تاريخ مسلمي الأندلس ،ص ١١٦ .

(٣) المرجع نفسه ،ص١١٧ .

(٤) المرجع نفسه ،ص ١١٧ .

(٥) المرجع نفسه ،ص١١٧ .

(٦) المرجع نفسه ،ص ١١٧ .

(٧) هورتز وينثث، تاريخ مسلمي الأندلس ، ص١١٨ .

يتربون بطريقة مغايرة لتربية آبائهم وبذلك يكون ارتدادهم حقيقياً وليس مجرد أمر شكلي . لقد تم ذلك ضمن سياسة واعية وضعها الملوك الأسبان([١])واستمرت مشاريع وحملات التبشير بين الموريسكيين خلال القرن السادس عشر وذلك بتشكيل الإرساليات والمدارس الخاصـــة لأبنـــاء الموريسكيين وأهمها([٢]):

١- إرسالية شكلت العمل التنفيذي لقرار الارتداد الصادر في ٢٠ اكتوبر عام ١٥٢٥م.

٢- إرسالية مجالس ويسكا عام ١٥٣٩م وكانت ا لشخصية الرئيـــسية فيهـــا الفرنســـسكاني بارتلومو دي لوس أنجليس إلى قرى جنوب بلنسية.

٣- إرسالية أساقفة بلنسية عام ١٥٦٧م.

ونشير إلى بعض المدارس التي أقامها النصارى الموريسكيين: ([٣])

مدرسة (دار العقيدة) وكانت توجد في البيازين حيث أغلبية السكان من الموريسكيين. وفي ظل هذه الأوضاع عاش الموريسكيون كأقلية تحاول الأكثرية النصرانية إدماجهـــا ونـــشر ثقافتهـــا المسيحية وفرضها بالقوة.

([١]) المرجع نفسه ص١٢٠ .

([٢]) المرجع نفسه ص١٢٢.

([٣]) هورتز وبنثنث، المرجع نفسه، ص ١٢٣.

الأوضاع الاجتماعية

لم يكن الموريسكيون ينتمون إلى المجتمع الذي يحيط بهم ولم يكن هذا لأسباب دينية وسياسية فحسب بل كان يفصلهم عنه فروق عضوية عميقة.(١) وفي حقيقة الأمر إن جزءاً من الشعب الأسباني يعتبر أصيلا وذلك لأسباب واسعة وعميقة حيث أن جذوره متغلغلة في الأرض وكذلك لبعض القيم الثقافية الأولية.(٢)

إن عدم التضامن السياسي لم يكن إلا مظهراً من عدم التضامن الإجتماعي الذي جعل من الموريسكيين أقلية مهمشة ومطاردة وإن كان السبب الأساسي لتهميشها دينياً وحول هذا الأصل الديني كان كل شئ يرتبط بالذات أو بطريقة الحياة: " إن أسبانيا طردت الموريسكيين قبل كل شيء لأنهم ظلوا غير قابلين للتماثل وليس بسبب العداوة لسلالة بل لعداوتها لحضارة ودين وانفجار هذه العداوة بصورة الطرد واعترافهم بعجزها والدليل على ذلك أن الموريسكي بعد قرن واثنين وثلاثة كان سيظل المسلم المعروف بثيابه ودينه ولغته ومسكنه وحمامه....لقد احتفظ بكل شيء وأدار للغرب ظهره".(٣)

طبقات الموريسكيين:

كان من بين المسلمين من يعيشون أحراراً ولا يعترفون بسيادة شخص معين رغم أنهم يعيشون في مناطق تتبع سلطانه. هكذا كان وضع الموريسكيين الذين خرجوا من غرناطة وأقاموا في أراضي قشتالة مثل أبيلا(Avila) الميدو(Olmedo) و هورناتشوس (Horanchos) ...إلخ. وكان بعض الموريسكيين تابعين لسادة معينين كما هو الحال بالنسبة لمملكتي أرغون وبلنسية.(٤)

كان من بين الموريسكين من يعيش بين المسيحيين ويرتدي زيهم وكان معظمهم يتحث الأسبانية بشكل جيد.(٥) لقد كان هناك فرق كبير بين الغرناطيين القدامى وبين جماعات المدجنين القدامى في قشتالة وكذلك بين المرسيين الذين أمكن احتواؤهم تقريباً وبين البلنسيين الذين لم يغيروا عادة واحدة والذين كان من بينهم من نسي لغته ومن لا يزال يحتفظ بها ومنهم من كان يعيش غارقاً في جو من الكراهية ومنهم من لديه علاقات ودية مع النصارى.(٦)

---

(١) هورتز وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ١٣٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠١.
(٣) المرجع نفسه، ٢٠٢.
(٤) لونفا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين ، ترجمة جمال عبد الرحمن زغوان،١٩٩٣، ص ٥٠.
(٥) لونفا، المرجع نفسه، ص ٥٠.
(٦) هورتز وبنثنت، المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

ويمكن تقسيم الموريسكيين حسب ارتباطهم بالإسلام إلى أربع طبقات: ([1])

١- الطبقة الأولى: أولئك الذين ظلوا بعد تعميدهم يحافظون على الزي واللغة والأسماء والاحتفالات والشعائر الخاصة بتلك الطائفة يقولون في الظاهر أنهم مسيحيون ولا يعلم ما إذا كانوا مسلمين في الخفاء.

٢- الطبقة الثانية: أولئك الذين تخلوا بسهولة عن كل أنواع الشعائر الخارجية وبذلوا جهوداً لكي يتوافق وضعهم مع وضع المسيحيين.

٣- الطبقة الثالثة: القادمون من الجزيرة العربية وأفريقيا ممن لهم جدود مسلمين وقد حافظ هؤلاء على بعض الشعائر الإسلامية كتقليد عائلي تذكراً لطائفتهم القديمة. ويطلق عليهم جماعة الغزاة (Los Gaces)وقد أقاموا في الجنوب وصاهروا أهله واستزجوا بهم بعد استرداد المسيحيين لغرناطة وكثير من هؤلاء كان لهم أولاد وأحفاد ومتزوجين سنة ١٥٦٨م وكونوا جذوراً مختلفة. ([2])

٤- الطبقة الرابعة: وتضم أولئك الذين ولدوا لأب مسلم وأم مسيحية قديمة وكان يطبق عليهم قانون اتباع أفضل الأبوين وضعاً

لم يكن يوجد زعامة معترف بها في المجتمع الموريسكي ذات امتيازات قانونية كذلك لم يكن هناك علاقات تبعية فالمقاييس التي اعتمدت للتفريق بين الموريسكيين هي: الثروة والحرف([3]) ومن المحتمل أنه كان يوجد داخل المجتمع الموريسكي توترات وصراع على المصالح ولكنه لم يكن قوياً بصورة يمكن لمسها وكان الصراع بين الموريسكيين والنصارى القدامى كبيراً وقوياً لدرجة أنه قادر على إزاحة أي صراع آخر ويمكن اعتبار التجمع الموريسكي على الرغم من خلافاته الداخلية التي لا يمكن نفيها صورة للوحدة. ([4])

عمل الموريسكيين ووظائفهم:

تشير العديد من الكتابات إلى الاجتهاد الموريسكي (قدرتهم الكبرى على العمل) وقد وصفهم رحالة ألماني زار أسبانيا في زمن الملكين الكاثوليكيين بأنهم أشداء اعتادوا على الأعمال الشاقة وبيّن أعمالهم المعتادة: الحداد ، عامل البناء، عامل السيراميك، النجار، وبائعين للخمر والزيت ويصفهم مؤرخ آخر بأنهم يعملون في الريف ويتجنبون التعامل مع النصارى القدامى وهناك

([1]) لونفا، المرجع نفسه، ص ٥١، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٣.
([2]) عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المنصرون ، ص ٨٢-٨٣.
([3])هورتز وبنثت، المرجع نفسه، ص ١٣٥.
([4]) المرجع نفسه، ص ١٣٥-١٣٦.

مجموعة أخرى وجب عليهم الاتصال بالنصارى حيث لديهم أفضل الأماكن لبيع المواد الغذائية ويمارسون الأعمال وينقلون بضاعتهم من مكان لآخر ومن بين الحرف يذكر : الحداد ، صانع الصابون، الحذاء، وصانع الغلايات. (١)

أما أزنار فيتهمهم بالعمل في مهن تحتاج إلى قليل من الجهد ويذكر : بائعي القماش، الخياطين وصانعي الأواني الحذائين، الفلاحين في الحدائق، البائعين، صانعي الحلفاء وصانعي الحبال والبيطرية. (٢)

ووجد بين الموريسكيين في سرقسطة بنائين ونجارين وحدادين وصانعي السيوف أيضاً وبصورة إجمالية فإن توزيع الحرف بين الشعب الموريسكي لم يكن يختلف بطريقة كبيرة عن التوزيع الذي يمكن أن يلاحظ في النصارى.(٣)

وأما بالنسبة للوظائف الحكومية فالموريسكيون لا يستطيعون أن يتحصلوا على بعض الوظائف التي تعتبر فخرية ولا ممارسة المسؤوليات العمومية والتي تقر قبل كل شيء " شهادة بصفاء الدم" (٤)وقد كتب Lea أنه في سنة ١٥٤٧م أن المحكمة العليا رفضت إحدى الشكايات ضد قبول الموريسكيين في مثل هذه الوظائف وصرحت بأن كل المسيحيين الأوفياء لتعميدهم يستطيعون أن يقوموا بذلك.(٥)

وفي نصوص أدبية كثيرة يمكن العثور على إشارات "لقانون صفاء الدم" والتي تحرم الموريسكيين من الوظائف الفخرية. ففي ماركوس دو أوبريقون(Marcos de obregon) عندما كان بطل هذه القصة المشرد وقع سجيناً بيد الأتراك في جزيرة كابريرا cabrera فإن رئيس البحارة كان موريسكياً مرتداً من بلنسية: وقد شرح لماذا ترك أسبانيا لأسباب غير دينية لأنه كما قال:" لم يقدر على احتمال الإهانات التي يتلقاها يومياً من طرف أشخاص أقل منه بكثير" وقد اشتكى أنه لم يقلد ولم يصل إلى شرف وظيفة القاضي وأن هذه الوظائف " تقلد للأشخاص الذين يتمتعون بأكثر شرف".(٦)

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(٢) هورتز وبنثنت، المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٨.

(٤) كاردياك ، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص ٥٥ وانظر:

A. sicroff, les controverses des statuts de << purete de sang>>en Espagne du XVe auXVIIe, paris Didier, 1960

(٥)Henri Charles Lea, Ahistory of the Inquistion of spain 2e edition, new york American Scholar publications, 1966, T, II, PP. 294-295.

(٦) كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون...ص ٥٦.

الأوضاع الاقتصادية

لا نستطيع التعرف على الأحوال الاقتصادية للموريسكيين وحقيقتها إلا من خلال دراسة كمية كبيرة من الوثائق التي وردت حسب بنثنت : بيانات ضريبية، سجلات للأموال التي تركوها...إلخ. وعلى الرغم من أن جزءا صغيرا من هذه الوثائق فقط تم دراسته لكنه يكفي لإخراج استنتاجات عامة:([1])

١- أن الموريسكيين لم يكونوا بصورة إجمالية شعباً فقيرا وحول ثروة موريسكيي قشتالة فقد بلغت ٤٣٠,٦٥٧,٣١٣ مرابطي منها١١٣,٣٥٠٢٥٤ مرابطيا تنتمي لقرى تابعة لإقطاعيين وهذا الإجمالي يشير إلى الأحوال الأساسية فقط ولا شك أن فيه إغفالا لكميات كبيرة.

٢- تدني الوضع الاقتصادي لموريسكيي بلنسية وارغون فأغلبهم فلاحين ويوجد نسبة عالية منهم تحت إرادة السادة.

٣- وبمستوى أفضل يتمتع مدجنو قشتالة وبخاصة الموريسيكيون الغرناطيون برخاء اقتصادي فقد احتفظوا حتى لحظة طردهم بميراث صفوة منهم وكان بينهم طبقة من الحرفيين تتمتع بحياة مستقرة مقبولة وكان لديهم أموال معتبرة لاجتهادهم وانتشار روح الإدخار بينهم.

٤- وثائق منطقة المرية: أن الموريسكيين كانوا ملاكاً لكميات كبيرة من الأنعام لهذا يجب رفض الفكرة الخاطئة التي تصور الموريسكي أنه افتقر لأهم ضروريات الحياة وعلى العكس من ذلك فقد كان لديهم أفران وطواحين للدقيق والزيت وأراض زراعية وكروم وبساتين وأراض لزراعة الزيتون والذين كانوا لا يمتلكون أراض كانوا أقلية وتشير وثائق أخرى (حسب بنثنت) إلى الرخاء المادي لموريسكيي مالقة وغرناطة وبخاصة الطبقة الأرستقراطية والبورجوازية القديمة التي حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت لا تزال تسكن في مساكن جيدة.

٥- وقد كان لتدني المستوى المعيشي للموريسكيين دور في ازدياد نشاط قطاع طرق الجبال Monfies حيث شكلوا مشكلة خطيرة قبيل ثورة ١٥٦٨م حيث كان القيام

بأعمال السلب والنهب يمثل استجابة أخرى من جانب الموريسكيين لعالم لم يكن عالمهم.([2])

([1]) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس...ص ١٥٦- ١٥٨.
([2]) هيس وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس ....ص١٥٦ -١٥٨ .

محاكم التفتيش والأوضاع الاقتصادية:

إن العلاقات بين الموريسكيين ومحاكم التفتيش كانت قد تحددت في أهـداف اقتـصادية فتلـك المحاكم كما يقول "جارثيا كارثل" " كانت مؤسسة مخربة غارقة في تناقضاتها التركيبيـة وفـي البيروقراطية المجدبة المفرطة" ([1]) لقد كان الموريسكيون مغنماً رئيسياً بالنسبة لمفتشي التحقيق في بلنسية وغرناطة خلال الثلاثة أرباع قرن السابقة على الطرد.([2])

لقد تراوحت أساليب محاكم التفتيش بين عقوبتين طبقتهما على الموريـسكيين أحـدهما عقوبـة اقتصادية تمثلت بالمصالحة مصحوبة بمصادرة كل الممتلكات وكانت هذه العقوبة تطبق على كل المشتبه فيهم من الموريسكيين والثانية الإعدام حرقاً،وقد طبقت على البعض، وكل سياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين تكشف عن تراوح الأحكام بين هاتين العقوبتين. ([3])

وتبرز الكتابات الموريسكية ظلم وجشع هذه المحاكم وتذكر أن إجراء مصادرة ممتلكات المـتهم كان أمراً عادياً كما تذكر الضرائب التي كان على كل موريسكي في بلنسية أن يدفعها لها مرتين في السنة في مارس وسبتمبر من كل عام.([4])

ويتحدث أحد زعماء الثورة([5]) عن فداحة الضرائب المفروضة عليهم وكيف أنه يتم تحـصيلها على الأحياء والأموات والصغار والكبار والأغنياء والفقراء وكيف يرهقهم القضاة الظلمـة ولا يفلت من ظلمهم كائن.([6])

([1]) R.Garcia Carcel : los cuentos de la inquisicion de Valencia en el siglo XVI anuario de historia moderna "Y" Contemporanea 11,111 1975,1976. p 64.
عن عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص ٨٤.

([2]) المرجع نفسه ، ص ٣٧٨.

([3]) المرجع نفسه، ص ٣٧٩.

([4]) المرجع نفسه، ص ٣٧٥.

([5]) محمد بن محمد بن داوود الذي كتب قصيدة يتحدث فيها عن آلام الموريسكيين وقد نشرها كاملة مارمول مترجمة إلى القشتالية ولخصها محمد عبد الله عنان ، انظر:
Marmol (Carvajal , Luis de) , Historia de la rebelion Y castigo de los moriscos del reino do Granada, libro III, cap. IX. P 217-219.
وأيضاً : محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس ، ص ٣٦٣.

([6]) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٤.

الأوضاع الثقافية

لقد تميزت الأقلية الموريسكية خلال القرن السادس عشر بتدني المستوى الثقافي فإذا كانت الأمية تسيطر على أغلبية النصارى القدامى يمكننا أن نتصور الدرجة التي يمكن أن تبلغها حالة الموريسكيين ومع هذا فقد وجد بينهم طبقة مثقفة في وضع متردي حيث وجد عدد لا بأس به من الأطباء والكتاب والصيادلة وهي عناصر بورجوازية ثقافية متواضعة.(١)

والمجتمع النصراني بدلاً من أن يشجع النشاط الثقافي لتلك الطبقة المتواضعة كان يقاومها والنقابات المهنية كانت تمارس ضغطاً أكبر بكثير من الممارسين في المهن الأخرى وهذا تبعاً للبيانات التي تذكرها مجلاتهم حيث تشير أحدها والتي يمكن أن تعود ل ١٥٢٨م إلى عدم قبول الموريسكي أو المرتد في عمل الكتابة في المرتبة الرابعة.(٢)

لقد أدت هجرة نخبة مسلمي غرناطة إلى حرمانهم من ثقافتهم العليا وعرضتهم لحضارة أجنبية قوية دون أن تتوفر لديهم سوى وسائل مقاومة قليلة. وبالإضافة إلى هذا فإن عدم وجود كادر معترف به من القيادات بوجه عام في المستويات العليا من مجتمع الموريسكيين قد شجع روح الإنقسام في الجماعة الإسلامية التي يغلب عليها الطابع الانفصالي وساعد على تحقيق أهداف المسيحيين السياسية.(٣) فحيثما كان الموريسكيون أكثرية فإننا نرى أنه توافرت لديهم الوسائل للمحافظة على جزء من هويتهم الثقافية وحيثما كانوا أقلية فإنهم كانوا يقتربون من الأقلية وفي فترة وجيزة يطاردون ثم ينصهرون.(٤)

القضاء على الثقافة الموريسكية:

يؤخذ من مجموعة الإجراءات المتجهة إلى التنصير رغبة المسيحيين بالقضاء على ثقافة الموريسكيين وقد اتخذت هذه الإجراءات أساليب (التذويب، الهدم، القمع)، وعدم التساهل مع أي شيء إسلامي والغاية تشكيل مسيحيين حقيقيين والاستئصال الكامل للإسلام بكل مظاهره.(٥)

في سنة ١٥٢٦ قرر مجلس غرناطة إنشاء مدن سكنية تعليمية خاصة بأولاد الموريسكيين في غرناطة والمرية وقادس، حيث افتتحت في غرناطة سنة ١٥٣٠م مدينة سكنية تعليمية يمكنها استيعاب مائة تلميذ.(٦) وقد حدثت مجهودات مماثلة لغرس الثقافة المسيحية في أطفال

---

(1) هورتز وبنثت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ١٥٠.
(2) المرجع نفسه، ص ١٥١.
(3) هيس ، افتراق العالمين، ...ص ٢٢١.
(4) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٣٨٣.
(5) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٣٦٨- ٣٦٩
(6) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص ٣٦٧.

الموريسكيين فقد كانت محاولة سياسية واعية طبقها الملوك الأسبان على نطاق واسع.(١)فقد عبر عن هذه السياسة الإمبراطور "كارلوس الخامس" بوضوح شديد في تعليماته "لا بـد أن تتركـوا أبناءكم كي نعرفهم كلمة الله ونحولهم إلى عقيدتنا قدس الأقداس الكاثوليكية ".٢

وحظر اقتناء الكتب حيث توجد وثائق رسمية ترجع إلى سنة ١٥٠١م تتناول الكتـب الـصادرة بتاريخ ١٢ أكتوبر.(٣) وتكرر حظر اقتناء الكتب في ٢٠ يونيو سنة ١٥١١م.(٤) وكل من عنده شئ منه كان عليه أن يسلمه للسلطات خلال مدة لا تتجاوز خمسين يوماً والاستثناء الوحيد كان يتعلق بكتب الطب والفلسفة والحوليات التاريخية ومع ذلك فقد كان واجباً أن تقدم لفحصها " لأننا نعرف أن الموريسكيين يخفون نصوصاً ممنوعة داخل نصوص مسموح بها" وهنـاك مرسـوم ملكي حول هذه المسألة نشر سنة ١٥٦٥م. (٥)

فعلى الموريسكيين وخاصة زعماء هذا الشعب إدراك الخطر، لذلك فقد حاولوا المحافظـة على ثقافتهم ومقاومة كل الإجراءات ضدهم، وقد بقيت السلطات المسيحية يحـضرون كتبـا لا حصر لها حول الدين الإسلامي في منطقة البشرات ومناطق أخرى، بعد انتهاء حـروب ثـورة غرناطة، ويفهم من ذلك أن الموريسكيين لا يزالون يعيشون كمسلمين وانه تنتشر بيـنهم كتـب فقهائهم ودينهم.(٦)

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦٦

(٢) Archivo histrico nacional: inqusicion ; libro 256, fol 462 vlibro 296 FOL.
عن: عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص٣٦٧

(٣) Gallego Y Burin Y Antoniq Gomir snadoval Al fonso los Moriscos del Reino de Granda segun el sinodo de Cuadix en 1554 Granada = 1968=. P. 170.
عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٣٧٠.

(٤) Archivo municipal de Granada libro de provisiones, 1, fol. 202.
عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٣٧٠.

(٥) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٣٧٠- ٣٧١.

(٦) Archivo histrico nacional : inqusicion lag 2604 (3-6-1070)
عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٣٧١.

أسباب الثورة

سياسة الملوك الكاثوليك تجاه الموريسكيين:

- الملكة خوانا المعتوهة (١٤٧٩- توفيت ١٥٥٥م)

لم تختلف حالة الموريسكيين في أثناء حكم الملكة خوانا المعتوهة([1])عن حـالتهم إبـان حكـم والديها الملكين الكاثوليكيين (ضون فرديناند وضونيا ايـزابيلا) فبـدلاً مـن الإدارة والتنفـذ والسيطرةاكتفت أو هكذا قدر لها أن تكتفي بتوقيع المراسيم([2]) التي كـان يـصدرها نوابهـا، فوضعت المراسيم التي كان يظن أنها كفيلة بطمس كل آثار الإسلام والعروبـة فـي نفـوس الموريسكيين.([3])

المراسيم الصادرة عن الملكة خوانا المعتوهة ضد الموريسكيين ونتائجها:

١- مرسوم خاص بالملابس: يحظر على الموريسكيين استخدام الملابس العربية التقليديـة ويرغمون على ارتداء الملابس التي على النمط الأسباني ويمنع أي خياط أن يخـيط الملابس المحظورة فإن فعل عوقب بأشد العقوبات([4]) كما منـع الموريـسكيون مـن ارتداء الملابس الحريرية والملابس الفاخرة الموشاة بالذهب والفضة وأمهلهم المرسوم ست سنوات وبعدئذ مددت المهلة إلى عشر سنوات وفرض في مرسوم آخر أن تلبس كل طبقة اجتماعية ملابس متميزة خاصة بها.([5])

٢- مرسوم خاص بالذبائح: يمنع الموريسكيون من ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية ويفرض أن يذبحها جزار مسيحي من أصل أسباني قديم ويجب أن تحمل إلى المسلخ. يستثنى من ذلك صيد الجبال والدواجن، فكان يجوز ذبحها في البيوت حتى ألغي ذلك الاستثناء بقرار في التاسع والعشرين من شهر تموز عام ١٥١٣م.([6])

([1]) ولدت نجلة الملكين الكاثوليكيين ضونيا خوانا في السادس من شهر تشرين الثاني عام ١٤٧٩م في مدينة طليطلة ثم تزوجت الأرشيدوق فيليب الجميل ابن الامبراطور مكسيميليان الأول امبراطور ألمانيا وقد توفيت خوانا في مدينة توردسياس في الثاني من شهر نيسان عام ١٥٥٥م.محمد عبده حتاملة،الأندلس،ص ٧١٠

([2]) للاستزادة عن المراسيم التي وقعتها خوانا في غير صالح الموريسكيين انظر:

-K .Garrad: the original memorial of don Francisco Nunez Muley ("Atlante". 11.9. 1954), pp, 198-225)>

pedro Longas, Vida Religiosa de los Mariscos, Madrid, 1915 pag. XXXIX.

([3]) محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٧ .

([4])Archivo Municipal de Granada, provisiones No.I Folio.247.VO

عن: محمد عبده حتاملة، الأندلس،ص٧١٨

([5]) Archivo Municipal de Malaga< Documentos de Los reyes catolicos, 20 Julio 1515, Burgos, Folio 165. No. 850, Co: Lib de "prov" Vol. VII, Fols , 296-298 vo.

عن: محمد عبده حتاملة، الأندلس،ص ٧١٨.

([6])Archivo Municipal de Granadu, provisiones No. I . Folio 254 vo

عن: محمد عبده حتاملة، الأندلس،ص ٧١٨.

٣- مرسوم خاص بالزواج : يلزم الموريسكيون بالزواج على الطريقة المسيحية كما يجب على كل منصر أن يتزوج نصرانية أصلا ويفرض على كل موريسكية منصرة أن تتزوج نصراني أصلا ويرغم الموريسكيون في كل حالة أن يكون الإشبين(العـراب) من المسيحيين القدماء ولا يجوز أن يكون من الموريسكيين ولا من اليهود الذين تـم تعميدهم حديثا.(١)

٤- مرسوم خاص بالزيارات : يرغم الموريسكيون المقيمون خارج غرناطة الذين نصروا قسراً على عدم زيارة الموريسكيين المقيمين في مملكة غرناطة خشية أن يتآمروا معهم فيشعلوا الثورات بتقويتهم وتأثرهم وتحالفهم معا ويهدد من لا يتقيـد بـذلك بأقـصى العقوبات من مصادرة الممتلكات أو بالموت حرقا.(٢)ويسمح لموريـسكيي غرناطـة الذين كانوا خارجها حين صدور هذا القرار بالعودة إلى بيوتهم في غرناطة(٣)

٥- مرسوم خاص ببيع العقارات غير المنقولة: لا يجوز لأي موريسكي بيع ممتلكاته لأي موريسكي آخر إلا بعد أن تمنحه السلطات إذنا علما بأنها لم تكن تمنح هـذا الإذن إلا بعد تأكدها من إخلاص المشتري الجديد للكاثوليكية وخلال هذا الاستئذان يجب علـى الموريسكي ذكر السبب الذي يجعل بيع الممتلكات بالنسبة إليه ضرورة.(٤) ومن خالف ذلك فباع بدون إذن السلطات عوقب بالعقوبات السابقة الذكر ثم منع الموريسكيون من بيع ممتلكاتهم منعا باتاً سواء كان ذلك البيع لموريسكي أو لنصراني خشية أن يأخذوا قيمة ممتلكاتهم فيفروا بها إلى شمالي أفريقيا ويشتركوا بعد ذلك بالأعمال التي كانـت مصدر إزعاج لأسبانيا كما فعل الكثيرون من قبل ومن خالف هذه القـرارات يعاقـب بأشد العقوبات.(٥)

٦- مرسوم خاص بمنع الكتب العربية: يجب على كل موريسكي -تم تنصيره قسرا ، أن يسلم كل ما في حوزته من كتب باللغة العربية سواء أكان مقيما في غرناطة أم فـي

---

(1) Archivo Municipal de Malaga. Documentos de los Reyes catolicos, 20 junio 1511. sevilla Orig: col. De "Orig", Vol IV.Fols. 19-20. cop : Lib. De "prov". Vol.v. Fols. 349. va. -350VO.
عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٩.

(2) Archivo Municipal de Malaga. Documentos de los Reyes catolicos. 15 Febrero 1515 Arevalo. Orig.: col de "Orig" vol. IV. Fols . 192y v . Cop: Lib . de "prov" . vol . VII. Fols 190-191
عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٩.

(3) Archivo General Simancas, p. R. Legajo no. 8 Folio. 120. عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٩.

(4) Archivo Municipal de Malaga, Documentos: de los Reyes. Catolicos, 11 diciembre 1507. Burgos. Cop. : Lib de "prov",. Vol. V. Fols . 10-11 vo. عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٩.

(5) Archivo General de Simancas, P.R Legajo no. 8 Folios 120-121. عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص٧١٩.

القرى والأماكن التابعة لها. ويتم تسليم الكتب والمخطوطات كافة إلى السلطات المسؤولة في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً من تاريخ صدور هذا القرار. وبعد تسليمها يفحصها مختصون لمعرفة فحواها ثم يحرق منها كل ما كان له أدنى صلة بالدين الإسلامي سواء في الفقه أو في العقيدة على رؤوس الأشهاد. وبعدئذ ترد الكتب المتعلقة بالفلسفة والطب والعلوم الأخرى بعد ترخيصها إلى أصحابها ومن ثبت أنه يقتني أي كتاب أو مخطوطة بعد العشرين من شهر حزيران عام ١٥١١م تصادر ممتلكاته (١) .

٧- يسمح لنصارى مالقة أن يحملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم وحماية لممتلكاتهم من اعتداءات الموريسكيين وصوناً للمدينة من تلك الاعتداءات المتكررة بينما يمنع الموريسكيون من حمل أي أسلحة أو استخدامها إلا بإذن السلطات العليا المسؤولة. وتصادر ممتلكاته فإن ثبت أنه قد اقترف تلك الجريمة مرة سابقة ففي المرة الثانية يحكم عليه بالموت إذا ضبط متلبساً في تلك الجريمة.(٢)

٨- مرسوم خاص بالإرث: منع المنصرون قسراً من الموريسكيين من تقسيم ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة وتركاتهم على الطريقة الإسلامية ويرغمون على تقسيمها طبقاً للأعراف المستعملة لدى الأسبان ومن خالف عرض نفسه للعقوبات الصارمة.(٣)

٩- مرسوم خاص بالتعاون مع مسلمي شمال أفريقيا: كل موريسكي يتبين أنه حمى أو آزر أو تعامل مع المسلمين المهاجمين لشواطئ مملكة غرناطة الذين يحدثون أضراراً من قتل ونهب وسرقة وإزعاج لا تقل عقوبته عن الموت المؤكد.(٤)

١٠- مرسوم خاص بالهاربين من مملكة غرناطة: كل موريسكي يهرب من مملكة غرناطة يحرم من ممتلكاته فيها فإن عاد إليها قبض عليه وبيع بيع العبيد

---

(1) Archivo Municipal de Granada, "Provisiones" I, Folio 202 Vo. عن محمد عبده حتامله ، الأندلس، ص ٧٢٠.

(2) Archivo Municipal de Granada, provisione, No. 1. Folio 471. Vo.
عن محمد عبده حتامله ، الأندلس، ص ٧٢٠.

(3) Archivo Municipal de Malaga, Documentos de los Reyes Catolicos, 20 Junio 1511. Sevilla.
عن محمد عبده حتامله ، الأندلس، ص٧٢١ .

(4) Archivo Municipal de Malaga, Documentos de los Reyes Catolicos, 8 Agosto 1511. Burgos. Cop. : Lib . de "prov" ,Vol. VI. Fols> IIV°-12 V° عن محمد عبده حتامله ، الأندلس، ص ٧٢١.

بالمزايدة.([1])

١١- مرسوم خاص بممارسة الشعائر الإسلامية والملتحقين بالثوار: إذا تبين أن موريسكياً منصراً مارس بعض الشعائر الإسلامية فيجب على السلطات والنبلاء أن يصدروا بحقه أشد العقوبات التي تصل إلى مصادرة الممتلكات وكذلك الحال إذا التحق بالثوار المعتصمين في رؤوس الجبال.([2])

نتائج تطبيق المراسيم الصادرة في عهد الملكة خوانا المعتوهة ضد الموريسكيين :([3])

١- تمت مصادرات واسعة للممتلكات الموريسكية واستغلت هذه الممتلكات لصالح المستوطنين الأسبان الجدد الذين قدموا من مختلف أرجاء شبه الجزيرة الإيبيرية واسكنوا في أماكن الموريسكيين كذلك استغلت أجزاء كبيرة من تلك الممتلكات لصالح الأديرة والكنائس والكاتدرائيات.

٢- تقلص الزي الموريسكي التقليدي وازدياد تزيي الموريسكيين بالزي الأسباني.

٣- ازدياد المصاهرات القسرية بين الموريسكيين والأسبان لجعل فئتي المجتمع فئة واحدة متجانسة.

٤- لما كان هدف استصدار المراسيم طمس معالم الدين الإسلامي فقد ازدادت مراقبة الموريسكيين ليتمكنوا من إجراء العقوبات الصارمة عليهم حتى إذا يئسوا من صهرهم في بوتقة المجتمع الأسباني ودمجهم في الديانة المسيحية لجأوا إلى تهجيرهم أو التخلص منهم بأي طريقة.

٥- أدت المراقبة الزائدة إلى ازدياد حالات الزواج التي كانت تتم على الطريقة النصرانية ذلك أنهم كانوا يعتبرون الزواج الذي لا يتم بتلك الطريقة زواجاً باطلاً غير معترف به وبذا تقلصت حالات الزواج على الطريقة الإسلامية.

٦- تم القضاء على اللغة العربية وحلت محلها اللغتان الرومانية والقشتالية ونتج عن ذلك أن أصبحت اللغتان المذكورتان تكتبان بحروف عربية أطلق عليها لغة الخميادو

([1]) Archivo Municipal de Malaga , Documentos de los Reyes Catolicos , 25 Junio 1512. Burgos Cop. : Lib . de "prov" ,vol. VII, /fols. 139 Vo. – 140 Vo. عن محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٢١.

(1) Archivo Municipal de Malaga, Documentos de los Reyes Catolicos, 23 octubre 1514 Balbuena (Monasterio). Orig: col. De "orig" vol. IV Fols 158 Vo cop: Lib de "prov" , Vol . VII. Fols. 125-127 عن محمد عبده حتاملة ، الأندلس ، ص ٧٢٢ .

([3]) محمد عبده حتاملة، الأندلس، ٧٢٣ – ٧٢٥ .

(Aljamiado) ويعود السبب في استعمال الموريسكيين للغة الخميادو خشيتهم من افتضاح أمرهم إذا هم أقدموا على القيام بانتفاضات شعبية أو عصيان مسلح في المناطق الجبلية المجاورة للأسبان أو إذا هم استعملوا اللغة العربية فيما بينهم.

٧- تناقصت كمية الأسلحة الموجودة لدى الموريسكيين ذلك أن المراقبة قد زادت والمراسيم قد حظرت عليهم امتلاكها ولم يعد امتلاك الأسلحة حقاً إلا للأسبان وبذا أضعفوا قدرة الموريسكيين على الثورة أو الدفاع عن النفس بيد أنه ظل لدى الموريسكيين كميات من الأسلحة تقتني بسرية زائدة وحذر بالغ.

٨- لم يعد نظام الإرث الإسلامي معمولاً به رسمياً بأي حال وحل محله نظام الإرث الأسباني.

وخلاصة القول أن المراسيم التي صدرت في عهد الملكة خوانا المعتوهة ضد الموريسكيين كانت على غرار تلك التي صدرت أيام الملكين الكاثوليكيين إلا أنها أوسع بنوداً وأشد تنكيلاً.

- الملك شارك الأول (١٥١٧- توفي ١٥٥٧م)

ولكي يتفهم المرء موقف الإمبراطور شارل الخامس ([1]) لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار المشكلات التي واجهته في الداخل والخارج. وأهم المشكلات الداخلية:([2])

١- تهجير الموريسكيين غير المعمدين .

٢- أوضاع الموريسكيين إبان تشكيل الجمعيات المعروفة بالأخوة (Comunidades) والنقابات المعروفة بخرمانيا (Germanias) ([3]) وثورتهم في بلنسية ومصيرهم في أرغون وقتلونية.

٣- مظالم الموريسكيين إبان زيارته لغرناطة عام ١٥٢٦م وما نتج عنها من ثورات.

ولا بد من الإشارة إلى بعض الحوادث التاريخية:([4])

([1]) شارل الأول هو الخامس نفسه عرف باللقب الأول في أسبانيا والثاني في ألمانيا ولد في ٢٤ شباط ١٥٠٠م في مدينة غانتي في (بلجيكا) بدأ حكمه لأسبانيا عام ١٥١٧م وتنازل عن الحكم لإبنه فيليب الثاني في ١٦ كانون الثاني عام ١٥٥٦م. محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٢٦

([2]) محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٢٨، رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم ....ص ٧٨.

([3]) مجموعات شعبية شكلها الشعب القشتلي ١٥١٩م تقوم على الأخوة الدينية أو الأخوة المقدسة وقد تسلمت مقاليد السلطة في بلنسية واشترك فيها رجال الدين وامتدت سيطرتها على الأرياف والمدن المجاورة ومن الأعمال الأخرى التي قاموا بها مقاومة الموريسكيين الذين كانوا يقيمون الشعائر الدينية سراً انظر: محمد عبده حتاملة ، الأندلس ، ٧٤١-٧٤٨،رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٧٨ – ٨٠ .

([4]) محمد عبده حتاملة : المرجع نفسه، ص ٧٢٨، رزوق الأندلسيون وهجراتهم، ص٧٨ .

١- الحظر العثماني المتمثل في شخصية المجاهد البحري خير الدين برباروسا و تأييد السلطان العثماني سليمان القانوني له.

٢- حربه ضد فرانسوا الأول ملك فرنسا الذي كان يطمع في الأراضي المنخفضة وروسيليون ونبرة (الأسبانية) ومناطق إيطالية تحت حكم أسبانيا.

٣- الإصلاح الديني والحروب التي نتجت عنه.

٤- حروبه ضد الطوائف والإمارات الألمانية.

سياسة الملك شارل الأول تجاه الموريسكيين ونتائجها:

يمكن تلخيص سياسة الملك شارل الأول في :" إقامة السلم بين المسيحيين وإعلان الحرب الصليبية ضد المسلمين"([1]) حيث تميزت سياسة الملك شارل الأول تجاه الموريسكيين بالقسوة ومقاومة كل من لا يدين بالكاثوليكية وبذل قصارى جهده لتحقيق وحدة دينية كاثوليكية.([2]) وأن هذه الحمية الدينية المتأصلة في شارل الخامس، هي التي كانت تبلور سياسته والتي كان محورها الأساسي في نظرته ورؤيته وحدة العالم المسيحي التي لا تنفصم.([3]) وفي هذا المضمار تبع ملوك أسرة هابسبورغ سياسة كان هدفها الحكم المركزي والوحدة الاقتصادية والسياسية والثقافية في أسبانيا وعلى رأس ذلك كله الوحدة الدينية وكان الحفاظ على المسيحية الهدف الأول لهؤلاء الملوك([4]) وكانت الرغبة المسيطرة للوصول للوحدة الدينية هي المحرك الرئيسي لكل أعمالهم وكان إخراج المسلمين من شبه جزيرة أيبيريا([5]) إحدى النتائج المباشرة لهذا المسعى وقد اتبع شارل الأول سياسة هدفها تنصير المسلمين قسراً واتخذ سلسلة من الإجراءات من أهمها تشكيل لجنة من الكهنة والقساوسة والرهبان حيث اجتمعت في الكنيسة الملكية وجلست عشر جلسات وتبين أن الطريقة السابقة في تنصير المسلمين قسراً لم تكن مجدية لذلك لجأوا لأساليب أكثر دهاء وأكثر عنفاً فاتخذوا القرارات التي تضمن لهم إيمان الموريسكيين بالكاثوليكية وإلا فإفناؤهم أو تهجيرهم ([6]) وكان أهم قرارات اللجنة:

([1])Ranon Menendez Pidal "Formacion del Fundamental Pensamientu polotico de carlos V" in Chales – Quint et son temps, pp 1 - 8.
محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٢٦

([2]) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ......،ص٧٩ .

([3]) رزوق، المرجع نفسه ، ص٨٧ .

([4]) Salvador Madriaga: spain, Londres 1,930 pag 42

([5])Recopilacion de las leyes destos reynos alcala de henares 1,592. Libro 1. Titulo 1. ley (1)

([6])محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٣٦.

١- نقل محاكم التفتيش من بلدة جيان إلى غرناطة لتتمكن من إيقاع القصاص على من يرتد من المنصرين قسراً إلى الإسلام وليعاقبوهم أشد أنواع العقوبات لعل ذلك عبرة لمن لم يعتبر.

٢- تغفر للموريسكيين كل الشرور والمغالطات التي ارتكبوها حتى عام ١٥٢٦م ضد الإيمان الكاثوليكي وينذرون بأشد العقوبات إذا لم يرتدوا عن غيهم أو إذا عادوا إلى الشغب والشرور بممارستهم للشريعة الإسلامية.

٣- منع الموريسكيين من استخدام اللغة العربية سواء في المحادثة أو في الكتابة وعليهم أن يتعلموا اللغة الأسبانية ويكتبوا عقودهم ومعاملاتهم بها ولا تكتب أبداً باللغة العربية.

٤- على كل موريسكي أو موريسكية أن يبدل ملابسه حتى تصبح صورة متفقة مع الملابس التي يلبسها النصارى الأسبان.(١)

٥- يمنع الخياطون والصاغة من الخياطة أو الصياغة للفضة و الذهب على النمط الموريسكي الذي كان معروفاً سابقاً حينما كانوا يرتدون ثياباً موريسكية متميزة ويتحلون بالذهب والفضة بطريقة مختلفة عن الأسبان.

٦- على كل موريسكية حامل أن تستحضر قابلة مسيحية تعينها على الولادة حتى لا يسمى الولد باسم إسلامي ولا تقام أي احتفالات ولادة إسلامية عند الوضع.

٧- حظر على الموريسكيين استعمال الحمامات.

٨- منع الموريسكيون من ممارسة الاحتفالات في الأعياد والمناسبات سراً.

٩- أمر بأن يغلق الموريسكيون أبواب بيوتهم عليهم أيام الجمعة والسبت.

١٠- منع النساء من استعمال الخضاب على الأيدي والأرجل والرؤوس في حفلات الزواج.

١١- لا يسمح بإقامة الاحتفالات إلا على الطريقة الأسبانية.

١٢- حظر استخدام الأسماء العربية.

١٣- منع الموريسكيين من اقتناء الأطفال اللقطاء.

---

(١) ا محمد عبده حتاملة، المرجع نفسه،ص٢٣٧ رزوق، المرجع نفسه، ص٧٩ ـ ٨٠ وانظر ايضا:
Julio caro Baroja , los Moriscos del Reino de Granada, p.52 - 53 .

١٤- منع اقتناء الموريسكيين للعبيد والأسرى لخدمتهم.([1])

١٥- لدى زفاف أي موريسكي أو موريسكية يجب أن تظل الأبواب مفتحة حتى يخلو العروسان ثم يرغم كل من حضر الزفاف على التوجه إلى الكنيسة لحضور الصلاة.

١٦- إقامة معاهد في غرناطة ووادي آش والمرية خاصة لتعليم أبناء الموريسكيين وتلقينهم الإيمان الكاثوليكي خشية أن ينشأوا متأثرين بالعقيدة الإسلامية لمجاورتهم للأقارب الذين ما يزالون يمارسون شعائر الدين الإسلامي سراً.([2])

وكان الموريسكيون قد قدموا للملك مذكرة بمظالمهم تبين ما لحقهم من اضطهاد وأذى على يد كاثوليكي غرناطة([3])، لذلك اجتمع رجال الدين في إطار لجنة خاصة ووضعوا قراراتهم السابقة .([4]) واستمرت المفاوضات السرية مع الملك شارل الأول حتى تقرر إلغاء تلك القرارات المجحفة في مقابل أن يدفع الموريسكيون للملك ٨٠٠٠٠ دوكات (Ducados).([5])

وقد نفذ الموريسكيون ما التزموا به فدفعوا المبلغ المذكور وألغى الملك القرارات السابقة بصيغة آنية وظلت الأمور في الواقع سيئة كما هي حتى تولى الحكم ابنه الملك فيليب الثاني عام ١٥٥٦م فأعاد فرض هذه القرارات التي أقرها مجلس طليطلة عام ١٥٥٩م وزاد في بنودها وزاد التنكيل بالموريسكيين.([6])

نتائج تطبيق القرارات التي أصدرها شارل الأول ضد الموريسكيين: ظل الموريسكيون يتعرضون للاضطهاد منذ سقوط غرناطة إلى عهد الملك شارل الأول وذلك جزء من الصراع العقائدي الذي استهدف القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية في أسبانيا وكان الهدف الحقيقي من القرارات إبعاد الموريسكيين عن عقيدتهم الإسلامية والممارسات المنبثقة عنها سواء أكانت عبادات أم معاملات بتنصيرهم أو تهجيرهم. ونرى أن السياسة الأسبانية في عهد شارل الأول تجاه الموريسكيين كانت تتردد بين الإقدام والإحجام واللين والشدة بيد أنها كانت

([1]) Julio caro Baroja : obra citada.pags: 52-53.
عن محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٣٨.

([2]) Carlos Mendoza Glorias Espanolas Tomo , IIIBarcelona, Sin Fecha Capitulo VI pags , 546-547
عن محمدعبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٣٨.

([3]) Julio caro Baroja, los Moriscos del Reino de Granada, Madrid 1976, 2a edition , pag 52.

([4]) رزوق، المرجع نفسه، ص ٧٩ .

([5]) Miguel LAFVE NTE ALCANTAR :Historia de Granada. Tomo IV Granada 1.846. capt . XIX pags 181-183
والدوكات Ducados عملة ذهبية قديمة اختلفت قيمها باختلاف العصور وقد كانت زمناً ما تساوي سبع بزيتات أسبانية أنظر: محمد عبده حتاملة، الأندلس، الهامش ص ٧٣٩.

([6]) محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٣٩ ،رزوق، المرجع نفسه، ص ٨٠ .

على وجه العموم أقل عسفاً وأكثر اعتدالاً منها في أيام الملكين الكاثوليكيين وفي عهده نال الموريسكيون كثيراً من ضروب الإعفاء والتسامح الرفيقة نوعاً ولكنهم ظلوا في جميع الأحوال موضع القطيعة الريبة وعرضة للإرهاق والمطاردة ولبثت محاكم التفتيش تجد فيهم ميدان نشاطهم المفضل.(١)

- الملك فيليب الثاني(١٥٢٧-توفي١٥٩٨م) (٢)

سياسة الملك فيليب الثاني ضد الموريسكيين:

حلت القضية الدينية لدى الملك فيليب محل الصدارة فقاوم بشدة كل من لا يدين بالكاثوليكية وكان يهدف من وراء ذلك إلى الوحدة الدينية حسب التعاليم الكاثوليكية وهذا هو المحرك الرئيس لكل أعماله.(٣)

أما فيما يتعلق بالموريسكيين فقد اتبع سياسة هدفها تنصيرهم أو تهجيرهم قسراً داخل شبه جزيرة أيبيريا فاتخذ سلسلة من الإجراءات ضدهم:

١ - إصدارمرسوم يحظر على الموريسكيين امتلاك الرقيق والخدم السود و العبيد من أصل أفريقي (Los Gaces).(٤) حتى لا يدينوا بالإسلام طبقا للسياسة التي اتبعها عام ١٥٦٠م وطبقت على كل موريسكيي غرناطة ثم أصدر في العام نفسه في سرقسطةمرسوما يحظر على الموريسكيين استعمال الأسلحة النارية كما أصدر مرسوما يقضي بأخذ كل أسلحة موريسكيي بلاسنثيا.(٥)

١- في الرابع عشر من أيار عام ١٥٦٣م أصدر فيليب الثاني مرسوما ملكيا يفرض فيه على الموريسكيين تسليم أسلحتهم ورخص اقتنائها في مدة أقصاها خمسون يوماً من تاريخه كما ينص المرسوم على أن من يخالف فيتأخر أو يمتنع عن تسليم أسلحته بعد

---

(١) محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس، ص ٣٥٦.

(٢) ولد الملك فيليب الثاني في ٢١ أيار عام ١٥٢٧م في بلد الوليد اشترك بشكل فعلي بإدارة شؤون الدولة والحكم سنة ١٥٤٢ تنازل له والده الملك شارل الأول عن الحكم في ١٦ كانون الثاني ١٥٥٦. انظر: محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٦٣-٧٦٧، محمد عبده حتاملة، التهجير القسري....، ص ١١-٢١.

(٣) محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٦٨.

(١) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٧٣ .

(2) Maria soledad carrasco Urgoiti : El problema morisco en Aragon al comienazo del reinado de Felipe II (Estudio Y Apendices documentales). estudio de hispanofilla II, Madrid 1969, capt IV pags. 56-57.

انتهاء المدة المذكورة يعرض نفسه لأن يحكم عليه بالأشغال الشاقة مدة ست سنوات(١) ولا يجوز أن يقتني أي منهم الأسلحة إلا أن تكون مختومة بختم الحاكم العام وكل من يحاول تزوير هذا الختم فلا يلومن إلا نفسه حتى التي سيوردها المهالك ويعرضها لأقسى العقوبات.(٢) كما قضت الإجراءات بوجود اثنتي عشرة أسرة على الأقل من المسيحيين القدامى في أي مكان يوجد به الموريسكيون وأجبر أصحاب الإقطاع على استقبال هذه الأسر وأوجبوا زيارة منازل الموريسكيين بانتظام أيام الجمعة والسبت والأعياد كذلك عبر الأساقفة عن أملهم في أن يخضع البارزون من الموريسكيين لرقابة صارمة حتى يكونوا عبرة لغيرهم وأن يؤخذ بأبناء هؤلاء فيبعث بهم الملك إلى منطقة قشتالة القديمة ويأمر بتربيتهم هناك على نفقة آباءهم كي يتمكنوا من العادات المسيحية هناك وينسوا ما هو موجود هنا إلى أن يصبحوا رجالاً.(3)

بعد صدور هذا المرسوم سلم ثلة من الموريسكيين أسلحتهم أو بعضها أما الغالبية العظمى منهم لا سيما الذين ينحدرون من أسر عريقة فقد رفضوا تسليم أسلحتهم ورفضوا أن يضعوا ختم الحاكم العام على مقابض سيوفهم، كذلك أخفى الكثيرون أسلحتهم في حروز حصينة كالكهوف وغيرها واختمرت في أنفسهم روح الثورة.ولما لاحظت الحكومة ذلك أصدرت مرسوما عام ١٥٦٤م يلغي حصانة المقيمين بأراضي النبلاء ويغلق المعابد في وجه الموريسكيين ويحدد حصانة الكنائس والأديرة بثلاثة أيام وازدادت نقمة محاكم التفتيش وأخذت تبحث عن القضايا القديمة المهملة التي سبق أن حوكم أصحابها ليعيدوا محاكمة من وجد منهم.(٤)لذلك لم يبق أمام الموريسكيين غير اللجوء إلى الجبال والانضمام إلى طوائف " المنفيين "واستمروا بالقيام بأعمال فدائية كبيرة في المنطقة ، وتعاظم أمرها إلى أن سيطرت على المنطقة الممتدة من جبال البشرات إلى رندة، وبلغ من جرأتهم أنهم كانوا يصلون إلى أبواب غرناطة متحدين بذلك السلطات ومنذ ذلك الحين بدأت تختمر فكرة القيام بالثورة وبدأ الإعداد لها.(٥)

---

(١) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ، ص ٩٠.
(٢) محمد عبده حتاملة، الأندلس، ٧٦٨.
(٣) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٧٤ .
(٤) رزوق ،الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٩٠ ، اسعد حومد ،. محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٧٦٨-٧٦٩.
(٥) حومد، أسعد ، محنة العرب في الأندلس ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

كان ضون بيــدرو غريــرو (Don Pedro Guerrero) أحــد القــساوسة النــاقمين علـــى الموريسكيين ودينهم وكان عضواً في مجتمع ترينتو (concilie de Trento) ([1]) وكان قــد تقدم إلى الملك فيليب الثاني نيابة عن البابا بيوس الرابع بطلب فحواه رغبة البابا باتخاذ تدابير صارمة بحق الموريسكيين وأنه يجب معاملتهم بكل قسوة وغلظة لا تحتمل أدنى شعور بالشفقة أو الرحمة بهم لأنهم في نظر البابا مارقون وعصاة وهراطقة وأبدى أنه يجــب عــدم بقــائهم ضمن أراضيهم وأنه يعتبر الملك مخطئاً في " التسامح الذي يبديه في ترك المسلمين يقيمــون على عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية القديمة.([2]) دعا بيدرو غريرو المجلس للانعقاد في مدريد في ١ كانون الثاني عام ١٥٦٧م (وهو اليوم الذي استسلمت وسقطت فيه غرناطة منذ أكثر مــن سبعين سنة).([3]) ليقترح على الملك تطبيق القانون الذي صدر في عهد الملك شارل الأول عام ١٥٢٦م ضد الموريسكيين.([4])

والذي لم يطبق آنذاك بشكل جدي وكان ينص على ما يأتي:([5])

١- منع العربية كلاماً وكتابة سراً أو علانية.

٢- إرغام المسلمين على تعلم اللغة الأسبانية قراءة وكلاماً ويفرض عليهم تسليم كــل مــا بأيديهم من نصوص أو وثائق بالعربية لرئيس المحكمة.

٣- التأكيد على وجوب اجتناب المسلمين نهائياً عقائــدهم وعبــاداتهم وثيــابهم التقليديــة وأسماءهم العربية.

٤- هدم الحمامات العامة جميعها.([6])

٥- وجوب إبقاء بيوت الموريسكيين مفتحة الأبواب دائماً.

٦- يلزم الموريسكيات بالسفور دون خمر في أثناء سيرهن في الطريق.([7])

([1]) مجمع ترينتو مجمع ديني كان يعالج أمور الكاثوليكية وكان ضد كل من ليس كاثوليكيا وكان يعقد في روما وكان بيدرو غريرو يمثل أسبانيا في المجمع وكان شديد الإنفعال ومتحمسا ضد الموريسكيين حتى أعجب به البابا بيوس الرابع فجعله مراسل الفاتيكان في أسبانيا يوافيه بتحركات الموريسكيين وموقف الحكومة المركزية منهم. انظر: محمد عبده حتاملة، الأندلس، الهامش ص ٧٦٩.

([2]) رزوق، الأندلسيين وهجراتهم إلى المغرب، ص٩١، حتاملة، المرجع نفسه، ص٧٧٠ .

([3]) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص٧٤ .

([4]) Historia de Alzamiento de los Moriscos. Su Espulsion de Espana Y sus consecuencias en todas las provincias del reino. Pag 114.

([5]) محمد عبده حتاملة، الأندلس ، ص ٧٧٠ ، رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٩١

([6]) Alejandro Gomez Ranera Compendio de la historia de Espana,Desde su origin hasta el fin de Reinado de Dona Isapbel II Y Ano De 1868, Novena Edicion, Madrid 1875 pag 198.

([7]) Luis del Marmol Carvajal . Historia de rebelion Y castigo de los Moriscos del reino de Granada "Biblioteca de Autores Espanoles Tomo XXI, Madrid 1946, lib II. Cap. II, pag. 158,

وعلى الرغم من تدين الملك وكراهيته الشديدة للموريسكيين وتأثره بنفوذ رجال الدين فإنه أوضح لغريرو أنه ليس من حق مجمع ديني أن يتدخل في أمور السياسة العامة وأنه تنحصر سلطاته في القضايا الكنسية البحتة فحولها الملك إلى مجلس خاص لدراستها وتقديم تقرير مفصل حولها([1]) وكان من أعضائه:

١- ضون دييغو دي اسبينوسا أسقف سيغونثا رئيس مجلس قشتالة. Don Diego de Espinosa, Obispo de siguenza ,presidente del consejo de castilla.

٢- دوق البا El duque de Alba

٣- رئيس دير سان خوان ضون انطونيو الطليطلي El prior de san Juan Don Antonio de Toledo

٤- نائب مستشار ارغون ضون بيرناردو دي بوليا El Vice – Canciller de Aragon, don Bernardo de Bolea.

٥- أسقف أورويله El Obispo de Orihuela

٦- المحقق ضون بيدرو ديسا EL Inquisidor, don Pedro Deza

٧- مينتشاكه (حاصل على شهادة علمية) El Licenciade Menchaca

٨- الدكتور فيلاسكو أحد أعضاء المجلس والحاشية المالكة([2]) El Doctor Velasco del Consejo Y Camera real

وقد أثر غريرو على أعضاء المجلس وأقنعهم بجدوى تطبيق القانون فقرروا بالإجماع تطبيقه ووقع الملك على ذلك في ١٧ تشرين الثاني ١٥٦٦م وعين عضو محكمة التفتيش الكاردينال بيدرو ديسا رئيسا للمجلس الملكي في غرناطة لينفذ ذلك فأمر ديسا بطبع القانون سراً ثم أعلنه المنادون في غرناطة وكورها في الأول من كانون الثاني عام ١٥٦٧م.([3]) وقد رفض الموريسكيون من جانبهم الخضوع لهذه الإجراءات البالغة القسوة والتي تهدد وجودهم نفسه

([1]) محمد عبده حتاملة، الأندلس، ص ٧٧٠-٧٧١.

([2]) Historia de Alzamiento de los Moriscos, su Espulsion de Espana Y sus Consecuencias en todas las provincias de reino . pag 114.

([3]) محمد عبده حتاملة،الأندلس، ص ٧٧١، عبد الله محمد جمال الدين المسلمون ،المنصرون، ص ٧٤.

وكان هذا الموقف سبباً في أن يعيش الجانبان الإسلامي والمسيحي خلال سنتي ١٥٦٧، ١٥٦٨ ينظر كلاهما إلى الآخر ويترقب ما عسى أن تسفر عنه الأحداث.(١)

فالموريسكيون كما يقول مارمول يدعون إلى الثورة وتكثر اجتماعاتهم السرية في حي البيازين مثل ذلك الاجتماع الذي عقدته الجمعية الموريسكية الأخوية للنهضة.(٢)

لقد وصلت العلاقة بين المجموعتين :الإسلامية المنصرة، والمسيحية إلى مستوى من التدني لم يعد يمكن معه مناقشة كيفية ذوبان الأقلية أو صهرها في الأكثرية المسيحية.(٣) لقد أصبح الموريسكيون في ايدي المسيحيين "أشبه باليمامة في مخالب النسر"(٤) وليس أمام المسؤولين إلا التفكير في إفناء المسلمين والقضاء على حضارتهم أو طردهم نهائياً من الأرض الأسبانية ومحو آخر مخلفات الإسلام في جنوبي أسبانيا.(٥)

لقد كان اتجاه تاريخ أسبانيا الأوروبي في أوائل العصر الحديث هو المسؤول إلى حد كبير عن التفسير المحلي للتمرد الثاني الذي قام به الموريسكيون (١٥٦٨-١٥٧٠) وقداعتقد فيليب الثاني أن عنف مسلمي غرناطة جزء من هجوم أكبر بكثير على الكنيسة والدولة.(٦)

---

(١) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٧٦.

(٢) Luis del Marmol: historia de la rebelion Y Castigo de los moriscos del Reino de Granada, p. 123 y-ss.

(٣) عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون، ص ٧٧.

(٤) Julio caro Baroja : los moriscos del reino de Granada, p. 172.

(٥) هيس ، افتراق العالمين......، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ١٣٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٣٦.

الأسباب الاقتصادية

أزمة الحرير:

يتساءل هورتز وبنتث في بحثهما عن الموريسكيين عن المتمردين وما سبب ثورتهم؟ ويشيران إلى ملاحظات كينث غاراد حول أهمية أزمة الحرير بين العديد من أسباب الثورة واشارا في نفس الوقت إلى أن كثيراً من زعماء الموريسكيين كانت حياتهم الحرفية ترتبط بالحرير([1])حيث يشير غاراد إلى أن صناعة الحرير كانت من أهم صناعات مدينة غرناطة ومن الأنشطة الاقتصادية الرئيسية في منطقة جبال البشرات(Al pujarras) وأنها كانت قد تدهورت تماماً في أواسط القرن السادس عشر ففي عام ١٥٥٢ جرى تحريم تصديرها واضمحلت نوعية مادتها الخام وضعضعت وضعها الاقتصادي الزيادة الضخمة في الضرائب التي فرضت عليها بين عامي ١٥٦١-١٥٦٤م ([2]) لقد أدت الأحوال الاقتصادية المرتبطة بتجارة الحرير إلى إثارة القلق لدى جماعات جنوبي أسبانيا.([3])

لقد كان هذا النشاط المفيد الذي يمارسه معظم سكان مملكة غرناطة حيث كانت منتوجات جبل البشرات من الحرير والزيتون والفواكه والجبن مشهورة في أسواق غرناطة والموانئ الأندلسية عموما([4]) وكان بالنسبة لسكان منطقة البشارات خاصة الزراعة المثمرة التي يمارسونها فالفلاح يزرع مواد الحرير الخام خلال الشتاء ويبيعه بعد فترة انصهار الجليد من يونيو إلى سبتمبر وذلك في منطقة غرناطة والمرية ومالقة وكان يعمل في صناعة الحرير آلاف العمال المحليين وكان لحرير غرناطة شهرة عالمية ولكن أسعاره كانت غالية بسبب الضرائب الباهظة التي تفرض عليه ولهذا فقد كان يعاني من منافسة حرير مرسية الذي كانت تفرض عليه ضرائب أقل والذي كان يتسرب إلى غرناطة بطرق ملتوية وكل هذه الظروف الجديدة تركت تأثيرها على الفلاحين من سكان الأندلس العليا([5]) لقد كانت الثورة بصورة جوهرية ذات طابع ريفي فالأواسط الريفية هي التي عانت بسبب مشكلة الحرير وابتزازات السلطات المسيحية وهناك قليلون من الفنيين المشتغلين بالحرير وما يتصل بصناعته أسهموا في الإعداد واشتركوا

([1])هورتز وبنتث، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٤٩.

([2]) Garrad, <<la Industria de la seda ……>>, pp. 73-98.

([3])هيس ، افتراق العالمين...، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ص ١٣٥-١٣٦.

([4]) بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٣٠ (الهامش) ، وانظر:
Max well, sir w. stirling, Don Juan of Austria, partI pp 126-128.

([5]) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٧٢-٧٣، هورتز وبنتث، تاريخ مسلمي الأندلس، ص،٣٨.

في الثورة بصورة نشطة ولكنهم كانوا يمثلون استثناءات فقط([1]) لقد كانت سياسة الحكومة المتمثلة ب:

١- منع تصدير الحرير فتوقف أهم دخل للسكان.

٢- فرض ضرائب باهظة.

السبب الرئيسي للكساد والتدهور الاقتصادي لدى الموريسكيين.([2]) لقد مثلت هذه السياسة عبئاً اقتصادياً كبيراً على مصادرهم المحدودة، وكانت مضايقة اجتماعية هائلة وفي مثل هذه الظروف كان السعي وراء زيادة دخل الأسرة مضنياً، لذا فإن الدوافع النفسانية التي يجب أن تتوفر لتحسين الدخل كانت معدومة في السنوات القليلة التي سبقت اندلاع الثورة الأندلسية الكبرى.([3])

مصادرة الأملاك والأراضي:

أحس الموريسكيون الغرناطيون أنهم ضحية عملية نهب كبيرة وذلك بين عامي (١٥٥٩-١٥٦٨م) وهذا ما أعلنه أحد رؤساء الموريسكيين فرانسيسكو نونيث مولاي بقوله:" كل يوم يزداد حالنا سوءاً فمعاملتنا تسوء في كل الأحوال وبمختلف الطرق وذلك من قبل السلطة ورجالها الرسميين وكذلك الكنيسة وهذا واضح جداً ولا يحتاج إلى تأكيد"([4]) وقد وصف محمد بن محمد بن داوود في قصيدته وسائل الإرهاق والتضييق على المسلمين وتحدث عن فداحة الضرائب المفروضة على الموريسكيين وكيف أنه يتم تحصيلها على الأموات والأحياء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء ويصف ما يفعل بهم النصارى من إرغامهم على ترك اللغة....وما أنزل بهم من محن السجن والأسر ونهب الأملاك...."([5]) لقد كانت محاكم التفتيش الغرناطية ما بين سنتي ١٥٥٠و١٥٧٠م تستولي سنوياً على أملاك سبعين موريسكياً وقد أشار المؤرخ غاراد (Garrad) أن حركة محاكم دواوين التفتيش استمرت متبنية هذه الطريقة على أساس ارتفاع المبالغ كل سنة وهذا إلى درجة وصولها إلى قمتها خلال الخمس سنوات التي سبقت ثورة البشرات وهي الثورة التي كانت في الواقع تعبيراً أو سبباً مباشراً لانتفاضة

([1]) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ١٢٤-١٢٥.
([2])عادل بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٢٧.
([3]) المرجع نفسه، ص ١٢٧.
([4])هورتز وينثث، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٣٧.
([5])عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون، ص ٨٤-٨٥.

الموريسكيين ضد مصادرة أملاكهم(١) وكانت دواوين محاكم التفتيش الغرناطية ترسل دورياً مهمات مراقبة لدى العائلات في أهم المراكز وتكلفها بالتأكد من درجة اعتناق الموريسكيين الدين المسيحي. ففي إحدى الرسائل التي وجهها المبعوثون إلى مالقة، يخبرون محاكم التفتيش الغرناطية في سنة ١٥٦٠م أنهم أرسلوا تحت الحراسة المشددة ١٨ سجيناً وأنه " بسبب العدد الضخم من السجناء الذين تحت رقابتهم الآن فإنهم لم يرسلوا الآن أكثر من ذلك العدد وأن لديهم بالإضافة إلى ذلك ٢٠٠ حالة بسيطة أخرى وأنهم دفعوا ٢٠٠٠٠٠ مارافيدس(٢) (Maravedis) مقابل توبتهم."(٣)

وهناك الكثير من الإشارات إلى مصادرة أملاك وأراضي الموريسكيين:
لقد صدر قرار بين عامي ١٥٥٩–١٥٦٨م برعاية مستشارية "بلد الوليد" وذلك بإرسال الدكتور سنتياغو ليراجع حدود الأراضي وكذلك الوقائع الملكية وفي حالة عدم حيازة تلك الوثائق وذلك كان حال الأغلبية فيجب دفع غرامة وإذا لم تدفع الغرامة في حينها تحجز الأرض وتباع وهكذا تم تغيير ملاك ١٠٠٠٠٠٠ هكتار ومن بين الذين استفادوا من هذه العملية رجال الإدارة (البيروقراطية) في غرناطة وكذلك الأديرة وقد كتب السيد "بيدرو دي ديثا" رئيس مجلس السكان إلى الملك بتاريخ ٢ مايو ١٥٧٣، قائلاً :" أنه نتيجة لهذه العملية سلم المحاسب "هيرناندو دي باريلا" مبلغ ٢٤٢٠٩٩٧ مارابيدا وهو ما يساوي ٧٠٠٠ دوقة" (٤)
وتشير المصادر إلى سبب آخر يؤدي إلى مصادرة الأملاك وهذه الأخيرة تبقى نهائية وابتزاز الأموال وهو الإتهام بالتبعية للدين المحمدي فقد كوفئت بالطرد واستصدار الأملاك. حيث تكتب صيغة الاتهام: " للوقوع تحت طائلة الحكم بالطرد الأكبر وبكل العقوبات الأخرى التي يتعرض لها الملحدون الذين تحت صفة واسم المسيحيين يقومون بمثل هذه الجرائم ويتم استصدار أملاكهم وحيث نطبق عليها نظام المجلس وأداء جلالته وكذلك على جابي تلك المقادير..."(٥)
ونستطيع أن نتبين مما سبق أن دوواوين محاكم التفتيش كانت تعيش في جزء كبير من نفقاتها من الموريسكيين وكذلك مصلحة الضرائب الملكية.

---

(1) Garrad, K , "La Inquisicion Y los. Moriscos Granadinos (1526-1580) in Bulletin Hispanique ,t,. LXVIII , nos,1,2, pp . 63-77
عن: كاردياك ،الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١٠٩.
(2) عملة اسبانية قديمة تشير إلى عصر المرابطين فهي دينار الذهب المرابطي الذي أصبح النموذج المحتذى في بلاد المغرب والأندلس انظر: محمد عبده حتاملة، الأندلس، (الهامش) ص ٧٢٩.
(3) كاردياك، المرجع نفسه، ص ١٠٩
(4) هورتز وبنثت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٣٧–٣٨.
(5) كاردياك، الموريسيكون الأندلسيون والمسيحيون ،ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١٠٨.

ونستطيع أن نرى نوع المعاملة التي تفرض على الموريسكيين والنتائج المترتبة عليها من خلال رسالة بعث بها "ارياس غابيغو" عضو محكمة تفتيش سرقسطة إلى مفتش عام الممالك الأسبانية في ٢١ نوفمبر عام ١٥٥٣م تقول الرسالة:" أن أسياد الموريسكيين في هذه المملكة (مملكة أرغون) يستغلونهم ويستغلون متاعهم كما لو كانوا عبيداً لأنهم يأخذون منهم ما يزيد على ثلث أو ربع ما يتقاضون وهم -الموريسكيون- يدفعون الضرائب التي يشاء السادة فرضها كما يؤكد بعض من ذهبوا إلى هناك لإبرام اتفاقيات في هذا المضمار.....وهم – الموريسيكون– مثقلون بالأعمال لدرجة أن بعضهم يقول من اليأس أنه بما أنهم يدفعون ويعاملون كمسلمين فليس بكثير أن يعيشوا كمسلمين وبما أن السادة ليس لهم مصدر دخل أساسي آخر يعيشون منه فهم يأسفون لأن محاكم التفتيش تعاقب رعاياهم في أشخاصهم أو في أموالهم. ومن هنا تأتي الشكاوى غير العادلة من محاكم التفتيش وممن يعملون بها".([1])

([1])لونغا ،الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، ترجمة جمال عبد الرحمن، ص ٤١ (الهامش).

الأسباب الدينية

تفسيرات:

١- أشار بروديل إلى:" أن المشكل الموريسكي صراع ديني وبمعنى آخر أعمق صراع حضاري وهو بهذه الصفة يصعب حله وبالتالي فهو مدعو لأن يستمر"(1) لم يكن الحقد العنصري مصدر السلوك الأسباني وموجهه بل كان الحقد الديني أو الحضاري في أصله(2) ويجب أن نتساءل عن أسباب سياسة أسبانيا تجاه الموريسكيين؟ لأن الموريسكيين واجهوا الحضارة الغربية المفروضة عليهم بالرفض متوسلين المحافظة على دينهم وأزيائهم وروابطهم العاطفية التي كانت تشدهم إلى عوالم الإسلام. وفي المقابل كان يستحيل على اسبانيا التعايش مع مركز إسلامي يقوم في قلبها وهذا اعتراف بعجزها فوجدت نفسها أمام خيارين اثنين:

أ-إما اقتلاع ذلك المركز من جذوره .

ب-وإما التعايش معه بغية دمجه وهضمه على نحو شامل.(3)

٢- ويؤكد (Edouard Driault) على أن، تاريخ الغرب مع الشرق هو عبارة عن: " صليبية جديدة منتصرة هذه المرة من الصليب على الهلال وهذه الصليبية تكتسب صيغاً جديدة حتمتها شروط الحضارة الحديثة وضعف الإيمان" ويقول في فقرة أخرى:" أن هذا التقدم الذي تحققه أوروبا المسيحية ضد الإسلام هو بالفعل صيغة جديدة للصليبية"(4)

إن القضاء على الثورة الموريسكية بغرناطة وانتصار المسيحية قبل ذلك في مالطة قد هيج البابا والملك الأسباني ليبعث الرابطة المقدسة بين الدول الأوروبية ضد العثمانيين وقد سعى البابا "بي الخامس" (pie v) لإثارة الفكر الصليبي مصرحاً :" لن أتخلى عن واجباتي التي تفرضها علي صفتي كأب مشترك للمؤمنين وقبل أن ألتحق بربي سأستعمل كل الوسائل الإنسانية لوحدة القوى المسيحية ضد أكبر عدو للديانة المسيحية"(5) وكما قلنا سابقا أنه بدون هذه الخلفية الدينية لا نستطيع أن نفهم أبعاد الحركية السياسية المسيحية الأوروبية في القرن السادس عشر وبدونها نكون قد جردنا أحداث القرن السادس عشر من محتواها الأصلي العميق وحيث يستحيل علينا أن نعلل هذا الغليان وهذا التعصب وهذه الاستماتة اليائسة في محاربة

---

(1)نقلاعن: رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب،ص ١٠٣.

(2)بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، ترجمة مروان أبي سمرا ص ١٤٠.

(3)المرجع نفسه، ص ١٤٠.

(4) عن عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، (الهامش) ص ٧٨. Edouard Driault, la question d,Oreent depuis ses origins jusqa la paix de sevres (1920),479 p.8 edition, paris, 1921.

(5)Henry Lapey re, Geoyraghie de lEspagne Morisque, p. 260..

المسلمين طوال القرن السادس عشر على الخصوص. وأن هذه الخلفية الأسبانية تعتبر المحور الأساسي الذي انبثقت عنه كل التحركات العسكرية ووجهتها وجهة مؤلمة مأساوية اصطبغت بفكر صليبي أكثر خطورة وضررا من الفكر الصليبي الذي ساد في القرون الوسطى.

دواوين محاكم التفتيش:

إن الدور الرئيسي لمحاكم التفتيش هو المحافظة على وحدة العقيدة ضد كل البدع(التي اطلقوهاعلى الموريسكين) وعلى ضوء ذلك فقد عمدت إلى تنظيم وحداتها ضد الموريسكيين وهذا وفقا لحركة تصاعدية بمطالبتهم باعتناق الدين المسيحي ليصبحوا مسيحيين صادقين وقد ظهرت هذه المحاكم في عدد كبير من الولايات التي يقطنها الموريسكيون كرد فعل رسمي بعد المعارضة العنيفة في بعض الأحيان والتي أظهرها الموريسكيون ضد الاعتناق القسري.([1])

إن كل مشكل دواوين التفتيش كان بالتحديد أن يجعل من الموريسكيين مسيحيين صادقين ومؤمنين؛ وليس فقط أنها ترغب في إدخال نظام اجتماعي وديني ولكن أيضا كانت تطمع في كسب نظامهم الحقيقي.([2]) وخاصة أن تفاقم المنازعات الدينية خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر قد جعل هذا الشك في المسيحيين الجدد يبدو وكأنه يهدد نظام اسبانيا الطبيعي والمعنوي .([3])

لقد تسللت روح الإصلاح الكاثوليكي المترمتة إلى داخل أسبانيا. فشهد هذا العصر قوانين نقاء الدم (Limpieza de Sangre) ووضع السلطة في أيدي رجال صمموا على فرض التماثل الديني.([4]) لقد اختار الملك أن يتجاهل التحذيرات التي تلقاها من المسؤولين المختصين بشؤون الحرب في إسبانيا وكان يمكن تجنب الثورة لو لم يتصرف أعوانه أمثال "ديسا" و "اسبينوزا"بهذا الشكل من الحماقة.([5]) وفي نفس الفترة قد يكون الأتراك العثمانيون قد ضخموا موجة التشدد الديني حين زحفوا بصورة درامية على شمالي أفريقيا وغربي البحر المتوسط.

([1]) كاردياك ،الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١١١.

([2]) Boronat Y Barrachina, los Moriscos espagnols…op cit. t . 1. p204

([3]) هيس،افتراق العالمين ....،ص ٢١٩ .

([4]) هيس ، افتراق العالمين....، ص ٢٢٢.

([5]) Elliott, Imperial Spain, P228

ويعتمد Elliott في معلوماته على بحث غير منشور قدم للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة كامبردج سنة ١٩٥٥ ، وهو بعنوان : أسباب ثورة البشرات الثانية : The Causes of the Second Rebellion of the Alpujarras

اعتقد المسيحيون القدامى أن الموريسكيون يساعدون العثمانيين سواء أكان هذا الاعتقاد يستند إلى أساس أم لا([1]).

إن أول شعور الموريسكيين الذي يعبرون عنه تجاه محاكم دواوين التفتيش هو الشعور بالحقد ومن هذا المعنى كتب مفتشو محاكم دواوين التفتيش بغرناطة إلى البلاط الملكي بتاريخ ٢٤ إبريل ١٥٦٨م:

"أنهم يحملون لمحاكم دواوين التفتيش حقداً وكرهاً أبديين وبادئ الأمر أخذوا يهاجمون محاكم التفتيش وإلحاق الضرر ما أمكن بها"([2]) وإذا أردنا أن نفتش عن أسباب هذه الكراهية وجب عدم إهمال رؤية التاريخ الديني التي تشكل أساس وجوهر أسبانيا خلال القرن السادس عشر.([3])

وبتاريخ ١ مارس ١٥٦٧م توجهت محاكم التفتيش بغرناطة إلى المجلس الأعلى لتبلغه حالة عدم الأمن التي يعيش عليها رجال محاكم دواوين التفتيش :" أن الخطر الناتج عن ممارسة هذه الوظيفة يتضاعف كل يوم" وحتى في ضواحي غرناطة فإننا لسنا في مأمن من "جماعة قطاع الطرق" وعليه فقد طالبوا منحهم حرساً إضافياً :" ذلك أن الحارس الذي يقوم بتوقيف أي احد أو جابي الأداءات عندما يقوم ببيع الأملاك المصادرة إلى أعوان الضرائب الذين....."([4]) وبالنسبة للموريسكيين فإن محاكم دواوين التفتيش تمثل أداة للسلطة التي وجب مكافحتها([5])

قرارات أدت إلى الثورة:

لقد تفاقمت القطيعة بين الفئتين ولم تعد تحتاج لأسباب أكثر لتكون خطيرة وقام الأساقفة بالخطوة الحاسمة في الإجراءات القهرية بعد أن خاب أملهم لنتائج حملات التنصير المؤسفة ففي عام ١٥٦٥م عقد مجلس كنسي في غرناطة كان لقراراته أهمية خاصة؛ لأنها وضعت نهاية لسياسة الملاينة من جانب الكنيسة حتى تلك الفترة فقد حوى نص القرار النهائي تسع مواد تدعو إلى تطبيق اللوائح الصادرة قبل ذلك والتي توقف تطبيقها منذ عام ١٥١١م ولم تعد تستعمل تلك الكلمات اللينة مثل: التبشير والوعظ وتعليم العقيدة المسيحية، بل استعملت كلمات

([1]) Marmol, Rebelion, pp. 157. 160. 166. 173 Dur Armada Espanola, 1: 45- 46; Regla, Estudios , pp. 139-149

([2])كاردياك ،الموريسكيون، الأندلسيون والمسيحيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١١٩.

([3])المرجع نفسه، ص ٥٧.

([4])المرجع نفسه، ص ١١٩.

([5])المرجع نفسه، ص ١٢٠.

تحمل صيغة القهر والإكراه ولم تترك تلك الوثيقة أي مظهر من مظاهر الثقافة الموريسكية إلا وغيرته مثل اللغة والثياب والحمام والشعائر التعبدية....إلخ.ونصح الأساقفة الملك باستئصال تلك الخصوصيات كلها.([1])

وفي العام التالي اجتمع رجال اللاهوت قانونيين وعسكريين في مدريد وتبنوا طلبات رجال الدين وأضافوا إليها تحريم الكتب العربية لمدة ثلاث سنوات وقد نشر القرار النهائي لذلك الاجتماع في ١ يناير عام ١٥٦٧م([2]) لقد أدت القرارات الصادرة إلى تأجيج الشعور الديني الذي كان دافعا قويا لهذه الأحداث.([3])

ممارسات رجال الدين ضد الموريسكيين:

تعترف الروايات المسيحية بأن ما قام به المسيحيون وخاصة رجال الدين من معاملة سيئة للموريسكيين كان أحد الأسباب الرئيسية للثورة فقد أرسل "ارناندو دي مندوثا" رسالة للكاردينال "اسبينوسا" يذكر فيها ما لم يذكره في تاريخ فيتكلم عن قسوة رجال الدين المسيحيين ضد المسلمين وهو الشيء الذي سبب ذلك الفوران ومحاصرة " البيازين" بصورة لا يمكن إيقافها فدور رجال الاكليروس من طبقة رجال الدين الدنيا ومن الرهبان في عمل هذا الهيجان أمر مقطوع به.([4])

ونذكر هنا شهادة تسهم في توضيح أسباب ثورة موريسكيي البشرات أنها شهادة سفير أسبانيا في باريس وموضع ثقة فيليب الثاني وهو كما يقول "خوليان باث" كان على علم تام" لأنه تواجد في غرناطة سبع أو ثماني مرات وأطلع على رأي أعضاء المحكمة والعمد ورجال العدالة" وفيما يلي كلماته:

" أردت الذهاب لرؤية بعض أماكن في البشرات للإطلاع على تصرفات هؤلاء الناس وفي الحقيقة وجدت أن كل الموريسكيين مضطهدون وروحهم المعنوية منخفضة, ورأيت بعض المسيحيين الجدد وهم أناس قليلو الحظ في شؤون العدالة وتوزيع أموال جلالة الملك وأفزعني أنهم متكبرون ومتسيدون على الموريسكيين ورأيت أن ذلك الوضع لا يمكن أن ينتهي على

([1])هورتز وبنثت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٣٨ – ٣٩.
([2])هورتز وبنثت ، تاريخ مسلمي الأندلس ، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٣٩، عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون ص٧٤
([3])لونقا ، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين ، ترجمة جمال عبد الرحمن ص ٤٣.
([4])Julio caro Baroja , los moriscos.....p . 182
عن عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٩٣.

خير وتواجدت في كثير من الكنائس خلال أيام الأعياد وفي أيام أخرى واستنكرت ما رأيت كثيرا فقد رأيت القساوسة لا يعاملون هؤلاء الناس بلطف ولا بالطريقة المناسبة لاجتذابهم ورأيت القساوسة أيضا يديرون وجوههم إلى الوراء لمراقبة ما إذا كان الموريسكيون يركعون أم لا بالإضافة إلى توجيه كلمات قبيحة ومتغطرسة لهم مع شيء من عدم اللياقة والجرأة الكبيرة على الله فارتعد جسمي وكان القساوسة عند خروجهم من القداس يسيرون في الطرقات بغطرسة وتكبر على الموريسكيين وتهديد وتعنيف مستمر لهم فبدا لي ذلك طريقا سيئا لتعليمهم. ورغم أن معظم الأشخاص الذين تحاورت معهم في غرناطة يقولون أن تمسك الموريسكيين بارتداء نسائهم الزي الموريسكي .....هو السبب في الثورة إلا أنني أرى أن المعاملة التي ذكرتها سابقاً هي السبب في ثورتهم".(١)

الدين يعرض ولا يفرض:

من خلال بحثنا عن الأسباب الكافية وراء العداء بين الموريسكيين والمسيحيين نتذكر الهدوء الذي تميز به التعايش بين الطرفين في الممالك المسيحية خلال العصور الوسطى؟ من المحتمل أن يكون مواطنو الممالك المسيحية المسلمون قد تحملوا من تجاربهم الماضية وكانوا يأملون ألا تتأثر معتقداتهم بقرارات حكومية يمليها الوضع السياسي على الملوك ومجالسهم أن اعتقاد الموريسكيين في سلامة تصرفاتهم وسلوكهم الخلقي الذي اعترف به معاصروهم المسيحيون. (٢)كان يؤكد لهم عدم تعرضهم لقوانين صارمة تمس عقيدتهم كان هذا الأمل تعززه حقيقة وهي إمكانية التعايش بين عناصر اجتماعية دينها مختلف ولهذا -إزاء القوانين الأولى التي تحد من حريتهم الدينية – لم يكن بإمكانهم الاستسلام بسهولة للتنصير وهم يعلمون أن أجدادهم قد احتفظوا في ظل التسامح بدينهم وفقهائهم ومارسوا كل شعائر الإسلام علانية.(٣)

ولكن ظهرت عوامل جديدة أدت إلى تعقيد الأوضاع لما عاش المسلمون خاضعين للسلطة المسيحية ينعمون بحرية العقيدة لم تكن هناك مبررات للثورة وقد تقبلهم الجانب المسيحي ولكن

---

(١)

Paz (Julian) , Archivo General de simancas, Catalogo, IV, secretaria de Estado (capitulaciones con Francia Y negociones diplomaticas, de ios Embajadores de Espana en aquella Corte seguido de una serie cronologica de estos) I.ps 684 -685 (Madrid,1914).

(2) Bermudez de Pedraza . Antiguedad Y excelencias de Granada , fol . 91

(3) لونغا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين ، ترجمة جمال عبد الرحمن ص ٥٥.

عندما تحول المسلمون إلى مسيحيين في الظاهر فقط بدأ المسيحيون القدامى يبغضونهم ويرون فيهم خونة لعقيدتهم ويسعون إلى عودة السلطة الإسلامية على تلك الأراضي وبالفعل استطاع الموريسكيون الظهور بمظهر من غيّر دينهم لكن ذلك لم يصل إلى قلب الموريسكي إلا نادراً (١) لقد ظل الموريسكيون يعيشون عادات مسلمي أسبانيا من مصدرها:" الديانة المحمدية" وأظهروا رفضاً حياً لتخليهم عنها مما اثبت بوضوح تأصل الشعور الديني لديهم مما كان يقدم سبباً آخر للخلاف.(٢)

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٥٥.
(٢) المرجع نفسه،ص ٥٥.

الأسباب الاجتماعية

عاش الأندلسيون غرباء في وطنهم يعاملون كأقلية مشبوهة التصرفات والدوافع وكانت درجة اضطهادهم تتفاوت من منطقة غرناطة إلى قشتالة إلى بلنسية وأرغون ولكنها كانت عامة تؤججها الكنيسة من جهة ويؤججها نشاط الأندلسيين الذين كانوا يوصفون بأنهم "يكثرون من الإنجاب والعمل ويقللون من الإنفاق"([1])

لقد كان الشك واضحاً في إخلاص الموريسكيين وكذلك موقفهم السلبي من الاندماج في المجتمع وعلى الرغم من تعاسة الموريسكيين وبؤسهم فإنهم كانوا قادرين على أن يكون موضوعهم ذا أهمية تاريخية حيث كان الموريسكيين أبطال أحداث تاريخية مهمة لها طابع درامي كبير(تمرد ١٥٦٨-١٥٧٠م). ([2]) لقد نظر المسيحيون القدامى إلى عادات المسيحيين الجدد لا باعتبارها أسبانية بل باعتبارها جزءاً من حضارة إسلامية لا تتغير ومن ثم فإن بقاء هذه الممارسات الاجتماعية كان يعني في نظرهم تغلغل حضارة أجنبية قوية في المسيحية وهو أمر لا يمكن التسامح فيه. ([3])

وبحلول أواسط القرن السادس عشر كان المسيحيون القدامى قد ادركوا الاختلافات الثقافية الجوهرية التي تفصل المسيحيين الجدد عن المجتمع الأسباني وكان على رأس قائمة الأخطاء الاجتماعية ملابس الموريسكيين ولغتهم فرغم أن رجال المدن كانوا قد ارتدوا ملابس المسيحيين القدامى فقد ظلت النسوة وسكان الريف من الموريسكيين يرتدون ملابس ذات طابع إسلامي وكان ارتداء نساء الموريسكيين للحجاب بالذات سبباً لنفور الدولة والموظفين الدينيين. كما كان المسيحيون الجدد مصدرا لاختلاف لغوي لا يغتفر بينهم وبين المسيحيين القدامى حتى بعد أن فقدوا القدرة على التحدث باللغة العربية فلما كان الموريسكيون لا ينطقون لهجة قشتالة على الوجه الصحيح ولما كانوا يكتبون لغتهم الجديدة بحروف استهلالية فجة فإنهم انعزلوا حين لم يأخذوا باثنتين من أبرز ملامح ثقافة قومية جديدة كانت في طريقها إلى الظهور.([4])

وإذا كانت الملابس واللغة هما أبرز وسيلتين لتحديد من هو مقبول اجتماعياً ومن هو غير مقبول فقد كانت توجد عادات موريسكية أقل وضوحا من الواجب القضاء عليها إذا ما كان من

([1]) بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٢٧ ويعرض هورتز وبنثث في تاريخ مسلمي الأندلس تفسيرات الكتاب النصارى لأسباب خصوبة الموريسكيين انظر : صفحة ١٠٢-١٠٥، وإلى اجتهادهم في العمل ص ١٣٦-١٣٨.

([2])هورتز وبنثث ، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ١٤.

([3])Haedo, Topografia, pp. 50-52 and Hayreddin, fols. 73,84-108

عن: هيس ، افتراق العالمين ....، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص٢١٩.

([4]) هيس، افتراق العالمين....، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص٢١٩.

الواجب دمج المسيحيين الجدد في تيار الحياة الأسبانية. فلما كان المسلمون السابقون متمسكين بالقوانين الغذائية الإسلامية فإنهم تجنبوا أكل الخنزير وشرب النبيذ وشراء اللحم غير المذبوح على الطريقة الإسلامية.(١) وقد اتهم الموريسكيون بالخبث والرياء في الحياة اليومية : وقد ظهرت عدة صراعات بسبب سعيهم لبقائهم أوفياء لأنفسهم ولمعتقداتهم الشخصية وقد اضطروا إلى العثور على مخارج وحيل هروبية، عندما يواجهون الضغط الإجتماعي المسلط عليهم.(٢) وقد استفزت رجال الدين عادات الموريسكيين الصحية وبخاصة الحمامات العامة التي وصفها مجمع وادي آش الديني في عام ١٥٥٤م بأنها " لا تعدوا أن تكون منازل للشيطان" وقد هاجم موظفو الكنيسة هذه العادات الإسلامية وغيرها بسن نظام لفرض الغرامات.(٣)

إن حقد المسيحيين على الموريسكيين تطور بشكل سريع من حقد ديني إلى حقد عام وشامل لجميع التقاليد والعادات الموريسكية فهذا أزناركاردونا يلاحظ: " أن طريقة تناولهم الأكل تترجم عن همجيتهم فهم يأكلون على الأرض دون مائدة ولا أي شيء آخر....وبنفس الطريقة ينامون على الأرض على " المضربة ."(٤)

كما أصبحت هذه العادات علامة على اتباع الموريسكيين للدين الإسلامي كما هو الشان بالنسبة لأكل الكسكس:" فخيرونيما لافرانكا Geronima la franca وكذلك أعضاء عائليه مع أشخاص موريسكيين آخرين غيرهم نجدهم متربعين وواضعين الكسكس في إناء وسطهم ليأكلوا بأيديهم على شكل كرات حسب عادة العرب وهم بهذا يداومون على اتباع دين محمد...." (٥)

وصدر قبيل الثورة في أول يناير ١٥٦٧ عن رئيس محكمة غرناطة بدرو دي ديسا pedro De Deza قانون يستهدف التخلص النهائي من الاختلافات بين الفئتين و نص على عدم إقامة احتفالات على الطريقة الإسلامية ولو سرا كما نص على عدم اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة وحرم التسمي بأسماء أو ألقاب إسلامية وباختصار فقد تقرر وجوب تمزيق نسيج المجتمع الإسلامي المستتر.(٦)

---

(١) هيس ، المرجع نفسه، ص ٢٢٠ .

(٢) كاردياك ،الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ٩٦.

(٣) Callego Burin, los Moriscos del reino de Granada, pp. 62 -64

(4) A Zznar Cardona, Expulsion Justificada de los moriscos....II.F 33,r

(٥) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٦) هيس ، المرجع نفسه، ص ٢٢٠.

ويلاحظ أنه على الرغم من المطالبة الملحة والقاسية لهؤلاء الذين يطالبون بالإندماج يطالبون في نفس الوقت باتخاذ إجراءات لتمييز الموريسكيين عن غيرهم تمييزاً واضحا(١) لقد حكم على السياسة التي اتبعها الأسبان ضد الموريسكيين ومحاولة دمجهم وجود شهادة بصفاء الدم. (٢) إن إرادة الاندماج لها حدودها : أن الموريسكيين سوف يعتبرون دوماً كشعب متميز ولا يتمتعون بصفاء دم المسيحيين العريقين .(٣)

الموقف الموريسكي من مهاجمة النصارى لعاداتهم وقيمهم الاجتماعية:

اتهم الموريسكيون محاكم دواوين التفتيش باقتراف أشنع الفظائع ليصلوا بذلك إلى خنق كل تبعية للإسلام وأنهم لم يتراجعوا أمام أي وسيلة لتحقيق ذلك:" لقد كنا مضطرين أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون فيه منا وعكس ذلك فإنهم يسوقوننا إلى محاكم دواوين التفتيش بسبب إتباعنا الحقيقة لقد حرمونا من الحياة والأملاك والأبناء وزجوا بنا في سجون مظلمة لأتفه الأسباب...أما أطفالنا فإنهم عندما يكونون يافعين يربونهم على منوالهم ويصبحون مرتدين أما إذا كبروا فإنهم يسعون للهروب وبالإضافة إلى ذلك فإن حكام دواوين التفتيش يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائياً على هذه الأمة"(٤)

تتعلق مظاهر حياة الشعوب بالشعور الديني الذي يترك أثراً (بدرجات متفاوتة) في العادات وعليه فإن كثيراً من عادات مسلمي الأندلس كان مصدرها الإسلام وعندما سعى البعض إلى تخليهم عنها أظهروا رفضاً حيا اثبت بوضوح تأصل الشعور الديني فيهم.(٥)

وفي الواقع فإن هذا المشكل بالنسبة للموريسكيين قد وضع على الشكل الآتي: ما العمل للمحافظة على الإسلام وسط المسيحيين؟ لم تكن المواجهة الجدلية ممكنة أصلاً بين الجماعتين في أسبانيا خلال القرن السادس عشر فدواوين محاكم التفتيش كانت ترفض كل تسامح وحوار ولم يبق للموريسكيين كإجراء وقائي إلا إخفاء معتقداتهم والدخول في جدل مستتر.(٦) وقد شرح الموريسكيون جيداً كيف أن التقية كانت موقفاً سياسياً وفقاً للملابسات التاريخية(٧) لقد

---

(١) كارdياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي ص ٥٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٥٥-٥٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ٥٤ .
(٤) المرجع نفسه ص ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٥) لونغا الحياة الدينية للموريكسيين الأندلسيين ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، ص ٥٥.
(٦) كاردياك ،المرجع نفسه، ص ٩٠-٩١ الحجري ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص ٢١.
(٧) المرجع نفسه، ص ٩٤.

برر الموريسكيون موقفهم بحكم ضرورة وجودهم ونجاتهم من محاكم دواوين محاكم التفتيش.([1])

وفي مواجهة الهجوم على عاداتهم واصل الموريسكيون ثورة صامتة فلقد انقلبوا إلى دواخلهم لمواجهة محاولات تحطيم علاقات القرابة بينهم واصطنعوا نظاما مزدوجا للأسماء: اسم إسلامي للإشارة إلى مكانتهم ونسبهم في مجتمعهم وآخر مسيحي لإرضاء السياسات الاجتماعية التي يتبعها سادتهم. ومما حافظ على تماسك المجتمع الإسلامي في فئاته الدنيا السيطرة التي كان يباشرها كبار السن على الأسرة الممتدة. فللمحافظة على النسب والولاءات الدينية كان شيوخ الأسر يجرون الزيجات وهم يضعون نصب أعينهم الفضائل الإسلامية التقليدية الكامنة في التضامن القائم على القرابة. ففي داخل المنازل حيث يمكن التعبير عن العواطف المكبوتة تقمص أبناء الموريكسيين كره آبائهم للمسيحيين القدامى وبذلك وفروا استمراراً عبر الأجيال للانقسام الثقافي ولما كان الفاصل بين الجماعتين كبيراً بالفعل فقد وجد شيوخ الأسر أن من السهل استدامة الانفصال([2]) فقد شددوا سيطرتهم على النساء الموريسكيات وتجنبوا المؤسسات المسيحية حيثما كان ذلك ممكناً وغذوا غضباً صامتاً على الخونة انفجر في ثورة ١٥٦٨م.([3]) إن توقع عصر تسود فيه السعادة والعدالة وتأتي فيه المساعدة من الخارج قد زودا هذا المجتمع المحاصر بالأمل.([4])

([1])كاردياك ،المرجع نفسه، ص ١٠٠.
([2])هيس، افتراق العالمين.....ص ٢٢٠ – ٢٢١.

([3]) Caro Baroja, los Moriscos, pp. 101-18.
([4]) Marmol, Rebelion , pp. 169-74 , and AGS, Camara de Castilla , L 2152,fol . 390.

مجريات الثورة

تهيئة الثورة (موعد الثورة،تعيين محمد بن أمية ملكا،التخطيط للثورة ،شرارة الثورة،دلالة الثورة،الإجراءات الإسبانية ،صدى الثورة على المستوى الدولي، مراحل الثورة الأساسية)

لم يعلن الأندلسيون ثورتهم في ١٤ نيسان يوم الخميس المقدس ١٥٦٨م كما كان مقرراً وإنما أجلوا الموعد([1]) ثم تم الاتفاق بين قادة الثورة على إعلانها يوم الأول من كانون الثاني سنة ٩٧٧/١٥٦٩ ه ([2]) ولعل هذا التوقيت كان مخططاً له مسبقاً إذ أن أسبانيا كانت منشغلة بثورة الأراضي المنخفضة وجندت العديد من سكانها لهذا الغرض كما أن السواحل الأندلسية كانت مقفرة بسبب الحرب والخوف من الغارات البحرية الإسلامية.([3]) اجتمع الثوار وأعلنوا عصيانهم وثورتهم وذلك في قرية برنثار (Beznar) في (وادي لكرين) بزعامة فرناندو قرطبة فالور وهو شاب ينسب إلى سلالة بني أمية وكان من أعيان قرطبة ومستشاراً في بلديتها. وقد يكون لاختياره دلالات بعيدة المدى كإعادة الحكم في أسبانيا كلها للمسلمين كما كان الأمر في عهد الخلافة الأموية الأندلسية واحتفل المسلمون بتتويجه ملكاً عليهم في احتفال ديني مهيب في ٢٩ كانون أول ١٥٦٨ م، وأعطي الإسم العربي (محمد بن أمية) ([4]) وفي نفس اليوم ثارت العديد من القرى مثل أورخيبا، بقيرة، وخوبيليس، ثم تبعتهم باقي قرى البشرات.([5])

تم التخطيط لهذه الثورة بطريقة بالغة السرية انتفع فيها الموريسكيون بدروسهم السابقة تحفزهم الكرامة والدفاع عن النفس والمال والعرض والدين ليتخلصوا من العبودية وكانت الثورة ستقوم في ثلاثة مواقع في البيازين في وقت واحد يحمل الموريسكيون أعلاماً يفترض أن يقوم كل حامل علم بمهمة محددة.

١- حاملوا العلم الأحمر يحتلون باب فجالوثا(Fagalauza) ثم يتجهون من باب سري باتجاه المستشفى الملكي ثم يدخلون من باب البيرة لكي يحتلوا محكمة التفتيش

([1]) حومد، أسعد ، محنة العرب في الأندلس، ص ٢٩٦ ، محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٧٣.

([2]) ذنون ، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص ٥٨، حتامله، الأندلس، ص ٧٧٤ ، حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، ص ٢٩٦ ،

([3]) ليلى الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة ، مجلة الأصالة الجزائرية، العدد ٢٧ ، اكتوبر ١٩٧٥، ص ١٤٧.

([4]) الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٩٣، محمد عبده حتامله، الأندلس، ٧٧٦ في ٢٧ كانون أول ١٥٦٨م.

([5]) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس ، ترجمة عبد العال صالح ، ص ٤١.

فيخلصوا المسلمين المعتقلين بها ويضعوا في أماكنهم أعضاء المحكمة ليذوقوا العذاب الذي طالما عذبوا الموريسكيين به.(1)

٢- حاملوا العلم الأصفر يحتلون ساحة باب البنود La plaza de Bib-al-Bonut ثم يتجهون من طلعة سان غريغوري san Gregorio وكالدير يريه (Galdereria) إلى السجن ليحتلوه محررين من فيه من إخوانهم. (2)

٣- حاملوا العلم الأزرق يأخذون أماكنهم عند مدخل وادي آش وينزلون من طلعة تشابش (chapiz) وطريق نهر دره (Darro) ثم يتجهون إلى مركز محكمة التفتيش بحثاً عن الرئيس "ديسا" لقتله على أن تلتقي الفرق الثلاث في ساحة باب الرملة (Bibarrambla) ويستطيعون مساعدة المتطوعين الذي يبلغ عددهم ثمانية آلاف أن يدافعوا عن المدينة.(3)

وكان قد عجل بقيام الثورة وقوع حادث في البشرات حيث اصطدم بعض الثوار بمفرزة أسبانية مكونة من خمسين جندياً ومعهم بعض المأمورين والقضاة بالقرب من قاديار (Cadiar)فأبادوهم وكانت هذه الحادثة الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة فعم لهيبها في كل أنحاء جنوب أسبانيا ووصلت إلى وادي لكرين والمرية فانقض الثوار على رجال الحاميات الأسبانية المتواجدة في المناطق الثائرة فقتلوا بعضهم وأسروا الآخرين ولم يستطع هؤلاء المقاومة لاتساع نطاق الثورة وشمولها.(4)

وتوجه مساعد ابن أمية فرج بن فرج من أسرة بني سراج التي كانت تتمتع بمجد عظيم وشرف تليد أيام بني نصر.(5)على رأس مئات من أتباعه من بينوس (Pinos) وسينس (Cenes) وحاول دفع (سكان البيازين) للثورة ولكنهم لم يتحركوا (6) لأنهم خشوا التورط في مثل هذه المغامرة الجريئة دون أن يكون لديهم العدد الكافي من الرجال فاضطر فرج إلى

---

(1) محمد عبده حتامله ،الأندلس ، ص ٧٧٤.
(2) المرجع نفسه، ص٧٧٤.
(3) مؤلف موريسكي مجهول، ص ١٢٠ عن محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٧٥.
(4) ننون، المرجع نفسه، ص ٥٩.
(5) موريسكي مجهول، ص ١١٧، عن محمد عبده حتامله، الأندلس ، ص ٧٧٣.
(6) محمد عبده حتامله ،التهجير القسري...ص٣٧-٣٨.

الانسحاب والالتحاق ببقية القوات الثائرة في البشرات بعد أن أعلن للسلطات الأسبانية في المدينة بشكل عملي عن بدء الثورة في مختلف أنحاء مملكة غرناطة.(١)

ويبدو أن الثورة لم تكن لمطلب آلي كرجوع الحكومة عن قرارها السابق (قرارات ١٥٦٦م) أو السعي لرفع مختلف ضروب الظلم والتعسف عن الموريسكيين أو الإلحاح عن معاملتهم كمواطنين كاملي الحقوق كغيرهم وإنما كانت ذات هدف ثوري إيجابي عميق هو إعادة تكوين مملكة غرناطة وهكذا أعلنوا استقلالهم.(٢)

وقد كان أول إجراء قامت به السلطات الأسبانية هو إرسال المال إلى القائد العام لغرناطة للعمل على تمويل الجند وكذلك لحاكم مرسية وفي الوقت نفسه اخطرت السفن الأسبانية لتحرس الشواطئ الأندلسية وتعزل الثوار عن شمال أفريقيا ويمنع كل ما يمكن أن يأتي من نجدات منها.(٣) فإن ما بدا في البداية صراعاً محدوداً تحول مع الوقت إلى صراع شامل كما كان الشغل الشاغل والأهم لفيليب الثاني حيث وصل به الأمر أن دعا برلمان قشتالة للانعقاد في قرطبة ليكون قريباً من مسرح العمليات وذلك في ديسمبر ١٥٦٩م.(٤)

ومع انتشار أخبار الثورة ومع أنباء الإخفاق الأسباني في إخمادها وقد ضخمتها الإشاعات المختلفة حتى أن عميل فيليب الثاني في لندن أعلمه بأن الأمر سيصل بالناس إلى الإشاعة بأن ممالك أسبانية أخرى قد ثارت ضد الملك.(٥)

وقد أقلقت هذه الثورة الأسبان والعروش الكاثوليكية في أوروبا لأنها جاءت وسط تحركات دينية ثورية بروتستانتية كانت تمزق أوروبا وهذا ما عبر عنه سفير فرنسا (فوركفو) عندما قال:" أنها دليل آخر على أن هذه الأزمنة هي أزمنة ثورات الرعايا ضد أمرائهم الشرعيين فبالأمس كانت ضد شارل التاسع في فرنسا وضد ماري ستيوارت في اسكتلندا وضد الملك

---

(1) ذنون ، المرجع نفسه، ص ٥٩، عنان، نهاية الأندلس، ص ٣٤٧، بشتاوي، الأندلسيون المواركة ، ص ١٣٢، أيضا: محمد عبده حتامله ، التهجير القسري، ص ٣٧.

(2) Marmol. Op. cit. 17 cop V11

عن رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٩٣.

F.Braudel,Lamditerrannee…..,2/299.

عن: رزوق ، المرجع نفسه ، ص ٩٣.

(4) هورتز وبنثت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح، ص ٤٢، عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٩

(5) F.Braudel. Lamditerrannee…., 2-361.

الكاثوليكي في الأراضي المنخفضة فالعالم اليوم نازع إلى الثورة والرعايا متجهون إلى التمرد...."(١)

وقد رد شارل التاسع على سفيره وقائلاً :" إنني آمل أن يعاقب هؤلاء الثوار وكل أولئك الذين حملوا السلاح مثلهم بهدف بلبلة دولة ملكهم وسيدهم"(٢)

وقد ازدادت مخاوف فيليب الثاني بشكل كبير فقد قال (فرانسيس دو آلافا) – سفير أسبانيا في باريس – لسكرتير الدولة في رسالة متبادلة:" وكل ما ارجوه ان يعاقب الله ثوار البشرات قبل أن يستطيع هذا الكلب(كذا)– أي السلطان العثماني الذي علموا باستعداداته العسكرية – ان يعبئ قواته" (٣) ومهما كان الحجم الحقيقي لثورة غرناطة في الخارج واستغلالها على المستوى الدولي فإنها في أسبانيا قد هزتها هزاً عنيفاً فقد أثبت لها مرة أخرى أن مراس المسلمين لا يزال شديداً ، وأن قواهم الجهادية كانت لا تزال في عنفوانها.

وقد تميزت الثورة في أيامها الأولى بملمحين أساسيين هما الطابع الديني وهو الرئيس ثم طابع الرغبة في إحياء مظاهر الثقافة الإسلامية.

وهناك أربع مظاهر تعكس الطابع الديني للثورة وهي:(٤).

١ – قتل وتعذيب المسيحيين الذين تحولوا عن الإسلام إلى المسيحية.

٢– تحطيم وتخريب الأماكن المقدسة ودور العبادة.

٣– إهانة وتحطيم الصور والتماثيل المرتبطة بنفس العبادة المسيحية.

٤– السخرية والاستهزاء من طقوس والعقائد الكاثوليكية

ونجد مظاهر إحياء الحضارة العربية الإسلامية متمثلة في إحياء رسالة المسجد وإقامة الشعائر الإسلامية بكل فخر واعتزاز في منطقة "أوجيخر" وكذلك العودة إلى استخدام الزي القديم والوعي بالعادات والآداب القديمة.(٥)

مراحل الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م:

من المناسب في البداية رسم جدول تاريخي للأحداث. فالحرب مرت بأربع مراحل:

---

(1) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ، ص ٩٤

(2) المرجع نفسه، ص ٩٤.

(3) المرجع نفسه، ص ٩٤.

(4)عبد الله محمد الدين ، المسلمون المنصرون، ص ٩٠ – ٩١ ،وانظر أيضا :

Elpardre Hitos Francisco A: Martires de la Aipujarra en La rebellion de los moriscos 1568, Madrid, 1935. , pp:227-231.

(5) عبد محمد جمال الدين ، المرجع نفسه، ص ٩١–٩٢.

١- المرحلة الأولى: من ديسمبر عام ١٥٦٨م إلى مارس عام ١٥٦٩م.

٢- المرحلة الثانية: من نهاية مارس إلى ديسمبر من نفس العام ١٥٦٩م.

٣- المرحلة الثالثة: من يناير عام ١٥٧٠م إلى إبريل من نفس العام.

٤- المرحلة الرابعة: من إبريل إلى نوفمبر من نفس العام.

المرحلة الأولى: من ديسمبر ١٥٦٨م – مارس ١٥٦٩م.

تميزت بأن الحملات كان يقودها من الجانب النصراني الماركيزان : دي مندوجر ، و دي فيليس أما دي مندوجر فقد خرج من غرناطة في يناير واجتاز البشرات حتى لاوخار وأقام معسكره العام في أورخيبا.(١)

ويقول" بيريث دي هيتا" متحدثا عن قوات الماركيز دي مندوجر:" إن نصفها أو أكثر قد استبدل ليحل محله أكبر اللصوص في العالم تدفعهم فكرة أن يسرقوا ويسلبوا ويحطموا شعوب قرى الموريسكيين الوادعة..." ويقول في مناسبة أخرى " إن هناك أناس كانوا يخونون فيسرقون الكثير حتى القطط وأشياء أخرى مشابهة"(٢) وأما جنود فيليس فقد خرجوا في الأول من يناير وأقاموا معسكراً في تيركي شرقي البشرات وذلك في الثالث من يناير وعلى الرغم من بعض التراجعات قليلة الأهمية التي مني بها النصارى فقد كانوا يأملون بنهاية سريعة للأحداث.(٣)

وكان الجيش النصراني يسوده بعض الشقاق لأن الماركيزين اللذين يتزعمان الجيشين كان كل منهما يكره الآخر كما تعرض دي مندوجر إلى حملة قوية من الشكاوى قدمها رجال المحكمة العليا واتهموه أمام الملك وبذلك فقد فقدت القوات نظامها وارتكبت أنواعاً مختلفة من الأخطاء فاستعاد الثوار قوتهم.(٤)

المرحلة الثانية: من نهاية مارس ديسمبر من نفس العام ١٥٦٩م، وتبدأ من إسناد فيليب الثاني قيادة العمليات لأخيه دون خوان دي استوريا (٥) وكان فيليب الثاني قد قرر أن يذهب بنفسه لإخضاع المنطقة بعد فشل كل المحاولات العسكرية التي لم تؤدي إلى استئصال الموريسكيين أسوة بما عمل الملكان الكاثوليكيان من قبل. لكن الكاردينال اسبينوسا (Espinosa) اقترح أن يذهب بدلاً عن الملك ضون خوان النمساوي (Don John de Austria) اخو الملك غير

---

(١) هورتز بنثث ، تاريخ مسلمي الأندلس ترجمة عبد العال صالح طه،ص ٤٢.

(٢) -Perez de hita (Gines), guerras civiles de Granada, parte II cap . IV. P. 600.

عن عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١١١.

(٣) هورتزو بنثث المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٤) هورتز وبنثث ، المرجع نفسه، ص ٤٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٣.

الشرعي" إلى غرناطة وكان عمره اثنين وعشرين سنة فحسب ووضع تحت إمرتـــه مجلـــساً حربياً لكي يفرض السيطرة في مملكة غرناطة. وقد تم تعيين خوان النمساوي لهذه المهمة في السابع عشر من آذار عام ١٥٦٩م.([1]) وابتدأ على الفور في اتخاذ سياسة قمعيـــة شـــديدة إزاء الحركة. وكان شعاره " لا رحمة ولا هوادة" دليلاً على رغبته في اجتثاث الثورة من جـــذورها وقتل كل المشتركين فيها فضلاً عن العرب المتواجدين في المنطقة فـــذبح الرجـــال والنـــساء والأطفال بأمره وأمام عينيه وتحولت قرى البشرات إلى مجازر بشرية.([2])وقد طالت هذه الفترة كثيراً ولم تحقق أية نتائج إيجابية.([3]) وحدثت مراسلات بين الملك وأخيه القائد ضون خـــوان، تعكس تسلط الملك وقلق واســـتياء القائـــد([4]) وازدياد اتـــساع المنـــاطق المتمـــردة واســـتطاع الموريسكيون لعدة شهور أن يمتلكوا ناصية الأمر فهاجموا "برخا" حيث يوجد معسكر الماركيز" دي لوس بيليث" في ٢٢ مايو([5]) وحاصروا سيرون في العاشر من يونيو واستولوا عليها فـــي الحادي عشر من يوليو وكذلك فيرا في سبتمبر واورخيبا في اكتوبر.([6])

وعلى الرغم من وفاة ابن جوهر (الصغير) في يوليو واغتيال ابن أمية في ٢٠ أكتوبر ويقـــال أنه أعلن مسيحيته وحاول أن ينتقم لما لحقه من ذلك بسبب ثورته وهذا يعني أن الـــذي كـــان يحركه هو التضامن العصبي وليس الديني.([7]) واختير أبو عبد الله (ابن أبـــوه) ليحـــل محـــل الخليفة القتيل بلا منازع.([8])

المرحلة الثالثة: من يناير ١٥٧٠م–إبريل من نفس العام.

وفي هذه المرحلة أصبح الوضع خطيراً بصورة لم يسبق لها مثيل ففي التاسع عشر من ينـــاير استولى (العلج علي) أمير الجزائر على تونس وكان ذلك بلا شك عبارة عن امتـــداد لحـــرب غرناطة.([9]) ولا شك أن (العلج علي) حاول تقديم الإمدادات للثورة الموريسكية بل هنـــاك مـــن يقول أن العلج علي – الحاكم العثماني للجزائر– كان يفكر في إعادة الحكـــم الإســـلامي إلـــى أسبانيا فهذه هي الوسيلة الوحيدة لوضع حد للتهديد الأسباني المستمر لبلاد الـــشمال الأفريقـــي

([1]) مؤلف موريسكي مجهول، عن: محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٨٣، وانظر أيضاً:
Eliot, Imperial Spain. p. 233, plaidy, Spanish Inquisition, p. 411.

([2]) Lane_ poole, the Moors in spain, p. 278
عن ذنون، حركة المقاومة العربية...، ص٦٣

([3]) هورتز وبنثت، المصدر نفسه ص٤٢.

([4]) عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المنصرون، ص ٩٩.

([5]) المرجع نفسه، ص ١١٢.

([6]) المرجع نفسه، ص١١٣ ، هورتز وبنثت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٤٣.

(7) J.C.Baraja: los moriscos….p. 198.

([8]) هورتز وبنثيت المرجع نفسه ، ص ٤٣، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١١٣.

([9]) هورتز وبنثت ، المرجع نفسه، ص ٤٣، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص١١٣.

وطرد الأسبان والبرتغاليين من مراكزهم في هذه البلاد ولهذا عقد اتفاقاً سرياً سنة ١٥٦٩م مع الثوار المسلمين في بلاد الأندلس كان عليهم بمقتضاه أن يقوموا بثورة عارمة في الوقت الذي تصل فيه القوات الإسلامية من الجزائر إلى مراكز مخصوصة على الساحل الأسباني ونجح العلج علي في إنزال الأسلحة والمتطوعين على الساحل الأسباني عام ١٥٦٩م وفي هذا الوقت -ترامت إليه أنباء عن استعداد دون خوان أمير النمسا لغزو الجزائر فعدل عن مشروعه مؤقتاً...(١)وفي نفس الوقت بدل خوان دي استوريا قيادة جيش فيليس عندما كانت قواته تحاصر جيليرا منذ بداية ديسمبر واستولى عليها في العاشر من يناير بعد معارك وحشية.(٢)

في هذا الوقت كان يوجد ثلاثة جيوش:

الجيش الأول بقيادة خوان دي استوريا وقد استولى على سيرون في مارس ثم ما لبث أن انهزم فواصل سيره متجهاً إلى البشرات التي وصل إليها في نهاية إبريل وهناك أقام معسكره العام في لوس بادوليس حيث انضم إليه جيش الماركيز ديسيس قائد الجيش الثاني وكان قد خرج من غرناطة في فبراير واجتاز البشرات من غربها إلى شرقها وأما الجيش الثالث فكان يقوده دون أنطونيو دي لونا وقد خرج من أيني كير ووصل إلى جبال "بنتو ميث" في الأيام الأولى من مارس (٣) وأما الموريسكيون فقد تحولوا إلى الحرب الدفاعية وانقسموا إلى قسمين في تقييمهم لاستمرار القتال فبينما كان بعضهم ومن بينهم (ابن أبوه) يفضلون مواصلة القتال مهما تكن النتائج نجد آخرين برئاسة الحبقي يرغبون بالتفاوض من أجل الإستسلام(٤)

المرحلة الرابعة: من إبريل نوفمبر من نفس العام وتميزت بمزيج من المواقف غير الواضحة فالعمليات العسكرية غير منتظمة كما يبدو أن الاتصالات الأولى بين أحد ساكني جوادكس ويسمى "هيرنا ندو دي باراداس" والحبقي تعود إلى مارس وربما إلى فبراير ولكنها لم تسفر عن أية نتيجة إلى أن تمت اجتماعات فوندون في "أينداراكي" التي جرت من ١٣-١٩ مايو (ويبدو أن هذه اللقاءات كانت بقصد مناقشة التوقف عن القتال) (٥) حيث اجتمع الونسو (دي غرانادا فينيجاس)(٦) والحبقي ممثلين عن ابن ابوه(٧) فاقترح الحبقي شروط الاستسلام

---

(١) عبد العزيز الشناوي الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ٢، ص ٩٢٦.
(٢) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٤٣.
(٣) هورتز وبنثنت ،المرجع نفسه، ص ٤٣ عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون ص ١١٣-١١٤.
(٤) هورتز وبنثنت ،المرجع نفسه، ص ٤٤.
(٥) المرجع نفسه، ص ٤٤ ، حومداسعد ، محنة العرب، ص ٣٣٣.
(٦) هو حفيد يحيى النيار – ابن السلطان أبي الحسن ، من زوجته الأسبانية ثريا انظر حومد، محنةالعرب، ص ٣٣٣.
(٧) Luis del Marmol Carvajal : abra. Citada, Madrid, 1. 797 Libro IX. Capt. I . pags .355-358.
- Gines perez de Hita: obra capt. Capt. XXV. Paginas 342-353.

وأرسلت إلى ضون خوان النمساوي فاجتمع في مجلس خوان وقرر أن يفاوض الحبقي " ابن ابوه" ويعطي الحبقي تفويضاً كاملاً ليرسل الموريسكيون مع عريضة تبين ما يريدون تجنباً للشكوك وفي التاسع عشر من أيار عام ١٥٧٠م. عاد الحبقي إلى اندرش يحمل عريضة التفويض الكامل للمسالمة من (ابن ابوه)وتم الاتفاق على شروط الإستسلام التي تضمن للمورسكيين حياتهم وأملاكهم وتؤمنهم من الإعتداء عليهم وتسمح بإقامة العلاقات بينهم من زواج وغير ذلك وقد تم كل ذلك في بادول (Padules) في الثاني والعشرين من الشهر نفسه([1]) وتنفيذاً لذلك الاستسلام تقدم الحبقي ممثلاً عن ابن ابوه إلى خيمة ضون خوان النمساوي التي كانت محاطة بمستشاريه وقادته وألقى سيفه وعلم الاستسلام عند قدمي ضون خوان النمساوي فأعاد إليه سيفه ومنحه الأمان بألا يعتدى عليه ولا يزعج ولا يلاحق ولا ينهب هو والموريسكيون لكي يعيشوا بأمان مع أسرهم ضمن المملكة إلا البشرات. وعاد الحبقي إلى ابن ابوه ليعلمه بمراسيم الاستسلام التي جرت ويسلمه وثيقة الاستسلام وعين ضون خوان مندوبين لقبول استسلام الموريسكيين لكن " ابن ابوه" لدى اطلاعه على فحوى الوثيقة عرف حقيقة الأمر وعلم أنها مزورة تختلف عن التي وقعها وعلم أن الحبقي قد خانه فرفض الاستسلام.([2])

وهكذا توقف الكثير من الموريسكيين عن متابعة القتال، وهرب بعضهم إلى شمال أفريقيا لا سيما بعد أن حدث خلاف بين "ابن ابوه" و " الحبقي" وقد ضيق "ابن أبوه" الدور الذي لعب "الحبقي" ولهذا أمر باحتجازه وقتله.([3])

وفي الثلاثين من شهر تموز عام ١٥٧٠م بعث ضون خوان النمساوي مبعوثاً يتفاوض مع ابن ابوه حسب طلبه وعندئذ أخبره "ابن ابوه" بكبرياء: (ما دمت قد انتخبت ملكاً فإنني لن استسلم ولو بقيت وحدي في البشرات ثم أن لدي عند الملمات كهفاً فيه من الماء والغذاء ما يكفيني ست سنوات وهذه المدة كافية لأحصل فيها على مركبة تقلني إلى بلاد البربر).([4])

([1]) مؤلف موريسكي مجهول، ص ١٤٧-١٤٨. عن: محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٩٤.

(١)محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٩٤.
(٢) هورتز وبنشت ، تاريخ مسلمي الأندلس ص ٤٤ ، ذنون ، حركة المقاومة العربية...، ص ٦٧، عنان، نهاية الأندلس ص ٣٥٦، حومد، محنة العرب، ص ٣٣٤-٣٣٥، حتامله، الأندلس، ص٧٩٥
([4]) محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٩٥.

وبعد أن بلغ ضون خوان النمساوي كبرياء "ابن ابوه" ومقالته شكل جيشين على رأس أحدهما ريكسنس (Requesens)([1]) كبير أعيان ورئيس الرهبانيات العسكرية في ليون([2]) ليدخل البشرات وتوجه خوان النمساوي ودوق سيسا إلى وادي آش ليلتقي الجيشان في وسط الجبال.([3])

وفي شهر أيلول عام ١٥٧٠م شن ريكسنس هجومه الشامل على البشرات فقتل الشيوخ والأطفال وبقر بطون الحوامل ووزع النساء الموريسكيات على جنوده وأسر الكثير فبيعوا عبيداً وكان يشعل النيران على مداخل الكهوف ليخنق من في داخلها فإن حاول الخروج حرقته النار وإلا مات مختنقاً.([4])

وفي الثامن والعشرين من تشرين الأول عام ١٥٧٠م أمر الملك فيليب الثاني شقيقه ودوق بيدرو سيسا بإخراج جميع الموريسكيين من مملكة غرناطة سواء أمسالمين كانوا أم مستسلمين ليرسلوا إلى قشتالة.([5])

وأخيراً اغتال "ابن ابوه" عام ١٥٧١م موريسكيون أرسلهم الأسبان وهم من أقارب ابن أمية ليتفاوضوا معه وقتلوه مع جميع مرافقيه من الموريسكيين.([6])

إن الوصف الذي قدمه" دييغو هورتادو دي ميندوزا" و"لويس ديل مارمول كار باخال" و"خنث بيريث دي هيتا" كان فيضاً من التفصيلات يسمح لنا بأن نبرز المميزات العامة للصراع أما "خوليو كارو باروخا" فقد أعطى صورة مفصلة.([7]) ويمكننا من ذلك كله أن نستخلص أن الموريسكيين كانوا يستفيدون بشكل جيد من جغرافية الأرض ويتحصنون بالأماكن المنيعة ويتخذونها قاعدة لعمليات سريعة وجريئة وكانوا يعيشون على حساب الدولة ويحاولون نشر المجاعة في صفوف أعدائهم وذلك بحرق الحقول وتحطيم الطواحين([8])حيث يري "بيريث دي هيتا" أحداث غارة قام بها فرج بن فرج " الأسود" بهذه الكلمات: (القائد الأسود فرج) اغتاظ وجرى لأن فرسان "لوركا" غنموا منه مغنم وعاملوا رجاله معاملة سيئة فعاد وانضم لحملته وفي جراة شيطانية خرج من " كورخينا" عبر حقول "جواركل" ووصل إلى ميناء "يوركا" حيث

([1]) لويس دي ريكسنس، Luis de Requesnes استقدمه فيليب الثاني من إيطاليا للمساعدة في إخماد الثورة وكان برفقته قوة بحرية قوامها (٢٤) سفينة : ننون ؛ حركة المقاومة...... ص ٦٧، محمد عبده حتامله، الأندلس، ص٧٨٧.

([2]) محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٨٧.

([3]) مؤلف موريسكي مجهول ، ص ١٤٩ عن حتامله ، الأندلس ص ٧٩٥.

([4]) محمد عبده حتامله، الأندلس، ص ٧٩٥.

([5]) المصدر نفسه، ص ٧٩٥.

([6]) مؤلف موريسكي مجهول، ص ١٥١. عن حتامله، الأندلس، ص ٧٩٦.

([7]) هورتز وبنشت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٤٤.

([8]) المرجع نفسه، ص ٤٤.

تمتلئ المناطق بمحاصيل القمح والشعير مع كثير من الحبوب المدروسة والمعدة للدرس وكل هذا حرقه الشرير"([1])

ومن حيل الحرب التي استخدمها الموريسكيون حرق عجلات ومحاور ماكينات ومعاصر الزيتون ليصعب التزود بالدقيق وقد استخدمت السرقات والنهب خلال فترة الحرب والنهب الذي مارسه فرج بصفة خاصة كان مشهوراً حتى أنه في ٢٧ إبريل سنة ١٥٧٠م كتب " اورتادو دي مندوثا" "إن الأعداء يأتون إلينا يأتون إلى أبواب المكان حيث يحملون في كل يوم مواشي وأناس ودقيق حتى أنهم يحملون الطحانين أنفسهم" وكانت القوات تحمل معها كميات كبيرة من المواشي يستخدمونها مصيدة ويعبر "اورتادو دي مندوثا" في رسالة بعث بها إلى الكاردينال "اسبينوسا" عن الأسلوب الذي تبناه الموريسكيون للتنقل بدوابهم وممتلكاتهم الأخرى من هنا إلى هناك ويذكر " مارمول" أنهم كانوا يطلقون الأبقار المنهوبة في اتجاه نهر "سيرون" بهدف إثارة طمع الجنود ثم الهجوم عليهم بعد ذلك([2]) وكانت حملات المسيحيين تتكون من فرق المدفعية ومن الميليشيات المدعمة بالفرسان لكن القوات فقدت نظامها وانكبت على نهب المواشي والحرير والذهب والعبيد وفر الكثيرون من الجندية.([3])

لقد مارس الموريسكيون حرب العصابات فكانوا يتجنبون وبكل حرص القتال في أرض مكشوفة فقد كانوا ينهزمون في كل المرات التي قاتلوا فيها في الأراضي المكشوفة([4]) إن وصف بعض المؤرخين لتكتيكهم يجعلنا نفكر في الأنظمة التقليدية وهي أسلوب الغارة أو الهجوم المفاجئ، بمجموعات صغيرة فرساناً أو رجالة وكذلك نصب الكمائن وكانوا يعلنون عن هجماتهم من خلال الصياح وكذلك من خلال ضوضاء الطبل والناي وكانوا يستخدمون أسلحة قديمة مثل البنادق القديمة والسيف والمنجنيق والمقلاع وقد اشتهر الثائرون في "المرية" باستخدام المقاليع ولإنذار المحاربين استخدمت المداخن نهاراً واستخدم رفع النيران على الأماكن العالية ليلاً.([5]) وقد حاول ابن أمية تقليد النظام العسكري المسيحي في لحظة معينة بسبب تواضع نتائج الحرب يعني أنه قسم قواته إلى فصائل كل فصيلة تتكون من عشرة جنود

([1]) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٠١.

([2])- J. Caro Baroja; Los moriscos….pp, 181-187.

([3]) عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المنصرون، ١٠٢.

([4]) هورتز وينثت تاريخ مسلمي الأندلس ص ٤٥.

([5]) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون ، ص ١٠٠-١٠١.

وكل مجموعة من الفصائل تكون كتيبة لها قائد وكل مجموعة من القوات تتبع قائداً أعلى وكل إقليم أوTaa له حاكمه أو عمدته ومع ذلك فلم تعط هذه المحاولة الثمار المرجوة.[1]

المقاومة الموريسكية المسلحة:

اعتبر الأسبان مقاومة الموريسكيين ضمن أعمال اللصوصية El bandolersmo التي كانت سائدة بأسبانيا آنذاك نتيجة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعرفها المنطقة لكنها كانت غير ذلك بالنسبة للموريسكيين فهي تدخل في إطار المواجهة الحضارية المستمرة بين المسلمين والمسيحيين وبالتالي فإن الأعمال التي كانوا يقومون بها لم تكن في نظر الموريسكيين قط أعمالا إرهابية أو لا أخلاقية وعفوية بل كانت أعمالا هادفة ومخططاً لها مسبقاً فهي من قبل الأعمال الفدائية وحروب التحرير لمقاومة موجات القمع الأسباني الموجه ضدهم لمسخ حضارتهم ونفي كيانهم.[2]

وترتكز المقاومة الموريسكية على ثلاثة عناصر:

١- Gandules : هم أعضاء المليشيات المسلحة بالمدن وينضم إليها غالبا الشبان وهي مستعدة دائما للقيام بأعمال عنف داخل المدن ويبدو أنه كان لها دور كبير في انتفاضة ١٥٦٨م بغرناطة.[3]

٢- Piratas : وهم في مفهوم النصوص الأسبانية أولئك المجاهدين الذين ينطلقون من شمال أفريقيا انطلاقا من الجزائر وتطوان والعرائش وسلا للقيام بغارات على السواحل الأسبانية. وهم يعملون دائماً بنفس الطريقة. ويقود هؤلاء بعض الموريسكيين المهاجرين وينزلون أول الأمر في مكان خال ومن هناك ينطلقون إلى قرية ما ويقومون بعمليات انتقامية ضد المسيحيين والعمليات من هذا النوع متعددة خلال القرن السادس عشر على السواحل الأسبانية انطلاقا

---

(1) عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص ١٠١.

(2) رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب....ص ٨٧.

(3) B.Vincent, "Les bandits morisques en Andalousie au XVI, siecle," in Revue d'Historie moderne et contemporaine 1974, XXL, p. 389. عن رزوق: الأندلسيون....ص ٨٧- ٨٨.

من قادس إلى جزر البليار([1]) وكثيرا ما تؤدي هذه العمليات إلى المشاركة الفعالة للموريسكيين بالمنطقة الذين غالباً ما يكونون على علم بالحملة.([2])

٣- Monfies : المنفي في قاموس الأكاديمية الأسبانية هو المغربي أو الموريسكي الذي يشكل جزءاً من عصابات Salteadores ([3]) بمنطقة الأندلس بعد عمليات إعادة الغزو فالمنفي بالنسبة للأسبان هو عبارة عن مجرم لا غير.([4])

وقد كانت للمجاهدين البحريين شبكة قوية من المعلومات داخل أسبانيا بواسطة المنفيينMonfies ([5]) ولقد شكلوا قوات الهجوم الأولى في الثورة وكانوا جميعا من أصل ريفي.(٢)

مميزات الحروب الموريسكية:

نستطيع أن نضرب العديد من الأمثلة على ما تميزت به هذه الحرب التي لم تكن منضبطة أو مراعية للحقوق ففي الثالث من فبراير عام ١٥٦٩م توجه ٨٠٠ رجل بقيادة فرانسيسكو دي كوردوبا فاستقبلهم الموريسكيون بالحجارة ليدفعوا عن أنفسهم شر تلك القوة المهاجمة لكن المعركة حسمت بعد ثماني ساعات بقوة السلاح الأبيض وتداعت المقاومة الموريسكية بعد أن قتل ٤٠٠ من الموريسكيين وأسر ٥٠ رجلاً حيث أرسلوا للعمل في المناجم أما ضحايا النصارى فقد جرح أكثر من ٣٠٠ رجل تبعاً لما ذكره مارمول واسر النصارى ٢٧٠٠ من النساء والأطفال وأصبحوا عبيداً واستولوا على أموال الموريسكيين كلها وقد سبب توزيع هذه الغنائم شقاقاً بين زعماء النصارى وكل هذه الأحداث تمت في منطقة آينوكي.([6])ثم بعد ذلك

([1]) عن: رزوق، الأندلسيون ....ص ٨٧ – ٨٨ B. Vincent, op. cit. p. 390.

([2]) رزوق، المرجع نفسه، ص ٨٨ .

([3]) آتية من Saltea أي الذي يهاجم بالسلاح.

([4]) عن: رزوق، الأندلسيون... ص٨٨ B.Vincent , op. cit. p . 390.

([5]) عن: رزوق، الأندلسيون،.....ص ٨٨ B. Vincent, op. cit. p...390

([6]) هورتز وبنشت ، تاريخ مسلمي الأندلس ، ص٥٦

بأيام استولى الماركيز دي مندوجر بعد صعوبات جمة على حصن غواخار فقتل من بداخله من النساء والرجال.([1])

عدد قوات المعسكرين:

– الثوار الموريسكيون: من الصعب معرفة الأرقام الحقيقية للموريسكيين فبينما نجد المؤرخين يبالغون بزيادة أعداد أعدائهم بدون حد وهم بذلك يتبعون سيرة القادة النصارى فتبعاً لما ذكره دي سيسا نجد عدد المتمردين قد وصل في فبراير عام ١٥٦٩م إلى (١٥٠٠٠٠) من بينهم (٤٥٠٠٠) بعمر يمكنهم حمل السلاح فيه.([2]) وأما بيانات النصر التي كانت تعلن حين ذاك فقد كانت تتبع نفس الأسلوب فتبعاً لما ذكره مارمول فإن جيش الماركيز دي مندوجر قتل في الحملة الأولى مائتين من الأعداء في درقال...إلخ.([3]) ويشير نفس المؤرخ في مناسبة أخرى بأنه قتل من المسيحيين ٤٠٠ وجرح الكثيرون وفقدت أسلحة كثيرة حسب الرواية الإسلامية أما نحن فقد علمتنا الحروب إخفاء الخسائر فقط قتل منا ستون وألحقنا خسائر عديدة بالأعداء.([4]) والإشارات الأكثر صحة في تقدير عدد المسلمين الثائرين فيمكن الاعتماد على مصادر أجنبية مثل سفير فرنسا فوركفووسفير جنوة صولي([5]) فإن الموريسكيين الثائرين كانوا في البداية (٤٠٠٠) ثم أصبحوا (٣٠،٠٠٠) في أوج الحركة و (٢٥٠٠٠) في ربيع عام ١٥٧٠م منهم (٤٠٠٠) تركي وبربري وكل هذا يبدو محتملاً إذا نظر إليه على أنه يمثل الحد الأقصى لأن رقم (٣٠٠٠٠) يعني تجنيد كل القادرين على حمل السلاح ولعل ميزة هذه التقديرات أنها تبين لنا إلى أي مدى تحركت الأغلبية الساحقة من الموريسكيين([6])

القوات الأسبانية: أما القوات المسيحية فتقديرات المؤرخين فيها أقرب إلى الصحة نظراً لأنهم اشتركوا في العمليات واستطاعوا الحصول على معلومات مؤكدة([7]) كان عدد القوات قليلاً في الجانب النصراني على امتداد سنة ١٥٦٩م فقد تعرض سهل "أينكس" لهجوم عدد يتراوح بين (٧٠٠ – ٨٠٠) جندي مسيحي ببندقية قديمة، و ٤٠ فارساً وغارة "غويخار" بقيادة دون خوان والدوق دي سيسا قام بها ٩٠٠٠ من المشاة و ٦٠٠ فارس ولمحاصرة " جاليرا" أعد خوان

([1]) المرجع نفسه، ص ٤٥.
([2]) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٤٦.
([3]) المرجع نفسه، ص ٤٧، عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المنصرون، ص ١١٥ عن: مارمول، ص ٣٠٥.
([4]) Marmol: Historia de la Rebelion,... Libero X. cap. VIP.298 Y ss.
عن :عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ١١٥.
([5]) هورتز وبنثنت، المرجع نفسه، ص ٤٧،رزوق الأندلسيون وهجراتهم،٠٠٠،ص٩٣.
([6]) المرجع نفسه، ص ٤٧، المسلمون المنصرون، ص ١١٥-١١٦.
([7]) هورتز وبنثنت ، ص ٤٧.

حوالي ١٢٠٠٠ جندي و "دون دي سيسا" من (٨٠٠٠-١٠٠٠٠) بقليل استخدموا في المرحلة الحاسمة للحرب والفرق الأساسي بينهم وبين المسلمين كان في النوعية أكثر منه في العدد.(1) وكان الجنود المحنكون أيضاً مشغولين بالقتال خارج حدود البلاد ولهذا اضطر الملك أن يطلب قوات طوارئ لحماية المدن وكان التدريب والحماس ينقص هؤلاء ولهذا استسلمت بعض المدن في المرحلة الحاسمة للثورة بسهولة وكان ذلك أمراً عادياً (2) وقد برره المستسلمون بأنه " ليس هناك رجال يمكن أن يوجدوا فقد هربوا إلى الفلاة وفي قرى أصحاب الإقطاع حيث يتوافر أمن أكثر وأنها لخطيئة كبرى أن يبقى محصول القمح بلا حصاد وأن يبقى الكرم بـــلا عنايـــة وإن حدث شيء من ذلك فإن النساء يقمن به".(3)

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن هذا التاريخ يقع في المرحلة الأشد صعوبة والتي كثـــر فيهـــا الموريسكيون وأصبحوا يقاتلون باستماتة وكانوا يسببون أضراراً كثيرة للنصارى. ومما يلاحظ قسوة المعارك التي انتشرت في قشتالة مما أضعف حماس أولئك الذين أرادوا الانضمام للجيش على الأقل الحصول على غنيمة كبيرة بتضحية قليلة.(4)

وتبقى هناك ملاحظة لها قيمتها لما لها من ارتباط في قضية الثورة وهي من هؤلاء الذين ثاروا ومن المعبر عن حركتهم؟ لقد أشار(Julio caro Baroja) إلى أن الزعماء المسلمين كـــانوا يتنافسون ويتباغضون منذ البداية وقد انتمى هؤلاء الزعماء إلـــى جـــذور متعاديـــة بـــصورة تقليدية.(5)

(1) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٤٨، عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون،ص١١٦

(2) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١١٦.

(3)-Diego torrente perez. Documentos Para historia de sanclemente II P 109, Madrid 1975.
حيث طلب من قرية في قشتالة تسمى (سانت كليمنت) تقديم ٤١ جندياً فأجابت البلدية في ١٢/٣/١٥٧٠ بالعبارة الموجودة
وانظر: هورتز وبنثنت، المرجع نفسه، ص ٤٨.

(4) هورتز وبنثنت ، المرجع نفسه، ص ٤٨-٤٩, عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١١٦.

(5) Julio caro Baroja los moriscos…pp. 189.

الفصل الخامس

موقف القوى المعاصرة من ثورة (١٥٦٨م)

الدولة العثمانية والمشكل الموريسكي

موقف الدولة العثمانية من المشكل الموريسكي :

لقد اشتهر الأتراك العثمانيون في هذه الفترة بأنهم الوجوه الحقيقة للإسلام([١]) وأن قدرتهم أصبحت إحدى المعطيات المميزة للسياسة والفكر الأسبانيين([٢]) وأن انتصاراتهم قد منحت الموريسكيين مناخاً للمقاومة الشديدة ضد تعميدهم ودمجهم في المجتمع الأسباني([٣]) وهذا ما جعل الكاتب الشهير سرفانتس (Cervantes) يصرح بأن الأتراك العثمانيين قد أرسلوا للانتقام من ذنوب المسيحيين. ([٤])

ماذا كان موقف العثمانيين تجاه المسألة الموريسكية؟ ثم ماذا كان وزن هذا المشكل على سياستهم العامة بالبحر الأبيض المتوسط وفي أوروبا؟ لا شك أنه انطلاقاً من الاستيلاء على القسطنطينية (١٤٥٣م) والانتصارات العسكرية التي تحققت في أوروبا الشرقية أصبح الأتراك العثمانيون يتمتعون بوزن ديني وعسكري وسياسي ذي أهمية كبرى في هذا التوازن في البحر الأبيض المتوسط.([٥])

ولا شك أن المشكل الموريسكي والأخبار الموريسكية كانت تتناقل وتناقش وتنتشر عبر العالم الإسلامي وأننا لا نستغرب على ضوء ذلك أن تعظم سمعة الإمبراطورية العثمانية وشهرة أسطولها وقوة جيوشها البرية ذلك أن الإسلام في إمبراطورية العثمانية يحتل المكانة الأولى([٦]) وقد صرح مفتي وهران في رسالة كان قد وجهها إلى مسلمي الأندلس سنة ١٥٠٣ قائلاً:" إني أدعو المولى سبحانه وتعالى أن يغير الأحداث لصالح دين الإسلام، وحتى تتمكنوا من عبادة الخالق دون لوم أو أي خوف وهذا بفضل التحالف مع الأمراء والأتراك"([٧]) وبالفعل فقد أصبحت استانبول منذ بداية القرن السادس عشر "الأرض الموحدة" بالنسبة للمضطهدين سواء

([1])Albert mas, les Tures dans L2 litterature espagnole siecle d'Or, t.l.p. 202, Paris, 1967.
([2])Mas,op.cit,.t.2,p.154.
([3]) Mas,op.cit,.t.2,p.284.
([4])Mas,op.cit,.t.1,p.333.
([5]) V.S.parry, "Bayazid II,, in , Encyclopedie de l'Islam (E.I.), t. I, pp. 1153-1155

([6]) Mas, op. cit,. t. I ,p . 11.

([٧]) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، ص ١٢.

أكانوا مسلمين أو يهود، وأن عدداً من الموريسكيين قد حاولوا التحول إليهـا إلا أن الأغلبيـة كانت تفضل مجيء الأتراك العثمانيين إلى اسبانيا.(١)

"ومع هذا فإن اللاجئين الموريسكيين والأقلية الموريسكية أخذت في الازدياد وأصبح بإمكـانهم أن يلأبوها دوراً رئيسياً لإحاطة رجال الدولة العثمانيين بالوضع المؤلم والحقائق المذهلة لكـل ما يتعلق بالموريسكيين ذلك أن هؤلاء " كانوا متيقنين من إعانة السماء والأتراك لهم"(٢) أمـا قنصل البندقية فقد ذكر أن عدداً كبيراً مـن اللاجئـين الموريـسكيين يمتهنـون الترجمـة أو الاستخبارات(٣) لفائدة الإمبراطورية العثمانية وأنهم يؤمنون كل المراسلات تقريباً والتي كانت تتم مع الإيالات المغربية ومع المدافعين عنهم أينما كانوا.(٤)

إن مختلف المعلومات التي كانت تصل إلى مركز الإمبراطورية العثمانية عـن الموريـسكيين ابتداءً من النصف الثاني من القرن السادس عشر تؤكد بصورة لا مجال للشك فيها أن رجـال الدولة العثمانيين كانوا يراقبون ويتابعون عن كثب معطيات المشكل الموريسكي وقد ذكر أحد التجار الألمان المقيمين باستانبول حوالي ١٥٦٠م أن الشائعات كانت تروج بمركـز الخلافـة العثمانية حول وجود ٨٠ ألف موريسكي قد التجئوا إلى فاس وأنهـم اعتنقـوا البروتـستانتية لغرض الانتقام من محاكم دواوين التفتيش الأسبانية(٥)

وقد أعلن بعضهم أنهم: " سوف يلحقون الضرر بالمسيحيين مثل ما فعل هؤلاء بالموريـسكيين بأسبانيا"(٦)

وقد نتج عن ذلك حركة دائبة من الزيارات بين مركز الإمبراطوريـة العثمانيـة والإيـالات المغربية وأسبانيا ونستنتج من مراجعة المصادر المتاحة مـدى اسـتمرارية واتـساع مجـال الاتصالات على أعلى مستوى وعلى مر السنين والأحداث وكيف أن تلك الاتصالات كانت لها

---

(1) Mas, op. cit., tI , p. 151
(2) Cardaillac,<<..le Turc, supeme espoir des Morisques>>in, actes du premier congres d'histoire de la Civilisation du Maghreb,t. 2, p. 40, Tunis, 1979.
(3) Braudel,,<<Conflits et refus de civilisation. Espagnols et Morisques au XVIe siecle<<,in, Annales, E.S.C, 1947, p. 402.
(4) Braudel, La Mediterrance....op. cit. ,t. 2, p. 360
(5) Guy Turbel – Delof, L'AFrique Barbaresque dans La litterature francais aux Xvle et XVIIe Siecles, p. 230 , Geneve, 1973.
(6) Cardaillac, <<Le passage des Morisques en Languedoc<< in. Annales du Midi, t. 83 . n° 103, 1977,p. 40

أبعد الأثر على حركية الأحداث السياسية بكل الإيالات المغربية وأسبانيا.(١)

وعلى ضوء ذلك فإن نشاط الدول العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط وتجاه المشكل الموريسكي يأخذ بعداً جديداً وأهمية خاصة وسوف نركز على نتائج تدخل الدولة العثمانية لفائدة الموريسكيين.

أنه انطلاقا من سنة ١٥١٩م عندما ربطت ولاية الجزائر بالإمبراطورية العثمانية يمكننا أن نتجسس على ضوء الأحداث خلفية الموقف العثماني وغايته بالنسبة لموقفه في القضية الموريسكية وهو الاهتمام الذي سيظهر على جميع المستويات كالتدخل المباشر وتقوية الوجود العثماني أو ربط الصداقة والتعاون مع فرنسا وفتح طرابلس الغرب والمهدية وجربة والقيام باتصالات مع مسؤولي المغرب الأقصى وتونس للتنسيق مع بعضها بعضا في مواجهة عدو مشترك.(٢)

الدولة العثمانية والثورة الموريكسية الكبرى ١٥٦٨م :

تشير المصادر إلى إرسال الموريسكيين للوفود والسفراء إلى السلطان لطلب النجدة والأسلحة والذخيرة(٣) أما بلاط مدريد فكان على علم تماما بعلاقات الموريسكيين بالعالم الإسلامي .

وأن أغلب المؤرخين ومدوني الوقائع أو القساوسة وحتى الشعراء فقد اتهموا الموريسكيين بارتباطهم بالأتراك العثمانيين(٤) و هذا ما زاد في تخوفات فيليب الثاني خاصة بعد الشائعات التي كانت تروج بكثرة حول تهديدات الأسطول العثماني وتدخله في الثورة الموريسكية بغرناطة.(٥) أما الصدر الأعظم محمد صوقللي الذي عرف بورعه وتقواه والذي أحيط علماً بمحن الموريسكيين عن طريق العديد من الرسائل التي وجهت إلى الباب العالي فإنه قد قرر إنجادهم عندما اتخذ إجراءات في منتهى الأهمية أحدها تمثل في توجيه مرسوم سلطاني إلى بيلر باي الجزائر العلج علي باشا يطلب منه تقديم المساعدة إلى الأقلية الموريسكية أما الإجراء

---

(1)Ch. De La Veronne, << Relations entre Le Maroc et la Turquie dans la seconde moitie du XVIe siecle et le debut du XVIIe siecle (1554-1616) , in , Revue de JOccident Musulman et de la Mediterrance (R.O.M.M) n° (15-16) . p.p 391-401, Aix 1973.

(2) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، ص ١٥-١٧.

(3) ليلى الصباغ، "ثورة مسلمي غرناطة عام ٩٧٦ه/ أواخر سنة ١٥٦٨، والدولة العثمانية" مجلة الأصالة ، عدد ٢٧، ص ١٦٣ ، الجزائر، ١٩٧٥م.

(4) Mas, op. cit. t. p. 534.

(5)Braudel, La Mediterranee….op. cit., t. II p.363

الثاني فقد تمثل في إرسال فرمان سلطاني إلى الأقلية الموريسكية الأندلسية نفسها يحيطها علماً باتخاذ الإجراء الأول.([1])

ويبدو أن الصدر الأعظم كان يخطط للهجوم على أسبانيا لغرض مساعدة موريسكي غرناطة الثائرين وأنه اقترح على السلطان القيام بحملة على أسبانيا بدل قبرص([2]) ولكن بطانة السلطان وخاصة مستشاره اليهودي (جوزيف ناسي) كانوا يؤيدون بكل قواهم فكرة الإتجاه نحو قبرص لاستخلاصها من البندقية فالنصر سريع ويعيد إلى حاشية السلطان حظوتها ويدعم مركزها ويزيد من نفوذها([3]) كما أن استجابة فرنسا للتحالف مع الأتراك كانت ضعيفة جداً لأن الملك شارل التاسع كان يعيش أوضاعا داخلية صعبة تحت وطأة رجال الدين الكاثوليك . خاصة أن الأجواء في البحر الأبيض المتوسط في شتاء سنة ١٥٧٠م كانت أسوأ من سابقاتها وبالتالي يصعب القيام بأي عمل عسكري بدون مخاطر كبيرة.([4]) ويضيف (بروديل) إلى العوامل السابقة عاملاً آخر يتلخص في بعد المسافة حتى أنه ينفي تماما تفكير الدولة العثمانية في غزو أسبانيا ومساعدة ثوار غرناطة.([5])

وفي المرسوم الذي وجهه الصدر الأعظم العثماني إلى بيلر باي الجزائر بتاريخ ١٦ إبريل ١٥٧٠م أظهر المسؤولون العثمانيون معرفتهم الجيدة والدقيقة لمسألة " أهالي الأندلس" وبالمحن التي الحقها بهم مضطهدوهم وقد طلب من بيلر باي الجزائر أن يقدم جميع المساعدات وبكل الوسائل الممكنة التي يراها صالحة وهذا في انتظار قدوم الأسطول العثماني.([6])

أما المرسوم الثاني الذي وجه إلى الشعب الأندلسي فقد أثار كيف أن عدد الثوار بلغ العشرين ألفا وأن مائة ألف أخرى تنتظر السلاح والذخيرة.([7])

وأعلن أن الدولة العثمانية قد طلبت من بيلر باي الجزائر أن يوفر الأسلحة والذخيرة والمؤونة إليهم وأن رجال الدولة العثمانية يعبرون عن أملهم في انتصار الإسلام:" إنه على ضوء أمري الشريف إلى بيلر باي الجزائر فيقوم هذا الأخير على تقديم جميع المساعدات والإعانات إليكم

([1]) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، الدولة مفترى عليها، ج٢ ص ٩٢٥، القاهرة ، ١٩٨٠ وراجع أيضاً:

John Lynch, Spain under the Habsburgs, p. 219, Oxford , 1965.

([2])عبد الجليل التميمي, الدولة العثمانية ...، ص١٨.

([3]) رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧م ، ص ٩٦.

([4])ليلى الصباغ ، المقال نفسه، ص ١٧١.

([5]) La mediterrannee…. 2: 370.

([6]) عبد الجليل التميمي ، الدولة العثمانية ....، ص١٨، م رزوق، الأندلسيون ..، ص ٩٦.

(7) Braudel, La Mediterrannee…op .cit, t. II, p. 362..

وذلك لما أظهرتموه من همة إسلامية وغيرة الدفاع عن الدين المبين وعدم تركِكم له وهذا على الرغم من الحروب والقتال مع الكفار أذلهم الله إذ أنكم أبديتم كل أنواع الإقدام والشجاعة وحين يكون النصر ميسراً لنا في ذلك الجانب فإن العلماء والصلحاء وسائر أهل الإسلام سوف لـن يتخلوا عن الدعاء لنا بذلك وأن لا تتخلوا عن إعلامنا دائماً بأحوالكم وأوضـاعكم فـي تلـك الجهة"([1]) وقد جاء في هذا الفرمان أنه بعد فتح الدولة العثمانية لقبرص فإن الأسطول العثماني يتحول إلى أسبانيا لمساعدة الموريسكيين.([2])

وقد راجت في هذا الظرف الشائعات أن "شخصية هامة" من الباب العالي قـد وصـلت إلـى الجزائر ليسعى لإحضار المؤونة والذخيرة وتمويل الأسطول العثماني الذي سيقدم في الربيـع لمساعدة موريسكيي غرناطة.([3])

وعلى ضوء تدخل السلطان العثماني سارع العلج علي باشا إلى إرسال ستة سفن كانـت قـد رست قرب المرية محملة بالذخيرة والأسلحة والمدد.([4])

وفي رسالة السفير الفرنسي فوركفو (Fourquevaux) إلى كـاترين دوماديـسيس (C.De medecis) بتاريخ ٦ جانفي ١٥٦٩م أنه :" يوجد ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ تركي صـحبة (أميـر غرناطة) وقد أرسلوا من الجزائر وحتى يوحي (أمير غرناطة) بأن عددهم أكثر من ذلك فقـد عمل على ارتداء عدد من العرب البواسل الزي التركي."([5])

"كما أن المدد قد وصلهم من ملك فاس وحيث تمكن بفضل ثمانية عشر باخرة خفيفة نقل ٤٠٠ عربي وتركي وكذلك الذخيرة..."([6])

وقد ظل الموريسكيون ينظرون إلى العثمانيين كمنقذين وعامل أساسي لإنهـاء الثورة،حيـث أرسل ابن أبوه كتاباً مؤرخاً في ١١ شعبان ٩٧٧ هـ (١١ شباط ١٥٧٠م) إلى مفتي القسطنطينية يستنجد به ويرجوه التوسط لدى السلطان لإنجاد الثورة وتقديم العون الفعال لها وقد وجد نـص

([1]) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، مهمة دفتري رقم ٩ فرمان بتاريخ ١٠ ذي القعدة ٩٧٧هـ/١٦ إبريل ١٥٧٠م.

([2])عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية ......،ص١٩

([3]) Ch . de la Veronne , Les Sources inedites de Ihistoire du Moroc, Archives et Bibliotheques d'Espagne, t.II.p. 153, Paris, 1961.

([4])عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية....، ص ١٩.

([5]) Les Sources inedites....op .cit., Archives et Bibliotheques de France, t. I. 294.

([6]) Ibid.p.299.

الكتاب بين أوراق ابن أبوه في كهف في كاستاريس وأورد المؤرخون الأسبان ترجمته إلى الأسبانية.(١)

مساعدة العثمانيين للموريسكيين بعد الثورة:

وقد استمرت المساعدات العثمانية للموريسكيين كما تؤكده الرسالة التي وجهها السلطان العثماني إلى ملك فاس بتاريخ شهر سبتمبر ١٥٧٣.(٢)

لقد استمر العثمانيون خلال القرن السادس عشر كله على استقبال سفراء ومبعوثين من الموريسكيين والذين كلفوا لطلب النجدة والمساعدة وانطلاقاً من سنة" ١٥٨٩ ثم في أوائل سنة ١٥٩١ بدأ إحضار ٣٠٠ سفينة بالقسطنطينية وأشيع أنها لغرض مساعدة موريسكيي أسبانيا الثائرين..."(٣)

وقد استمرت مساعدات العثمانيين للموريسكيين حتى قرار الطرد النهائي للموريسكيين سنة ١٦٠٩م من خلال المساعي السياسية للإمبراطورية العثمانية لدى معظم الدول الأوروبية لتقديم كل العون والمساعدة وتمكينهم من الالتحاق بالدولة العثمانية في أحسن ظروف الأمن والسلم والطمأنينة. (٤)

---

(1) حومد , اسعد ، محنة العرب في الأندلس، ص ٣٣٠-٣٣١.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول مهمة دفتري رقم ٢٣، ص٢٩٣

(3) Braudel, La Mediterranee.... Op. cit,. Ii, p . 48 et . pp. 502-503.

(4) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين " رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول إلى دوج البندقية حول الموريسكيين" ص، ٤٢ – ٤٣ .

البروتستانت الفرنسيون

العلاقات الموريسكية- البروتستانتية

لا يمكننا أن ندرس المشكل الموريسكي دون أن نتساءل عن نوعية العلاقات القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت. ([1])

إن أسبانيا القرن السادس عشر وللسنوات الأولى من القرن السابع عشر كانت ترى في الموريسكيين والبروتستانت خطراً مضاعفاً على الوحدة الأسبانية وقد واجه الأسبانيون هذين الخطرين سعياً منهم للمحافظة على صفاء العقيدة الدينية والدولة. ([2])

ومن المهم ملاحظة ودراسة التقارب العجيب الذي تم بين الموريسكيين والبروتستانت من خلال أحداث القرن السادس عشر والثلث الأول من القرن السابع عشر. وللعمل على فهمه يمكننا أن نتقدم بتغييرات مختلفة : أولها أن الوضع الاجتماعي والسياسي كان يترجم عن كثير من التشابه إذ هما يعدان فرنسا وأسبانيا بلد إقامتهما الجديدة، مجموعتي الأقلية وحيث وجب عليهما مواجهة السلطة وكلاهما يطمح إلى المزيد من الحرية ويسعى إلى محاربة الأنظمة القائمة. ([3])

ومن جهة أخرى فإن هاتين المجموعتين لهما نفس العدو ويتمتعان بنفس الحساسية الدينية المتشابهة حول كثير من النقاط فإنهما سوف يتخذان مواقف مشتركة. ([4])

ويمكننا أن نتساءل هل هذا التقارب الذي تم بين الموريسكيين والبروتستانت عرضي وهو بالتالي سطحي أم هو يستجيب لدى البروتستانت أو الموريسكيين لأسباب عميقة جداً.([5])

ولا بد من دراسة العلاقات التاريخية الموجودة بين المجموعتين والتساؤل عن سبب القوة الجاذبة الحقيقية التي يجسمها البروتستانت بالنسبة للموريسكيين.([6])

نلاحظ بادئ الأمر أن الأمر يتعلق بمشكل عام يهم العلاقات بين البروتستانت والمسلمين ونقسم العلاقات بين الطرفين إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: علاقات ما قبل الثورة ١٥٧٠م.

([1]) كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١٢٢.
([2])المرجع نفسه، ص ١٢٢.
([3])المرجع نفسه، ص ١٢٣.
([4])المرجع نفسه، ص ١٢٤.
([5]) المرجع نفسه، ص ١٣٠ .
([6])المرجع نفسه ، ص١٣٣.

حيث كانت تخشى محاكم التفتيش وجود علاقات بين الطرفين ودواوين سرقسطة مثلاً كانت منشغلة منذ بداية عهد فيليب الثاني (١٥٥٦ – ١٥٩٨م)، بمصير الموريسكيين والذين كانوا طوال القرن السادس عشر يغادرون أسبانيا ويلتجئون إلى"بيارن" وقد لاحظ مفتشو دواوين التحقيق: " أنه بالنسبة إليهم كان ذلك بمثابة إغراء جديد لأن لديهم مرجعاً قريباً منهم على الحدود نفسها لهذه المملكة وأنه في ظرف وجيز جداً يستطيعون أن يجتازوها"([1]) وفي سنة ١٥٦٥ أحاط السفير الأسباني في باريس– فرنسيس دي البا الملك علماً بتردد أحد الموريسكيين جيئة وذهاباً بين ارغون وفرنسا.([2])

أثناء محاكمة أحد القضايا طلبوا من أحد الشهود ما إذا كان على علم بمصير بعض العرب الذين اجتازوا ارغون متوجهين إلى فرنسا:" وأنه إذا كان يعلم أنه يعيش في هذه المنطقة اللوثريون أو من يعطف عليهم فإنه قد سمع بذلك". وفي إجابته الغامضة اكتفى الشاهد بالتأكيد أنه في بيارن " والتي هي ملك للسيد دوفو ندوم(Da Vendime) بوجود عدد كبير من اللوثريين إلا أنه مع ذلك لا يعلم شيئاً مؤكداً حول اعتناق الموريسكيين المحتمل والذين يعيشون في هذه المناطق".([3]) لقد كان التدخل الفرنسي لدى الموريسكيين حقيقة يعلمها الأسبان.([4])

ونرى من خلال العلاقات القائمة بين الموريسكيين والبروتستانت أن التحرك كان على الخصوص من الموريسكيين نحو البروتستانت إلا أن الاتصال كان سطحيا، فالموريسكيون في أغلب الحالات، قد استفادوا من البروتستانت: من خلال مساعدتهم ومساندتهم السياسية.([5])

المرحلة الثانية: علاقات ما بعد الثورة حتى قرار الطرد ١٦٠٩م([6]) :

نلاحظ من تتبع أحداث الثورة وتطوراتها أن العلاقات مع البروتستانت استمرت حتى ما بعد الثورة ولم تكن الخشية فقط من اتصال الموريسكيين مع العالم الإسلامي بل كان يخشى من تحالف كل أعداء الملك الكاثوليكي" فيليب الثاني" فلقد وصل إلى الملك تحذيرات من كافة الجهات منها ما أرسله إليه أسقف طليطلة:" أتوسل إلى فخامتكم بكل تواضع أن تضعوا في

([1]) عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٢٦، ،
CARRASCO URGOITI (Maria de la Soledad) ,El problema morisco en Aragon al comienzo del reinado de Felipe II ; Madrid ,Castalia, 1969, p 144 .

([2])المرجع نفسه، ص، ١٢٦.

([3])عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين ، ص ٢١.

([4])كارdياك ,الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون, ص١٣٤.

([5]) كارдياك، المرجع نفسه، ص ١٤٣.

([6])ومع وجود ملف تابع لمحاكم دواوين التفتيش بالأرشيف التاريخي الوطني بمدريد يقدم معلومات مهمة حول المؤتمرات التي عقدت خلال سنة ١٥٧٥م.

الاعتبار احتمال وصول الأسطول التركي بقوة إلى بلادنا كما تعود أن يفعل أنــه يوجـد فــي مملكة بلنسية وحدها ٥٠ ألف جندي مسلم بخلاف الموجودين فــي غرناطــة وارغــون مــن الموريسكيين وسيلتقي هؤلاء جميعاً فيما بعد لأنهم يعرفون كل الطرق والسبل وفي هذا مــشقة على هذه الممالك التي ينقصها الفرسان والسلاح والرجال المتمرسون وكــل هــذا لا يجهلــه الموريسكيون وهو عندهم محسوب ومدروس جداً وبانضمام الفرنسيين –أتباع كلفينوس– إليهم لإزعاجنا مع الملحدين" البروتستانت" فإن العناء سيكون كبيراً"([1]).

وكذلك التحذير القادم من رجال محاكم التفتيش في سرقسطة الذي جاء فيه :" أن بدء التمــرد ينبغي أن يكون من ناحية دون أنطونيو البرتغالي وأمير أورنجي اللذين اتفقــا مــع مــسلمي المغرب عن طريق بعض التجار البرتغاليين والموريسكيين الغرناطيين الذين يترددون علــى تلك البلاد وكذلك فإن أمير بيارن ([2]) شوهد مع ملك فرنسا يطلب منه ما وعده به عندما تزوج بأخته من مده برجال للاستيلاء على نافار كما أنه على صلة بالموريسكيين في ارغون الــذين سيساعدونه بالإضافة إلى الأسطول التركي في عملية استيلائه على بلنسية وهم لا يعرفون من أين سيأتي ذلك الأسطول لكنهم يعرفون أنه يجب أن يكون في الجزائر في ١١أغسطس وقــد اتفق كذلك الفرنسيون مع الموريسكيين على أن يمدوهم بكرات من القطــران ليحرقــوا بهــا المناجم وأموال النصارى".([3])

وتشير المراجع أيضاً أن دوروس عرض مساعدته على الموريسكيين من جديد عــام ١٥٧٥م وأن يساعدهم عسكرياً مقابل دعم مالي مقداره ١٠٠٠٠-١٢٠٠٠ اللاكو(Ecus) ، وقد اجتمع

([1]) Archivo del institute de Valencia de Don juan Madrid envio 1 ,p . 136, Madrid 17-3-1582.

عن: عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٥٨، هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس ، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٧٢

([2])وفي هذه الفترة كان والي بيارن السيد دوروس (De Ros) وكانت أطماعه التوسعية معروفة في نافار (Navarre)، وانظر : كاردياك، المرجع نفسه ، ص ١٣٤ – ١٣٥.

([3])عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٥٩، هورتز وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٧٢-٧٣، الموريسكيون في المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الندوة الثانية، سبتمبر ٢٠٠٠م ، ص، ٤١-٤٢.

الموريسكيون في مجلس لهــم – (Almonacid de la Sierra) .([1]) ودرس الموريــسكيون العرض وأخبروا حلفاءهم بأن لديهم الكثير من الأسلحة المخبأة.([2])

ويستمر الموريسكيون بالاتصال بالفرنسيين حيث أرسل موريسكيو بلنسية مذكرة إلى بــاريس سنة ١٦٠٢م طلبوا فيها من ملك فرنسا إنقاذهم من المصاعب التي أثارها ضدهم الأســبانيون وحيث أخذوهم لكثرة إرهاقهم بالضرائب وعدم ممارسة الحرية الدينية وقد ذكروا عن أنفــسهم أنهم إخوة الشقاء.([3])

إن العلاقة بين الموريسكيين والبروتستانت قد تجاوزت مستوى العلاقات البسيطة بين شــخص ومجموعة مختلفة عنه : فالمجموعة الموريسكية، قد توجهت مراراً للملك هنري الرابع بواسطة مبعوثين رسميين للعمل على القيام بانتفاضة عامة بأسبانيا .([4])

وعليه فقد وضعوا مصيرهم بيد الملك هنري الرابع وقد كتبوا له" إننا أصحاب بلنسية نعد ستة وسبعين ألف بيت وأكثر من هذا فإنا أصحاب السيادة ولا نريد أن نسمع شيئاً غير عزيمة ملك فرنسا".([5])

وقد كتب صولي (sully) حول هذا الموضوع في مذكراته :" أن موريسكيي أسبانيا يرغبون بحرارة العمل على التحرر من الأبوهدية التي لا تطاق وهذا بواسطة انتفاضــة عامــة كلمــا لاحظوا وجود أمير قوي وجار لهم مستعد أن يحتضنهم ...خاصة وأنهم قد آمنوا على حريتهم لدينهم وأملاكهم وأشخاصهم وأنهم مستعدون أن يعتنقوا ثقة المسيحيين المصلحين وهذا أكثــر من تحملهم محاكم دواوين التفتيش الأسبانية القاسية"([6])

ومع ما ترتب على الثورة من طرد للموريسكين من أسبانيا فقد سمح لهم هنري الرابــع ملــك فرنسا بادئ الأمر بالإقامة في فرنسا شريطة أن ينضموا إلى "الديانــة الكاثوليكيــة البابويــة الرومانية".([7])

([1]) كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١٣٤.

([2]) هورتز وينتت، تاريخ مسلمي الأندلس ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٧٧ وكارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص١٣٤.

([3]) Mathores , les etrangers en France sous Lancien Regime, paris, Echampion, 1919 , p. 161

([4]) كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص، ١٣٨ ـ ١٣٩.

([5]) كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١٣٥.

([6]) Suite de la troisieme partie de Memoires, ou ceremonies royales d, Etat de Henry ie Granda Re Rome et paris. MDC LXII, IV, P, 381

([7]) كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ص ١٤٠.

ملاحظات على التحالف الموريسكي – البروتستانتي :

١- أن قضية العلاقات الموريسكية البروتستانتية هي قضية سياسية بحتة وأنها أبعد ما يكون عن العطف العقائدي المتبادل وأن هذا التحالف فرضته الملابسات السياسية الظرفية.

٢- ومن جهة نلاحظ رغبة الموريسكيين في التحرر من السياسة الأسبانية القاسية مع ملاحظة الأطماع التوسعية لأمراء بيارن والتي من المحتمل أن تخدم الموريسكيين.

٣- وأن التحرك كان من الموريسكيين نحو البروتستانت فالموريسكيون في أغلب الحالات قد استفادوا من البروتستانت من خلال مساعداتهم ومساندتهم السياسية.

قوى الشمال الأفريقي

تمهيد:

أدرك القادة الغرناطيون أن الثورة أصبحت أمراً لا غنى عنه وقدروا أنه ليكتب للثورة النجاح لا بد لها من توافر عنصرين:

١- المشاركة الفعلية لجماهير العرب في مملكة غرناطة وفي المناطق المحيطة بها على أوسع نطاق ليتوافر للثورة الرجال المحاربون وليجعل اتساع نطاق الثورة صعباً على السلطات الأسبانية حصرها والقضاء عليها في مهدها.

٢- العون المادي بالرجال والسلاح من السلطات الإسلامية في المغرب والجزائر وهذا العون ضروري لنجاح الثورة لأنه يوفر لها السلاح الحديث الذي لم يكن لدى الشعب الأندلسي كثير منه كما يوفر للثورة الرجال والمتطوعين الملمين بأصول الحرب واستعمال السلاح الناري ولذلك شرع هؤلاء القادة بالاتصال بالسلطات المغربية.([1])

وكان المسيحيون ينظرون إلى المسلمين في بلاد الأندلس على أنهم بمثابة" طابور خامس" يعمل ضد الدولة المسيحية ويعاون المسلمين فيصبون جام غضبهم على المسلمين ويضطهدونهم بكل ما يتصور من وسائل ويبالغون في التضييق عليهم ولم يكن أمام المسلمين إلا اللجوء للقوى الإسلامية ممثلة في الدولة العثمانية والحكام في المغرب العربي لإنقاذهم مما يتعرضون له من بطش وقتل وإحراق ومصادرة أملاك...الخ. وكانوا يجدون استجابة أحياناً، وأحياناً كانت الظروف تحول دون تحقيق ما يريدونه. ([2])

الاتصالات مع المغرب:

وقد كشف عن المراسلات المتبادلة بين الفريقين وتبين أن كثيراً منها يتعلق بالستينات من القرن السادس عشر وكان هناك مشروع تألف بين سلاطين المغرب وتركيا ضد فيليب الثاني.([3])

حيث طلب ابن أمية العون من مسلمي أفريقيا فبعث أخاه عبدالله إلى الجزائر ليطلب العون والنجدة ثم اتبعه بسفارة ثانية إلى المغرب برئاسة فرناندو الحبقي.([4])حيث كانت هذه السفارة

([1]) حومد , اسعد، محنة العرب في الأندلس، ص، ٢٩١ – ٢٩٢.

([2])محمد عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢ ص ٩١٥-٩٣٣

([3])عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٦٧

([4])محمد عبده حتاملة، التهجير القسري لمسلمي الأندلس، ص ٤٣

إلى ملك فاس([1]) وأوفد القادة رسلا إلى السلطات المغربية وإلى السلطات التركية في الجزائر يبحثون الأمر معها وقد تكالت مساعي الموفدين بالنجاح إذ وعدهم شريف مراكش بالنجدة إذا استطاعوا حشد قوات ذات أهمية يمكنها إحداث أثر على سير الأحداث.([2]) وقد عثر على رسالتين موجهتان إلى رؤساء المغرب نأتي بمقتطفات منها: الرسالة الأولى قال فيها كاتبها محمد بن محمد بن داوود وهو أحد زعماء الثورة بعد أن افتتحها بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله الكريم:

استمعوا إلى قصة الأندلس المحزنة وهي تلك الأمة العظيمة التي غدت اليوم ضعيفة مريضة يحيط بها الكفر من كل صوب وأضحى أبناؤها كالأغنام الذين لا راعي لهم وفي كل يوم نسام سوء العذاب ولا حيلة لنا إلا المصانعة حتى ينقذنا الموت مما هو أشر وأدهى وقد حكموا فينا اليهود الذين لا عهد لهم ولا ذمة وفي كل يوم يبحثون عن ضلالات وأكاذيب وخدع وانتقامات جديدة ونرغم على مزاولة الشعائر النصرانية وعبادة الصور وهو مسخ لعبادة الواحد القهار ولا يجرؤ أحد على التذمر أو الكلام وإذا قرع الناقوس ألقى القس عظته بصوت أجش وفيها يشيد بالنبيذ ولحم الخنزير ثم تنحني الجماعة أمام الأوثان دون حياء ولا خجل....ومن عبد الله بلغته قضي عليه بالهلاك ومن ضبط ألقي في السجن وعذب ليل نهار حتى يرضخ لباطلهم. وقد علقوا يوم العيد في ميدان باب البنود قانوناً جديداً وأخذوا يدهمون الناس في نومهم ويفتحون كل باب يزمعون تجريدنا من ثيابنا وقديم عاداتنا ويمزقون الثياب ويحطمون الحمامات ونحن إذ نيأس من عدل البشر نستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم معتمدين على ثواب الآخرة وقد حثنا شيوخنا على الصلاة والصوم والاعتصام بالله فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر. ([3])

والرسالة الثانية: وهي موجهة من أحد زعماء الثورة في غرناطة إلى أحد رؤساء المغرب يناشد كاتبها إخوانه المغاربة ويستغيث بهم بحق روابط الدين والعرق ويصف ما قرره حكام قشتالة "من إرغامهم على ترك اللغة وتركها فقد للشريعة وكشف الوجوه الحيية المحتشمة وفتح الأبواب وما أنزل بهم من محن السجن والأسر ونهب الأملاك". ثم يقول:" لقد غمرتنا الهموم وأعداؤنا يحيطون بنا احاطة النار المهلكة إن مصائبنا لأعظم من أن تحتمل ولقد كتبنا لكم في

Gines Perez de Hita: obra. Citada. Capt. XIII Pag.137 ([1])

([2]) حومد، اسعد ، محنة العرب في الأندلس، ص ٢٩٣

([3]) مجلة التاريخ العربي، العدد ١٦، ٢٠٠٠م، ص، ٢٩٩

ليال تفيض بالعذاب والدمع وفي قلوبنا قبس من الأمل إذا كانت ثمة بقية من الأمل في أعماق الروح المعذبة".[1]

ولكن الحكومات المغربية التي وجه إليها هذا النداء كانت في شغل عن الموريسكيين بما تعانيه من تمزقات داخلية.[2]

ونلاحظ من خلال الاتصالات والسفارات مع المغرب أنها تركزت على ثلاث قوى:

١- الدولة العثمانية.

٢- حكام الجزائر.

٣- شريف مراكش وملك فاس ورؤساء المغرب.[3]

سنقوم بتحليل موقف قوى الشمال الأفريقي (الدولة السعدية) وموقفها من الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م. وتحديد البعد المغربي في السياسة الأسبانية الموريسكية.

موقف السلطان السعدي عبد الله الغالب[4] من الثورة الموريكسية الكبرى ١٥٦٨م:

أولاً يجب دراسة موقف الجالية الأندلسية في المغرب من السلطان السعدي من خلال تحليل بعض المصادر.

ظل الوجود الأندلسي قوياً في المغرب بعد موت محمد الشيخ[5] فقد ذكر أحد التجار الألمان المقيمين في اسطنبول (حوالي سنة ١٥٦٠م) أن الشائعات كانت تروج بمركز الخلافة العثمانية حول وجود ٨٠ ألف أندلسي قد التجأوا إلى فاس وأنهم عازمون على الانتقام من محاكم التفتيش الأسبانية. [6]

---

(1) محمد عبدالله عنان، نهاية الأندلس، ط٣، ص٣٦٢-٣٦٣، عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٥ – ٨٦ ، وانظر: Marmol (Carvajal ,Luis d): Historia de la rebellion Y castigo de los moriscos del reino Granada, libro III , cap . IX p. 219 -223.

(2) عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٨٦.

(3) كان المغرب تتنازعه الدولتان الوطاسية والسعدية فانتهى الصراع بينهما بتوحيد المغرب تحت الدولة السعدية، في شوال ٩٦١هـ (٢٢ -٩- ١٥٥٤م).
انظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الرباط ١٩٧٦.

(4) (٩٣٣-٩٨١هـ-١٥٢٧-١٥٧٤م) عبدالله بن محمد الشيخ بن محمد بن زيدان الحسني، الغالب بالله من ملوك السعديين بفاس ومراكش الإعلام ٤: ١٢٨ وانظر ترجمته الإستقصا ٣: ١٧ اليواقيت الثمنية ١٧٦، جذوة الاقتباس ٢ من الكراس ٣٠ وفيه وفاته سنة ٩٨٠هـ.

(5) محمد الشيخ بن محمد بن زيدان الحسني من الملوك السعديين توفي سنة ١٥٥٧م وخلفه ابنه عبدالله الغالب.

(6) Cuy Turbel- Delof, L,Afrique Barbaresque dans la literature Francais aux xvle siecles p.230.

وفي عهد عبدالله الغالب سيدخل في علاقات جديدة مع الجالية الأندلسية حيث اتخذ إجـراءات خطيرة في حقهم ذلك أنه "في عام سبعين وتسعمائة (١٥٦٢-١٥٦٣) أمر الغالب بجمع أهـل الأندلس الذين خرجوا في الجالية على يد شيطان كان من أهل قرية بجبل غرناطة اسمه سعيد ابن فرج الدغالي وأخاه أحمد خرج بتطوان وكانا بحريين بها فنزلا على كبير دولـة الغالـب الحسن بن أبي بكر فزين للغالب جمع أهل الأندلس على يد هذا الدغالي فرسم له بـذلك ودار عليهم في بلاد المغرب وجمعهم طوعا وكرها وكتب منهم في الديوان أربعة عشر ألفا ونقلهـم إلى مراكش فاقطعهم الجانب الغربي فيها وهو روض الزيتون سكنى...من المزارع والضياع واتخذوا فيه البساتين وأعطوهم السلاح وسموا قائدا...عليهم الدغالي...".([1])

ويشير نفس المصدر إلى موقف الجالية الأندلسية من الإجراءات المتخذة ضدهم: " وكان أهـل الأندلس أكرههم على الجندية وقهرهم عليها وولى عليهم من لا يرضون ولايته فكانوا يتمنون له النكب ليخرجوا من ربقة الرقية إلى الحرية".([2])

وهنا يمكن طرح سؤال رئيسي:

ما الأسباب التي دفعت السلطان السعدي لجمع الجالية الأندلسية وإدخالها إلى الجيش؟

سنحاول أن نجيب من خلال عدة ملاحظات حول هذا الإجراء:

١- نشير أولاً إلى أن النص يذكر أنهم جمعوا طوعا وكرها.

٢- ضخامة الرقم (١٤ ألف) فهو رقم كبير إذا ما قورن بعدد القوات التي كانـت لجـيش السلطان السعدي الغالب (حوالي ٣٠٠٠٠ جندي) ([3]) فهل أراد بذلك أن تكون هـذه الجالية عامل توازن تجاه مختلف عناصر الجيش المغربي.

٣- كما يشير النص أنه أقطعهم مزارع وضياع في حي رياض الزيتون بمراكش ترضية مقابل الخدمة العسكرية وتعويض لها مما ضاع منها في الأندلس.

٤- ويشير النص أيضاً إلى أن أعيان أهل الأندلس وبيوتاتهم كانوا يحقدون على عبـد الله الغالب ضد هذا الإجراء إذ أدخلهم جميعا في الجندية الأمـر الـذي سيحرمهم مـن ممارسة التجارة والصناعة والفلاحة.

([1]) أبو القاسم الزياني، الترجمان المعرب ، ص ٣٥٠.

([2]) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠.

([3]) Andrzej Dziubinski " l armee et la flotte de guerre Marocaines " in Hespe ris – tamuda, vol .XIII – Fascicule unique,1972,p.66

٥- ويشير النص أيضاً إلى أنهم لم يكونوا راضين بتولية الدغالي.([1])
هذا عن علاقة عبدالله الغالب بالجالية الأندلسية في المغرب وردود أفعالها اتجاهه فما هو موقف السلطان السعدي من التطورات الجديدة التي ستعرفها قضية الجالية الأندلسية بأسبانيا نفسها بعد إعلان الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م.

موقف السلطان السعدي من الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م:

تشير المصادر إلى أن محمد بن أمية قائد الثورة بعث برئاسة فرناندو الحبقي (أحد قادة الثورة) إلى السلطان السعدي.([2]) وأكد ذلك المؤرخ الجنابي:" وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة قام أهل الأندلس على أسبانيا واجتمعوا بالجبل الأخضر بقرب غرناطة وأمروا عليهم رجلاً من أولاد الملك أبي سعيد بن الأحمر فاقتتلوا مع قائد عسكر أسبانيا فهزموه فنال الكفار منهم خوفاً عظيماً وأرسل هؤلاء إلى الشريف مولاي عبدالله يستمدونه فلم يمدهم بسبب قلة الأغربة والمراكب ولعلة أخرى...([3])
غير أن صاحب تاريخ الدولة السعدية له رأي مغاير في الموضوع إذ ذكر - وهو بصدد الحديث عن الثورة-: " ....فصاروا يكتبون إلى ملوك المسلمين شرقاً وغرباً وهم يناشدونهم الله في الإغاثة وأكثر كتبهم إلى مولاي عبدالله لأنه هو القريب إلى أرضهم وكان قد قوي سلطانه وصحت أركانه وجندت أجناده وكثرت أعداده فأمرهم غشاً منه بأن يقوموا مع النصارى ليثق في قولهم بظهور فعلهم فلما قاموا على النصارى تراخى عما وعدهم به من الإغاثة وكذب عليهم غشاً منه ولدين الله عز وجل ومصلحة لملكه الزائل..."([4])
ويشير نفس المصدر إلى سبب عدم مساعدة السلطان السعدي الغالب للموريسكيين في ثورتهم: " وكانت بينه وبين النصارى مكاتبات في ذلك ومراسلات وأنه استشار معهم وأشار عليهم أن يخرجوا أهل الأندلس إلى ناحية المغرب وقصده بذلك تعمير سواحله ويكون لهم منه بمدينتي فاس ومراكش جيش عظيم ينتفع به في مصالح ملكه فلما قاموا على النصارى عن إذنه وانشغلوا معهم بالقتال أرسلوا رؤسائهم وكبراءهم وذوي شأنهم إلى العدوة ليستغيثوا بالسلطان وبجماعة المسلمين بالإعانة وتركوا أهل الأندلس كلهم متمنعين في جبال غرناطة وهم يقاتلون

([1]) رزوق، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص، ١٦٧
([2]) محمد عبده حتاملة، التهجير القسري، ص٤٣.
([3]) الجنابي، البحر الزخار والعيلم التيار، ص ٥٣٥.
([4]) مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص ٣٧ - ٣٨

النصارى فلما وصل إليهم تراخى عنهم وطول عليهم مقامهم فأتتهم المكاتبة من أهلهم بأنهم اطلعوا على مكاتبات بين السلطان والنصارى ومصادقة وتدبير على المسلمين فصح عندهم ذلك وظهر بالإمارات الدالة عليه من كثرة قعودهم ومرور الأيام عليهم بلا فائدة فأمروهم أن يصطلحوا مع النصارى على أن يتركوهم يجوزوا لهذه العدوة فأجابهم النصارى لذلك فقطع جلهم وتفرقوا في بلاد المغرب..."([1])

وبمتابعة المؤرخ المجهول في تفسيراته فقد فشلت الثورة وترتب عليها هجرة الموريسكيين إلى المغرب واستخدام السلطان السعدي لهم: " وأخدم الجيش من أهل الأندلس الفارين بدينهم من الكفر وجعل يشق عليهم في الخدمة وجمع منهم جيشاً عظيماً ليتعصب بهم ويتقوى بجمعهم فصلح بذلك ملكه وعهد سلطانه....([2])

ولقد أوضح الجنابي (القريب من الأحداث) في تاريخه السبب في عدم تقديم السلطان الغالب المساعدة وأرجعها إلى عاملين:

١- قلة الأغربة والمراكب: " فمن ذلك اليوم (أي فشل الثورة الموريسكية ١٥٦٨م) شرع في تجهيز الأغربة وإنشاء المراكب حتى حصل عنده نحو ثلاثة أغربة وهم يسيرون الصيف والشتاء في وجه البحر فيحتمون من الكفار ويأسرون منهم. وبلغنا أنه عمال منشغل بتكثير الأغربة ويجتهدون فيها وكانت قلة الأغربة عندهم بسبب قلة الأخشاب الصالحة لذلك عندهم فالآن أذن لهم في نقل الأخشاب من الروم إلى فاس فجد الشريف المذكور في أمر العمارة والناس يقولون مراده فتح الأندلس لأنه علم أن ذلك هين بسبب الرعايا المتمكنين فيها..."([3])

٢ – وعلة اخرى تتلخص في كون عبد الله الغالب التجأ إلى التقارب في سياسته مع الدول الأوروبية والعمل على مهادنتها.([4]) وذلك تحت ضغط التهديد العثماني للمغرب، فقد كانت علاقاته في أوروبا الغربية تشكل عامل توازن في المنطقة يستخدمه في مواجهة الأطماع التركية، وأنه كان يريد الحفاظ على كيان مستقل للمغرب بأقل قدر ممكن من الخسارة .([5])

([1])مؤرخ مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٨.

([2])المصدر نفسه، ص ٣٩،وانظر: Andrzej Dziubinski , op , cit. pp. 67-68

([3])الجنابي، البحر الزخار والعيلم التيار، ص ٥٣٥.

([4]) سمح للاسبان بالإستيلاء على "بادس" وتراجع عن فتح " البريجة الجديدة " المحتلة من طرف البرتغاليين، وتنازل للفرنسيين عن " القصر الصغير " انظر: رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ....، ص، ١٦٩.

([5]) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم....، ص،١٦٩

وفي رسالة بعث بها السفير الفرنسي إلى شارل التاسع في مدريد ٥ نوفمبر ١٥٦٩م ذكر أنه خرجت ٩ مراكب من العرائش في ٢٢ سبتمبر ١٥٦٩م تحمل عدداً من المجاهدين الذين قاموا بنهب جزيرة (Lnazerotte) وموانئ جزر الكناري واحرقوا المدينة والكنائس وأسروا العديد من المسيحيين وكانوا يصرحون بأنهم سيقطعون الطريق بين أسبانيا والعالم الجديد. (1)

ومن المعلوم أن المقصود من هذه العملية أن تنشغل أسبانيا في جبهتين أو أكثر لتشتيت مجهوداتها قصد التخفيف من الضغط على الثورة وللانتقام في نفس الوقت من الأعمال الوحشية التي يقوم بها الأسبان ضد رجال الثورة.(2)

وبعد قراءة وتتبع موقف قوى الشمال الأفريقي (الدولة السعدية) نستطيع أن نحدد البعد المغربي في السياسة الأسبانية تجاه الموريسكيين:

١- إن المغرب لقربه من إسبانيا ولاعتباره أرضاً صالحة للاحتواء وإيواء الموريسكيين سنجده يبرز دائماً في الوثائق الأسبانية كملجأ منتظر للموريسكيين. فدور المغرب إذاً في هذه المرحلة التاريخية وبالرغم من كل ما يمكن أن يقال في موضوع مساعدة الموريسكيين في ثورتهم ضد مضطهديهم من المسيحيين في الحقيقة كان يظهر في عيون الأسبان كمكان مناسب لنهاية الموريسكيين.

٢- كان المغرب من بين الجهات التي كان يضعها الساسة الأسبان في الاعتبار أثناء تخطيطهم لطرد الموريسكيين من أسبانيا ولكن ثقل المغرب لم يكن يصل إلى درجة التخوف من تدخله بشكل يرعبهم نظراً لمعرفة الأسبان بدقائق الأمور المغربية ويقينهم بأن الأوضاع الداخلية للمغرب لم تكن تسمح بتدخل مهم خارج حدودها.

٣- نظراً إلى ما ارتبط به الموريسكيون من علاقة متعددة الجوانب مع المغرب السعدي منذ بداية حكم هذه الدولة سنجد باستمرار صدى الوضعية السياسية والمغربية تنعكس في المخططات التي كانوا يهيئونها والقرارات التي كانوا يتخذونها.

٤- أعطت لنا المصادر المغربية صورة معبرة عن الموقع الذي كان يحتله الموريسكيون في البرنامج السياسي لسلاطين الدولة السعدية. لقد كان توافد الموريسكيين بإعداد مهمة على المغرب منذ أواسط القرن السادس عشر يجعل السعديين يفكرون في الاستفادة من هذه الهجرة في مصالح داخلية في حين كان فيه مشروع الموريسكيين

(1) S.I.H.M. 1 ere serie, France, I : 290.
(2) Andrzej. Dziubinski : ,op .cit. pp. 92-93.

غير ذلك بحيث كانت نيتهم هي مواجهة النصارى الأسبان الذين أجبروهم على الخروج من بلدهم. وذلك أثناء الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م.(١)

مجابهة جدلية إسلامية – مسيحية

مجاهدو البحر – قراصنة

وجهة النظر المسيحية، القرصنة :

يعد المشكل الموريسكي إحدى المعطيات الثابتة التي سيطرت على القرن السادس عشر في البحر الأبيض المتوسط ولا شك أن ارتباطه وتأثيره على العالمين الإسلامي والمسيحي كان كبيراً.

ويهدف هذا الفصل بتواضع إلى عرض انطباعات حصلت من قراءة الدراسات التاريخية الموريسكية في معرض بيان دور مجاهدي البحر في المشكل الموريسكي. ولعل من أهمها استعمال اصطلاحات تدل على نوعية الأحكام المسبقة والتشويه التاريخي والتي انتشرت في الكتابات الغربية ولحق بهم جماعة من المؤلفين والباحثين العرب.(٢)

ونثبت هنا عينة من هذه النصوص : "يعتبر قراصنة شمال افريقيا المسلمون على الرغم من التأديب المتواصل الذي قام به الاسبانيون اتجاههم مصدر قلق للسواحل الجنوبية الايطالية والاسبانية وكانت قسوتهم فظيعة جداً ومهارتهم وجسارتهم مخيفة جداً إذ بفضل بواخرهم السريعة ذات الأشرعة المتعددة يندفعون من موانئ وهران وبنزرت وصفاقس وتلمسان ومن عشرة مراكز أخرى على الساحل الإفريقي، منقضين كالنسور على السواحل المقابلة ليسلبوا ويحرقوا المدن والقرى ويقودون النساء والرجال والأطفال أفواجاً ، أما الرجال فيتركونهم عرايا ويقيدونهم إلى المجاذيف ويجلدونهم بسياط طويلة ويعاملونهم بأقل احترام من الدواب، إلى أن يقضي عليهم تحت السياط أو أن موتاً سريعاً يعجل إليهم أثناء أحد المعارك. أما النساء، فيتم إرسالهن إلى الحريم والأطفال يربون وكأنهم مسلمون".(٣)

---

(١) الحسين بو زينب، البعد المغربي في السياسة الإسبانية تجاه الموريسكيين، بحث بالندوة الثانية (الموريسكيون في المغرب) – شفشاون – المملكة المغربية ، ٢٢ – ٢٤ جمادى الثانية ١٤٢١هـ ٢١ – ٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م ، ص، ٤١ - ٤٣ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص٩٢.

(٣) W.Louis,Charles-Quint,Empreur d,occident (1500-1528),paris, 1980,p.126

فكان مدلول لفظة القرصان محقراً: وهو الشخص الذي لا يشغله إلى الاستيلاء على الغنائم والانقضاض على البواخر وتدمير سواحل العدو وفرض الأبوهدية على الأسرى. (١)وتـصف عروج وخير الدين برباروسة ودرغوث أو العلج بالقراصنة. (٢)والمغامرين المتوحشين. (٣) وتظهر في مؤلفات المؤرخين الغربيين مصطلحات تاريخية تؤكد معالجتهم للمشكل الموريسكي على أساس أنه موضوع تاريخي أوروبي مسيحي مثال ذلك: " قطاع الطرق الموريسكيين" (٤). وفي القضايا وفقاً لأرشيف محاكم دواوين التفتيش أن موريسكيا والبالغ من العمر ٢٤ سنة قد اعترف أنه قتل ٦٣ شخصاً. (٥)

وقد اعتبر (Garo Baroja)هذه العمليات كمظهر من مظاهر القرصنة البربرية خلال القرن السادس عشر.(٦) واعتبرها (Braudel) أخت القرصنة البحرية. (٧)

ويميز بروديل بين مجالين للقرصنة:

١- قرصنة المحيط الأطلسي.

٢- قرصنة البحر الأبيض المتوسط حيث تميزت المرحلة الممتدة بين سنتي ١٥٦٠-١٥٧٠ بانتشار حركة القرصنة في غرب البحر المتوسط وبالخصوص القرصنة الجزائرية.[٨] ويرى بأنها تتميز بأن لها قواعدها وأعرافها وتقاليدها وأنها لم تكن نشاطاً فرديا بل نشاط جماعات واسعة وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، الأمر الذي يؤكد أنها كانت من طبيعة ذلك الوقت ومن مزاياه، وأنها تعكس بوضوح الحركات الكبرى للحياة المتوسطية. (٩)

---

(1) عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، ص ٨ (الهامش).

(2) المصدر نفسه، ص٨.

(3) عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه ، ص٨.

(4) F.Braudel ,la Mediterraneen et le monde mediterraneen a lepoque de Phillppe II, 2 eme edition,t II , P . 369,

وراجع أيضا:

Bernard Vincent,"Les bandits morisques en Andalousie au XVIe siecle" in , Revue d'Histoire moderne et contemporaine, 1974,pp.389-400

(٢) V.Bernard, op. cit .p. 397

(6) Les moriscos del reino de Granada ,pp 159-166

(7) L a Mediterranee et le monde mediterraneen alepoque de philippe 11,2 83 et 123 sq.

(8)F. Braudel, La Mediterraneen...,p. 203.

(9) بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، ص ١٥١-١٥٢

ويتابع بروديل تقلبات القرصنة ومناطق ازدهارها. ففي أعقاب سقوط رودس بيد الأتراك في العام ١٥٢٢م. ازدهرت القرصنة الإسلامية انطلاقا من شمال إفريقيا، ثم نمت على نحو واسع بعد معركة بريفيسا وبعد سيطرة الإسلام على المتوسط في العام ١٥٣٨م. أما بعد معركة لابنتي التي آذنت بانتصار المسيحية في العام ١٥٧١م، فقد توسع نشاط القرصنة المسيحية إلى جانب قرينتها الإسلامية. (١)

ويرى بروديل أن أسباب ازدهار أعمال القرصنة وتوسعها على هذا النحو سببان اثنان:

١- الوفرة الاقتصادية المتوسطية التي استمرت حتى ما بعد منتصف القرن السابع عشر.

٢- انحطاط الدول الكبرى ووهنها.(٢)

مما سبق: أن هذا التفسير لأحد أوجه المشكل الموريسكي غير عادل لأنه ينكر الطرف الآخر ويرفض الرؤية الشاملة للمشكل والنظرة التكاملية للتدخل العثماني-المغربي في هذا المشكل.

ومن جهة أخرى فقد عالج المؤرخون الغربيون المشكل الموريسكي على أساس أنه موضوع تاريخي أوروبي مسيحي، في حين وجب عده موضوعاً تاريخياً إسلامياً قبل كل شيء.

وجهة النظرالإسلامية، الجهاد البحري الإسلامي :

يختلف مفهوم الجهاد البحري كلية عن المفهوم الأوروبي المتداول (قراصنة) الذي يدخل هذه العمليات في إطار أعمال اللصوصية البحرية.(٣)

ويقصد بتعبير الجهاد البحري الإسلامي: تلك العمليات التي قام بها المسلمون في البحر ضد أعداء الإسلام امتداداً لعمليات الجهاد على الأرض، وبهذا فإننا نطلق على العمليات الحربية التي قام بها المسلمون في مياه البحر المتوسط ضد سفن إسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية تسمية الجهاد البحري الإسلامي الذي جاءت بدايته رداً على اعتداءات تلك القوى المسيحية على المسلمين في الأندلس وملاحقتهم أثناء فرارهم بدينهم من الاضطهاد إلى أقطار شمال إفريقيا العربية الإسلامية. (٤)

---

(١) المرجع نفسه, ص١٥٢.

(١) بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي ، ص ١٥٣.

(٣) محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص٢١٠.

(٤) رأفت غنيمي الشيخ ، ارتباط خروج المسلمين من الأندلس بحركة الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي المتوسط (أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية)، ص ١٧٤.

ويجب أن نلاحظ أن تلك العمليات بين الأساطيل الإسلامية والمسيحية إنما حدثت من منطلق دفاع المسلمين ضد الأطماع الاستعمارية الصليبية تلك الأطماع التي صوّرها أصحابها بأنها ثأر من العرب المسلمين الذين تجرأوا يوماً، فغزوا الأرض الأوروبية. (¹)

ورغم تفكك وحدة المسلمين السياسية في أقطار شمال إفريقيا مما أتاح للأسبان والبرتغاليين مهاجمة بلادهم، إلا أنهم تذرعوا بمبدأ الجهاد الإسلامي في مقاومة القوى المسيحية الغازية بل وفي مهاجمة السفن المسيحية في الحوض الغربي من البحر المتوسط.

واستمر هذا الصراع حتى ظهرت قوة الدولة العثمانية الإسلامية في أوائل القرن السادس عشر فاستعان بها المسلمون المغاربة في عملياتهم للجهاد البحري الإسلامي ضد أعدائهم. (²)

وحينما تعقبت سفن الأسبانيين الفاريين من المسلمين كان من الطبيعي أن يخرج رجال البحر المغاربة لتأمين المسلمين النازحين من الأندلس والدفاع عنهم ضد سفن المتعقبين لهم من الأسبان الذين اتخذوا أسلوباً وحشياً في التعامل مع المسلمين الذي يقعون في أيديهم مما أدى إلى صدام بحري بين سفن المغاربة المسلمين والسفن الأسبانية. وقد أدى ذلك الصدام إلى ظهور قيادات بحرية إسلامية قوية عندها القدرة على منازلة الأعداء والقيام بعمليات الجهاد البحري الإسلامي. (³)

كان رجال الجهاد البحري الإسلامي يخرجون في سفنهم المسلحة لاستقبال سفن المسلمين الفارين من شبه جزيرة أيبيريا والدفاع عنها،وكانت سفن المسلمين مجهزة بالتسليح الذي يمكنها منازلة الأعداء في البحر، ولكنها كانت خاضعة لسلطة القيادات التي تحكم أجزاء من ساحل المغرب الكبير، أو خاضعة لسلطة الإمارات القائمة في الأقاليم المغربية. (⁴)

ولذلك لا يمكن أن نساير المؤرخين الأوروبيين غير المنصفين في إطلاق لفظة قرصنة على عمليات الجهاد البحري الإسلامي هذه فإن سفن القراصنة كانت تخضع لبعض رؤساء البحر الذين يشبهون في عملياتهم إلى حد بعيد عمليات قطاع الطرق ولا يتراجعون عن مهاجمة أي

(¹) رأفت غنيمي الشيخ :العرب، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٣.

(²) رأفت غنيمي الشيخ، الجهاد البحري الإسلامي في البحر المتوسط (المجلة الإسلامية):رابطة الجامعات الإسلامية، الرباط ١٩٨٢م، ص، ١٧.

(³) رأفت غنيمي الشيخ، ارتباط خروج المسلمين من الأندلس ....(أعمال المؤتمر..)، ص ١٧٥.

(⁴) رأفت غنيمي الشيخ: العرب، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٧.

سفينة، حتى وإن كانت خاضعة لجيرانهم أو لحكومتهم حتى يتمكنوا من أسرها أو الاستيلاء عليها أو على حمولتها على الأقل.[1]

وقد تميز البحارة العثمانيون في ذلك الوقت بالإيمان والعقيدة التي وجهت نشاطهم، وبطاعتهم للسلطة الدينية العليا وبحميتهم للدفاع عن مصالح الدولة العثمانية وهذا بكثير من التضحية وإنكار الذات. [2]

ـ الجهاد البحري في ظل الدولة الشريفة السعدية :

تسلمت زمام الحكم في مراكش الأسرة الشريفة السعدية[3] في منتصف القرن السادس عشر ودخلت أثناء هذه الفترة في صراع مع الأسبان والبرتغال وتعتبر بداية حركة الجهاد الإسلامي.

وقد أولى سلاطيين المغرب خلال القرن السادس عشر أمور البحر أهمية كبيرة حيث أشار المؤرخ المجهول إلى أن المعتصم السعدي[4] "أمر بإنشاء السفن في سلا والعرائش وأدخل القرصنة وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب وضيقوا بالنصارى أشد تضييق..." [5].

ونلاحظ ارتباط السلاطيين في المغرب بحركة الجهاد البحري ومساهمتهم في تأسيسها حيث اتحدت وساهمت في صنع أحداث متوسطية كثيرة (ومحورها المشكل الموريسكي)، وشاركت إلى جانب الفاعلين الأساسيين للسياسة العالمية في النصف الثاني من القرن السادس عشر إلى جانب العثمانيين والإسبانيين والإنجليز. [6]

وقد فطن الأوروبيون لمقاصد الاستعدادات المغربية واهتمام السلاطين السعديين بالجيش وانضباطه واهتمامهم بأمور البحر ورأوا فيها خطراً على مصالح أوروبا وتهديداً لأمنها، وفي هذا الصدد كتب المؤرخ المجهول يقول: " كان للنصارى عند وصوله إليهم تدبير عظيم على مولاي عبد الملك. فقال بعضهم لبعض إن هذا السلطان من رأى مملكة الترك ورأى منافع

([1]) رأفت غنيمي الشيخ، العرب...المرجع نفسه، ص١٧.

([2]) خليل الساحلي، "وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة سنة ١٥٦٥" في: المجلة التاريخية المغربية عدد ٧-٨، تونس ، ١٩٧٧، ص ٤٧.

([3]) احدى الدول الكثيرة التي قامت في حاضرة مراكش وكان الملك قبلها للوطاسيين وعرفت بالدولة الشريفة السعدية إشارة إلى شرف نسبهم، وأصبح المغرب تحت سيطرتهم (٢٢-٩ -١٥٥٤م) .

([4]) (٠٠٠-٩٨٦هـ=٠٠٠-١٥٧٨م) عبد الملك بن محمد الشيخ بن القائم بأمر الله من آل زيدان الملقب بالمعتصم السعدي من ملوك السعديين في المغرب ..، الإعلام ٤=١٦٤، وانظر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢٧٢، الاستقصا، ٣=٢٧-٤٠، نزهة الحادي ٥٩-٧٨ واسمه فيها (عبد المالك) كما في رحلة العياشي١=٦٦.

([5]) المؤرخ المجهول، تاريخ الدولة السعدية, ص ٥٣.

([6]) فنوري، المغرب وأوروبا، ص١٩٤.

البحر. فأول ما أمر به إنشاء السفن. وإذا كملت له العمارة يقطع إلى بلادنا مع أهل الأندلس وهم أقرب إلينا....."([1])

ومن مراكز الجهاد البحري المهمة في هذه الفترة مدينة تطوان، وقد أبقى عليها السعديون تحت نظر زعمائها الأندلسيين لتظل شوكة في جنب الأسبانيين ونقطة استقبال للمهاجرين. ([2])

مجاهدو البحر قبيل الثورة الموريسكية الكبرى ١٥٦٨م:

وفي سنة ١٥٦٥ عزز السلطان السعدي قضية إسبانيا حين ضم إمارة الجهاد في شيشاوين وهي مدينة– دولة في الريف كان المسلمون المهاجرون من أسبانيا قد أقاموها. ([3])

لقد أصبح البحر المتوسط محكوماً بالمسلمين وأصبحت هجمات مجاهدي البحر أكثر جرأة حتى تغلغل بعضهم داخل البلاد مثل:

هجوم عام ١٥٦٠ الذي نزل فيه مجاهو البحر في كستيل دي فيرو إلى أن وصلوا إلى نوتايس وهي قرية تابعة البشرات، كذلك هجوم عام ١٥٦٥ الذي كان هدفه "أورخيبا" وهجوم عام ١٥٦٦ الذي كان هدفه بعض قرى المرية،([4]) " تابيرناس" و"لوكابينيا. ([5])

لقد عبر – أحد القادة الغرناطيين– عن الانطباع الذي سببته هذه الأعمال عندما كتب إلى الملك بعد هجوم "أورخيبا":

" إنه لشيء جديد مفزع في هذه المملكة، وقد سيطر العجب منه على الجميع، وأن المسيحيين القدماء الذي يعيشون في مناطق الموريسكيين يمتلؤن خوفاً ويبدو لهم أن آخرين سيأتون في وقت قريب، بسبب نظام الدفاع في الوقت الحاضر، وبسبب الاتصالات التي يبدو أن الموريسكيين في هذه الأرض يقومون بها مع المسلمين في العدوة الأخرى"([6])

بفضل ذلك تمكن بعض مجاهدي البحر مثل: البرتال أوغو نثالوالتنيت من زرع الرعب في قلوب النصارى في الفترة ما بين ١٥٦٥–١٥٦٨، وتطورت حركة الجهاد البحري البربرية والموريسكية بنفس الطريقة. ولكنها اشتدت منذ عام ١٥٦٠، ومرد انتشار هذه الظاهرة يعود

([1]) المؤرخ المجهول، تاريخ الدولة السعدية ، ص٥٣.
([2]) محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب، ص٦٦.
([3]) أندروهيس،افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، صفحة ١٢٩
([4]) هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٣٥
([5]) عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص ٦٩
([6]) عبد الله محمد جمال الدين، المرجعنفسه، ص٦٩– ٧٠،هورتز وبنثنت المرجعنفسه، ص ٣٦

إلى التسهيلات التي منحت للنبلاء في استخدام رجالهم الموريسكيين في الثأر والانتقام، وفي ٢٠ يوليو من ذلك العام اضطر والي بلنسية منع الموريسكيين من الصيد لأنهم جميعاً كانوا موضع شبهة بتعاونهم مع مجاهدي البحر. (١)

وقد كانت للمجاهدين البحريين شبكة قوية من المعلومات داخل أسبانيا بواسطة (المنفيسين) (Monfies.) (٢)

والمنفي (Monfies) في قاموس الأكاديمية الأسبانية هو المغربي أو الموريسكي الذي يشكل جزءاً من عصابات (salteadores) (٣) بمنطقة الأندلس بعد عمليات إعادة الغزو فالمنفي بالنسبة للأسبان هو عبارة عن مجرم لا غير. (٤)وهو بالنسبة للموريسكيين بطل الحرية بل هو رمز الورع والصلاح. (٥) ولهذا السبب نرى أن الموريسكيون يتعلقون به كثيراً ويجلونه باعتباره رمز تحررهم من قمع الكنيسة. وهم يهاجمون فقط المسيحيين من رجال دين وأصحاب فنادق وتجار. فالنسبة لرجال الدين لا يخفى أن الرهبان كانوا دائماً محطة أنظار الموريسكيين، إذ كانوا بالنسبة لهم رمز القمع. أما بالنسبة لأصحاب الفنادق فقد كانوا بالضرورة مسيحيين يستخدمون كمخبرين للسلطات الأسبانية. بالنسبة للتجار فإنهم يصادفونهم في الطريق المفضل لديهم للقيام بعملياتهم الانتقامية.(٦) وهناك أيضا جماعات(Piratas) وهم في مفهوم النصوص الإسبانية أولئك المجاهدين الذين ينطلقون من شمال افريقيا انطلاقاً من الجزائر وتطوان والعرائش وسلا للقيام بغارات على السواحل الأسبانية. وهم دائماً يعملون بنفس الطريقة. ويقود هؤلاء بعض الموريسكيين المهاجرين وينزلون أول الأمر في مكان خال ومن هناك ينطلقون إلى قرية ما ويقومون بعمليات انتقامية ضد المسيحيين والعمليات من هذا النوع متعددة خلال القرن السادس عشر على السواحل الأسبانية انطلاقاً من قادس إلىجزر البليار (٧).

---

(١)هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٣٥، وعبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ٦٩.

(2) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص٨٨

(3) Siteadores آتية من saltea أي الذي يهاجم بالسلاح.

(4) رزوق، الاندلسيون وهجراتهم...، ص٨٨.، هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٣٥.

(5) C. B ernaldo de Quiros et L ARDICA, ' ElBandolerismo andalus' in , les Bandits morisques en andalousie, p. 390

(6) A.G.S. CAMARA Cedulas .n° 255 Fol.65. in les Bandits morisques....,p. 391.

(٧) رزوق، الاندلسيون وهجراتهم....,ص٨٨.

وكثيراً ما تؤدي هذه العمليات إلى خراب العديد من القرى ويرجع نجاح هذه العمليات إلى المشاركة الفعالة للموريسكيين في المنطقة الذين غالباً ما يكونون على علم بالحملة. (١)

مجاهدو البحر أثناء الثورة:

لقد عمل المسؤولون العثمانيون على تعيين العلج علي ،(٢) بلير باي على الجزائر لتقديم العون والمساعدة للموريسكيين.

وتتضح أهمية ولاية العلج علي في الصراع بالبحر الأبيض المتوسط الغربي، في ظرف كان الموريسكيون يعبرون منذ زمن عن قلقهم واستيائهم العام للإجراءات التي اتخذت ضدهم وكان ذلك وراء ثورتهم بغرناطة. (٣) وقد أرسل الموريسكيون أحدهم البرتال (Partal) من مدينة ناريا (Narilla) إلى الجزائر مرتين لمقابلة العلج علي باشا. (٤) واحاطته علماً بالوضعية الحقيقية العامة للموريسكيين ونوع الإعانات التي يحتاجون إليها، ثم للتخطيط للقيام بنشاط موحد ومنسق. (٥)

وبناء على الفرمان السلطاني إلى بيلر باي الجزائر العلج علي بتاريخ ١٦إبريل١٥٧٠م حيث طلب منه تقديم المساعدة إلى الأقلية الموريسكية وبكل الوسائل الممكنة التي يراها صالحة وهذا بانتظار قدوم الأسطول العثماني. وأما الفرمان الثاني الذي وجه إلى الشعب الأندلسي فقد أشار كيف أن عدد الثوار بلغ العشرين ألفا وأن مائة ألف أخرى تنتظر السلاح والذخيرة. (٦) وأعلن أن الدولة العثمانية قد طلبت من بيلر باي الجزائر أن يوفر الأسلحة والذخيرة والمؤونة إليهم :" أنه على ضوء أمري الشريف إلى بيلر باي الجزائر فيقوم هذا الأخير بتقديم جميع المساعدات والإعانات إليكم وذلك لما أظهرتموه من همة إسلامية وغيرة الدفاع عن الدين المبين وعدم

---

(1) رزوق ،الأندلسيون وهجراتهم، ص ٨٨.

(2) الرئيس العلج علي مسلم من مواليد كاستل في جنوب إيطاليا خلف الرئيس محمد بن صالح في ١٤صفر عام ٩٧٦هـ (١٥٦٨/٨/١٨) ، أنظر: نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٩٧٦.

(3) عبد الجليل، التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين ، ص١٧

(4)De Tov 'Histoire universelle', t.vi , p.80

(5)Crammont, 'Histoire d'Ager sous La domination Turque (1515-1830) p. 104, note n°5, Paris 1887.

. (6)Braudel, La Mediterranee ……op. cit, t, II , p.362 .

تركهم له...."(¹) وعلى ضوء الفرمان سارع العلج علي إلى إحضار ستة سفن كانت قد رست قرب المرية محملة بالذخائر والأسلحة والمدد على أن:" ٢٢ سفينة أخرى تقل جنوداً قد تشتت بسبب عاصفة هوجاء في نفس اللحظة التي كانت ستقدم مساعدة هامة، وفي شهر أكتوبر نجحت الجزائر إلى تقديم ٤٠٠ بندقية وعدداً من الذخائر فضلاً عن مئات من الإنكشاريين القدماء ليكونوا أعواناً وقواداً للموريسكيين وفي أوائل سنة ١٥٧٠ تمت إرسالية أخرى بالمدد والجنود...(²)

وشواهد كثيرة في هذه الفترة تؤكد أن الثوار تلقوا مدداً وأسلحة وبعض مئات من المتطوعين من الجزائر. (³)

وفي فبراير عام ١٥٧٠ أرسل (العلج علي) اسلحة وخطاباً يقول فيه" بهذه الأسلحة نستجيب لرغبتكم في المساعدة لأننا وإياكم جسد واحد في يومنا هذا"(⁴)

وقد أكد بعض المؤرخين أيضاً أن العلج علي كان يخطط لقيادة الأسطول الجزائري شخصياً إلا أنه تخلى عن ذلك عندما علم أن دون جوان دتسريش (D.Juan D'Autriche) قد كلف بالقضاء على ثورة البشرات بفضل جيش وتعزيزات ضخمة وضعت تحت تصرفه أما نائب الملك "بفالانس" فقد سعى إلى توجيه فرنسسكو فاسبارو كورصو (F.Gasparo Carso).(⁵) كمبعوث عنه إلى الجزائر وإقناع البيلر باي بوقف المدد والمساعدة التي يقدمها إلى الموريسكيين والعمل على أن يثنيه عن إرسال الذخائر والأسلحة لتأييد الثورة. (⁶)

ويجب قبل مناقشة دور الجزائر ومجاهدي البحر في المشكل الموريسكي الإشارة إلى أن الأحداث اللاحقة للثورة: استيلاء العلج علي على تونس، انتصار الحلف المقدس في لابنتي (Lepante)، إعادة استرجاع الاستيلاء على تونس من طرف دون جوان دتسريش، ثم

(¹) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، مهمة دفتري رقم ٩ فرمان بتاريخ ذي القعدة ٩٦٦هـ/ ١٦ إبريل ١٥٧٠.

(²)عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، ص:٢١-٢٠.،هيس، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس ، ص ١٣٧.

(³) عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه، ص ٢٠.

(⁴)هورتز وبنشت، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص٥٩

(⁵)Grammont , op. cit. , p. 105

وانظر: عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون ، ص ١١٣، عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية، ج٢ص٩٢٦

(⁶) Les sources…op. cit. Archiver et Bibliotheques de France,t. II . P160

استرجاعها نهائيا من طرف العثمانيين في السنة التالية لا يمكن عزلها عن التأثير المباشر للمسألة الموريسكية. ([١])

ويشير بعض المؤرخين إلى أن موقف الوالي التركي بالجزائر كان فاتراً. ([٢])وأنه أظهر اهتماماً بتحصين مدينته أكثر من اهتمامه بمساعدة ثوار غرناطة ([٣]) وأنه استغل الثورة ليحقق مطامح شخصية في توسيع ولايته بفتح تونس.([٤])

وهذا الموقف يؤدي إلى إثارة نقطة أساسية وسؤال: ما هو الهدف من تقديم المساعدة للموريسكيين؟ هل هو احتلال اسبانيا وإعادتها للمسلمين؟ هل الضغط على الحكومة الإسبانية للتخفيف من وطئتها على الموريسكيين؟

فإذا اعتبرنا الهدف الأول فالجزائر غير قادرة على ذلك لوحدها ولا بد لها من استشارة القسطنطينية. ([٥])

أما إذا اعتبرنا عامل الضغط على أسبانيا لتغيير موقفها تجاه الموريسكيين فهذا ما كانت تقوم به بالفعل. والشهادة تأتي من الداخل أي من أسبانيا ومن جهازها القمعي نفسه. إذ أن محاضر محاكم التفتيش زاخرة باعترافات الموريسكيين حول حقيقة المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر للموريسكيين أثناء الثورة وبعدها.([٦])

وعلى الرغم من ذلك فقد لعبت المساعدات التركية والبربرية دوراً لا يستهان به في الدفاع عن أينكس، فقد دافع القائد التركي كوسالي وقاتل بشجاعة حتى الموت وكذلك حسين كرا كاس ونبيل وعلي محمادي وكان لهم دور في لحظتين حرجتين فقد أيدوا اغتيال ابن أمية في أكتوبر (١٥٦٩م) وأقنعوا (ابن أبوه) في يونيو أنه يجب مواصلة الأعمال الحربية لكنهم كانوا يبدون على كل حال أنهم يؤيدون المقاومة التي تفيد مصالح الجزائر والقسطنطينية فقط.([٧])

([1]) عبد الجليل التميمي, الدولة العثمانية ، ص ٢٠ ، هيس، افتراق العالمين,ص ١٣٧-١٣٨ .

([2]) محمد عبدالله عنان، نهاية الأندلس، ٣٦٨، ومحمد عبده حتامله ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس,ص ٣٨

([3]) F. Braudel. Op. cit. 2. 364

([4]) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم ، ص٩٥

([5]) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص ٩٥

[6]) Jacqueline Fournel- Guerin les morisques aragonais et I inquisition de saragosse these indeite. Montpellier III, 1980, pp 279-299 ,

([7])هورتز وبنثث، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٦١ عبدالله محمد جمال, المسلمون المنصرون ص ١٣٩

ونشير إلى الدور الهام الذي قام به مجاهدو البحر بنقل الموريسكيين إلى الشمال الأفريقي حيث تشير المصادر إلى قيام طورغود رايس بنقل حوالي ١٥٠٠ موريسكي من منطقة بلنسية في عام ١٥٦٩.([١]) وبلغت حملات المجاهدين البحرية على السواحل الإسبانية بين سنتي ١٥٢٨م و١٥٨٤م حوالي ثلاثة وثلاثون حملة هذا عدا الحملات التي كانت تقوم بها سفن صغيرة لحمل جماعات الموريسكيين المهاجرين.([٢])

([1]) شكيب بن حفري، موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر ما بين (١٥٧١و١٥٧٣) أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية،الجزء الثاني، ١٩٩٣،ص٣٤.
([2]) الأندلسيون وهجراتهم ،ص١٠٢، محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس،ص٣٨٨ .

نتائج الثورة الموريسكية ١٥٦٨م

انطفأت شعلة الثورة قبل منتصف سنة ١٥٧١م وخلال فصل الشتاء الأخير: "صبغت تلك الأشهر بنهر أحمر قان من الدماء كان شعار دوق خوان لا رحمة لا هوادة فذبح الرجال والنساء والأطفال بأمره وأمام ناظريه وحولت قرى البشرة إلى مسلخ بشري..أما القائد الأعلى دي ريكسنس فتمكن من إخماد آخر جذوات الثورة قبل الخامس من تشرين الثاني سنة ١٥٧٠م ورتب سلسلة منظمة من الذبح الجماعي والتدمير الشامل وإحراق القرى عن آخرها وخنق الناس بالدخان في الكهوف حيث لاذوا ثم أخيراً اخضاع الموريكسيين ولكن على حساب أسبانيا المسيحية وسمعتها وعلى حساب مستقبلها"(١) وبانتهاء المعارك الرئيسية قدر عدد القتلى من الأندلسيين بحوالي ٢٠٠٠٠ شخص ولكن العدد الأكبر من الأندلسيين انتهوا إما إلى الأسر والاستعباد أو إلى النفي في قشتالة والتضييع في زوايا ممالك فيليب الثاني الشاسعة.(٢)"وكانت غرناطة في هذه الفترة مسرحاً للإعدامات شبه اليومية فبعد أسر الثائرين التعساء كانوا يجبرون على الامتثال أمام محكمة دينا فيصدر عليهم الحكم على الفور بالخدمة في القواديس (نوع من السفن) أو الشنق أو بنهاية أكثر إرهاباً عن طريق تقطيع أجسادهم بكماشات تحمى حتى يصبح لونها كالجمر"(٣)

تجاوزت آثار الثورة كل التقديرات فقد كانت لها أبعاد سياسية وحضارية يدل على ذلك الوزن الذي أعطاه لها الموريسكيون والأسبان على السواء وكذلك الإجراءات التي اتخذها الأسبان بعد الثورة مخافة أن تتكرر. وكان الكاردينال (دوديسا) رئيس الإدارة المدنية في غرناطة قد تقدم بمشروع للمجلس العسكري في غرناطة يتضمن تفاصيل خطته لطرد العرب من البيازين(٤) .

• **مرسوم ٢٣ حزيران سنة ١٥٦٩م** : أصدر فيليب الثاني مرسوم النفي(٥) والتقديرات الخاصة بعدد المنفيين في هذه المرحلة شديدة التفاوت ولكن أحد التقارير التي يقال أن موظفاً أعده يوم الفرز يضع العدد بحدود ٣٥٠٠٠ رجل أندلسي(٦) وحوالي ٧٠٠٠ امرأة(٧) وبسبب سرعة تنفيذ مرسوم فيليب الثاني فإن السلطة لم تكن على استعداد لتوفير الضروريات البسيطة

---

(1) Lane-poole , Stanley. Moors In spain, p 278.

(2) بشتاوي ، الأندلسيون الموراكة ، ص ١٤٧، ننون، حركة المقاومة ، ص ٦٨.

(3) P rescott, William Hickling History of the Reign of Philip the second, (Boston) , 1859, Book V, Chapter VIII, p 280.

(4) حومد أسعد ، محنة العرب ، ص ٣٢٢، عادل بشتامي، الأندلسيون الموراكة، ص ١٤٩ .

(5) بشتاوي ، الأندلسيون الموراكة، ص ١٤٩.

(6) المرجع نفسه، ص ١٥٠، محمدعبدالله عنان ، نهاية الأندلس، ص ٣٥٨، هورتز وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٦٢، حومد، أسعد، محنة العرب، ٣٢٢.

(7) حومد، أسعد، محنة ا لعرب، ص ٣٢٣

للمنفيين من طعام وماء ولذا فإن المعلومات تؤكد موت أعداد كبيرة منهم حتى قبل الوصول إلى وجهتهم بينما تشير معلومات أخرى إلى أن الجنود قتلوا أعداداً كبيرة من الموريسكيين وأجهز القشتاليون على عدد آخر من الأندلسيين الذين حلوا بيتهم دون رغبة أو موافقة.(١)ونص المرسوم على أن تتولى الكنيسة رعاية الأطفال الأندلسيين الغرناطيين ممن هم دون سن العاشرة حتى تتوفر لهم النشأة النصرانية الصحيحة فانتزعهم الجنود من أمهاتهم ووزعوا على الكنائس في غرناطة وأماكن أخرى وسمح لنساء المنفيين البقاء في المدينة لبيع ممتلكاتهن ولكن مصيرهن غامض ولا تتوفر أية معلومات عنه.(٢)ويروي لين بول نهاية الثورة الأندلسية الكبرى فيقول " كان السبي والنفي المصير الذي آل إليه من بقي حياً بعد الثورة ولكن عدد هؤلاء لم يكن كبيرا" أولئك الذين أسروا والثورة مشتعلة أصبحوا عبيداً وسيق الباقون إلى النفي تحت حراسة الجنود بينما شددت الحراسات على الممرات في التلال. وكثير من المنفيين التعساء ماتوا في الطريق جوعا أو تعباً أو من الحر والبرد وتمكن آخرون من الوصول إلى أفريقيا حيث عانوا من الفاقة ولم يجدوا أرضاً يحرثونها وبعضهم وصل فرنسا فقوبل بفتور الاستقبال رغم أن هنري الثامن وجد فيهم أدوات مفيدة لمكائده في أسبانيا.(٣)

* **مرسوم ٢٨ تشرين أول ١٥٧٠م:**

أصدر فيليب الثاني مرسوما لاحقاً في ٢٨ تشرين أول ١٥٧٠م يقضي بترحيل جميع الأندلسيين من مملكة غرناطة بلا استثناء وإضافة إلى النفي قرر فيليب الثاني مصادرة جميع ممتلكات المنفيين لتعويض ما أنفقه من أموال على الحملات ضد الثوار وقدرت بحوالي ١٠٠ مليون دولار بعملة اليوم(٤)وقد أخذوا من غرناطة والفحص ووادي "لكرين" وجبال "بنتوميث" حتى "مالقة" وجبال "رندة" و"مربلة" وتم توزيع المنفيين الجدد في مناطق استرا مادورا

Extremaduraو جليقية Galicia.(٥) وينتقل موريسكيو وادي آش وبسطة إلى نهر المنصورة وموريسكيو البسيط ومنتشا وطليطلة وحقل قلعة رباح والمونتييل يوزعون على قشتالة القديمة old castilla مملكة ليون Leon ،وموريسكيو المرية وما حولها يحملون بحراً إلى اشبيلية.(6) وكان مجموع ما هجر في هذه المرحلة الثانية يقدر بنحو ٥٠٠٠٠ شخص ولم

---

(١) بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٥٠

(3) Lane-poole. Stanley, The Moors in spain, p 279.

(٤) بشتاوي، الأندلسيون المواركة ، ص ١٥٠ ، ثنون، حركة المقاومة، ص ٦٨.

(٥) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٠٦،حتاملة ، التهجير القسري ص ٨٩.

(6) محمد عبده ، حتاملة، التهجير القسري، ص ٨٩ .

يؤخذ أخد إلى بلنسية ومرسية وأرغون خوفاً من اتصالهم بعرب تلك المناطق وتكتلهم من جديد للقيام بثورة أخرى على السلطة. (1)

ولم يسمح بالبقاء إلا لعدد قليل من المسيحيين الجدد الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية عليا، كالأسماء الآتية: بدرو فينيجاس Pedro Venegas وجونسا لفـوزجري Gonsalvo Zigri وجيرو يمو دي بلا تيوسGeronimo de pallatios . بل إن مقاييس الإقامة في غرناطـة كانت ذات محدد ثقافي: الاشتراك في الحرب ضد الموريسكيين وبذل تضحيات شخصية كبرى للتاج الزواج من أسرات مسيحية قديمة والسلوك العام البارز على شاكلة المسيحي القديم.(2)

* **مرسوم ٦ تشرين الأول ١٥٧٢م** : أصدر فيليب الثـاني مرسـوماً جديـداً حـرم علـى الموريسكيين التخاطب بالعربية أو الكتابة بها وحدد عقوبة المخالفة الأولى للمرسوم بالسجن مع التكبيل بالحديد مدة ٣٠ يوماً وضعفي المدة للمخالفة الثانية والخدمة أربع سنوات في القواديس مع ١٠٠ جلدة في حالة المخالفة الثالثة. وجاء في المرسوم : إن العثور على وثيقة أو صفحات مكتوبة بالعربية ستعرض صاحبها للخدمة أربع سنوات في القواديس (نوع من السفن) والجلـد ١٠٠ جلدة. وألغى المرسوم أية قيمة قانونية لأية وثيقة أو صك مكتوب بالعربية وحدد عقوبة جميع المسؤولين عن مثل تلك الوثائق أو الصكوك بمئتي جلدة والعمل سخرة في القواديس ست سنوات وتضمن المرسوم عدداً كبيراً من الممنوعات والمحظورات إلا أن أعظم العقوبات كانت بحق الموريسكيين الذين يتركون المناطق السكنية لهم بعد نفيهم. فإذا قبض على أندلسي يتراوح سنه بين العاشرة والسابعة عشرة على بعد عشرة فراسخ من غرناطة حكم عليه بأن يكون عبداً يشتغل في القواديس بقية أيام حياته. وإن كان سنه فوق ذلك حكم عليه بالإعدام وأجبر المرسوم الموريسكيين بإعلام السلطات إن هرب أحدهم من المنطقة المحددة لسكناه وإن تخلفت الأسـرة عن إبلاغ السلطات فإن عقوبة أفرادها مهما كانت صلتهم بالأندلسي الفار، السجن مدة شـهر واحد والجلد وإذا حدث وترك أحد الأندلسيين سكناه في المنفى المخصص له فـإن الـسلطات كانت تحشد كل قواها وعيونها وتخصص الجوائز القيمة للإمساك به وتطبق العقوبـات التـي

---

(1)محمد عبده، حتاملة ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيليب الثاني ، ص ٨٩-٩٠ ذنون، حركة المقاومة ، ص ٦٨-٦٩، بشتاوي، الأندلسيون الموراكة ص ١٤٩-١٥٢، محمد عبده حتاملة ، الأندلس، ص ٨٠١، وانظر: Luis del Marmol Carvajal obra. Citada . Libro. X capt .VI ,pags . 437 – 444.

(2)هوس ، افتراق العالمين...، ترجمة أحمد الرحيم مصطفى ، ص ٢٢٥.

نص عليها المرسوم.([1]) ويصف برسكوت (Prescott) طبيعة المراسيم التي صدرت بحق الأندلسيين في تلك الفترة فيقول:" من العسير أن يعثر المرء في صفحات التاريخ على مثال أوضح للاضطهاد تعرض له شعب مقهور من ذلك المتمثل في القوانين التي صدرت في تلك الحقبة بحق الموريسكيين".([2])

لقد أصبح النفي الحل الوحيد لإنهاء الثورة لقد تمت عملية التهجير بتقسيم المملكة إلى سبع مناطق وضع كل منها تحت رعاية مسؤول أو أكثر حتى الثلاثة ليقودوا عمليات الترحيل من مراكز التجمع الآتية : (رندة ، مالقة ، غرناطة، جواديكس، باثا، فيرا، المرية) وكان يساعد هؤلاء آخرون وكل واحد منهم مسؤول عن جمع سكان عشر قرى([3]) ويشير هورتز وبنثنت إلى إهمال المؤرخين لتدوين عمليات الترحيل على الرغم من كثرتها.([4])

وقد تمت عمليات الطرد على ثلاثة مراحل، (عشرين ألفاً من المرحلة الأولى، وخمسين ألفاً من الثانية، وعشرة الآف من الثالثة) ويعتبر طرد ١٥٧٠م الأكثر أهمية، فهو الطرد المركزي ، وقد عانى منه الموريسكيون كثيراً ، وقد وضع برنارد بنثنت دراسة عن طرد الموريسكيين وتوزيعهم في قشتالة وطرق هجرتهم وعددهم وأماكن خروجهم والأماكن التي استقروا فيها.([5])

والجدول رقم (١) يتضمن أماكن نفي الموريسكيون والأماكن التي أتوا منها.

([1]) بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٤٨.

([2]) P rescott, William Hickling , History of the reign of Philip the second, king of spain . (Boston) . 1859, Book V, p 289.

([3]) هورتز وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس ، ص ٦٢، عبدالله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٤٠.

([4]) المرجع نفسه، ص ٦٧، المسلمون المنصرون،ص ١٤٩.

([5]) هورتز وبنثنت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ترجمة عبد العال صالح طه، ص ٦٥-٦٦ وللإستزادة ،انظر:

-Le expulsion des morisques du Royaume de Granada et leur repartition en castilla (1570-1571) en mélanges de la caso de velazques , VI , paris 1970. pp. 211-246

- J.C.Baroja, los moriscis….p. 201.

جدول رقم (١) أماكن نفي الموريسكيين والأماكن التي أتوا منها

الأماكن التي استقروا فيها	الأماكن التي اتو منها
الباثيتي ،تشنشيا.	جواديكس ،دائرة الماركيز ديلوس فيليس ، بورتشانا ،باثا ، هويسكار ، اجيجر .
الكالاء دي هنا ريس.	باثا ،كانيليس .
الكانتارا .	الموخيا .
الكاراز.	انتيباس ، اوهانيس ، تيخولا .
الكازار ،دي سان خوان ، كونسوفيرا.	دائرة الماركيز دي سينيت ، بينا مارول.
الماغرو ،مانثناريس .	دائرة الماركيز دي سينيت ، بينا مارول.
فالد بيبنياس	دائرة جواديكس.
كارمونا.	غرناطة،الفاتوسية،تولوكس.
كافيريس	فيريرا،أورخيبا.
قرطبة	غرناطة،ريف غرناطة ،البشرات،ريوديل،المنصورة،بيدار،لويرين، توروكس،كانياس دي أسيتونا،كوماريس.
اسيخا،ايتيبا،أوسونا.	كاساربونيلا،غرناطة،سيررانيا دي رندة،تولوكس،موندا،غوارو.
غوادالكانال.	ايزناتي.
غوادالخارا،زوريتا.	دائرة الماركيز دي سينيت.
جيان.	غرناطة، البشرات،جواديكس،رندة.
لوركا.	هويسكار.
مارتوس	غرناطة،ريف غرناطة.
كينتنا نار دي لا أوردون.	دائرة الماركيز ديلوس فيليس.
سيفو را دي ليون.	هو يا دي مالقة.
سيجوبيا.	جواديكس،أرياف جواديكس.
أشبيلية.	المرية.
تنبيليكس.	السالار.
طليطلة.	أرياف جواديكس،البشرات ،دائرة الماركيز دي سينيت.
أوكليس،هويتي.	ريوديل المنصورة.
قشتالة، لابيخا القديمة.	غرناطة،ريف غرناطة،موتريل، تريفيليس.

عن: هورتز وبنثنت، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون(حياة...ومأساة أقلية) .ترجمة عبد العال صالح طه.

لقد كشف صراع ١٥٧٠م حقيقة الأوضاع وأصبحت الجماعتان على وعي بما يفصل بينهما فقد كانت الجراح عميقة ومن الصعب أن تلتئم بسرعة.(١) واستمرت موجة المقاومة ضد السلطات الأسبانية رغم الإجراءات المتخذة وظل الموريسكيون متشبثون بهويتهم الحضارية مما اقنع فيليب الثاني بفشله وجعله يفكر آخر أيامه بإخراجهم وهذا ما سيقوم به بالفعل ابنه فيليب الثالث(٢).

وانتهت الثورة الأندلسية الكبرى التي كان الأندلسيون يعلقون عليها آخر أمل لهم في النجاة من الظلم الذي حل بهم وقد كان من الممكن أن تكون لها نتيجة إيجابية.

ملاحظات وتفسيرات لقرار النفي ومصادرة ممتلكات الموريسكيين:

لقد كانت هذه القرارات إجراءات راديكالية أدت إلى نقص أعداد الجماعة الإسلامية السرية في غرناطة إلى حد كبير(٣). ولم تخل الحملة من حوادث دموية وبارح ما بين ٧٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ من الموريسكيين وطنهم بشيء من التردد(٤) وخلع فيليب الثاني على البيروقراطية المهام الخاصة بطرد الموريسكيين والحيلولة دون عودتهم وإعادة إسكان المقاطعة بمسيحيين قدامى وكان اهتمام الإداريين الملكيين بالمتطلبين الأولين يفوق اهتمامهم بالمتطلب الأخير.وتفصح لنا عمليات مسح الأراضي المتعددة والوثائق العديدة من كل نوع عن اهتمام التاج باستدامة السيطرة على أملاك الموريسكيين المطرودين وفرض حصار الهدف منه الحيلولة دون انتعاش الإسلام في غرناطة (٥) لقد تم إعادة إسكان المقاطعة بمسيحيين جدد من غاليسيا واستورياس والمناطق القريبة من ليون وبورجوس.(٦)

وقد سجلت التغيرات الجوهرية التي أصابت تركيب سكان غرناطة بداية صفحة جديدة في التاريخ الاجتماعي لحدود أسبانيا الإسلامية :

١- فعمليات الطرد لم تؤد إلى استئصال عنصر خطر من منطقة أصبحت حينئذ موضعاً للتهديد نتيجة لامتداد سلطة الدولة العثمانية إلى شمالي أفريقيا.(٧)

---

(١) هورتز وبنثت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٧١.
(٢) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم، ص ١٠٩.
(٣) افتراق العالمين ، ص ٢٢٥.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٥، رزوق ، الأندلسيون وهجراتهم...، ص ٩٥ وهناك من يقدر عدد المنفيين ب ١٥٠ ألف أنظر:
H. Lapeyre, Geographie de lespagne morisque , p . 122.
(٥) المرجع نفسه، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
(٦) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.
(٧) المرجع نفسه، ص٢٢٦.

٢- ولم يعد بعد عام ١٥٧٠م يوجد سكان غير مخلصين في غرناطة على استعداد للترحيب بالأتراك الذين استقروا في شمال أفريقيا ولم يعد هناك جماعات موريسكية ثائرة في جبال جنوب شرقي أسبانيا تهدد وتشل الجيوش الملكية.(١)

٣- إن توحيد الحدود الثقافية والسياسية في جنوب شرقي أسبانيا بعد الثورة وطرد السكان قد زاد في ضعضعة الاقتصاد في المنطقة التي كانت تنعم بالرخاء(٢)

٤- إن طرد الموريسكيين من غرناطة وفر سابقة بالنسبة لمناطق أخرى تضم أعداداً كبيرة من الموريسكيين.(٣) لقد كان لقرار الطرد وهو النتيجة الرئيسية للثورة الغرناطية وسيكون لها صدى واسع في الحياة الأسبانية وفي الوجهة النهائية لمجموع تلك الأقلية الموريسكية.(٤)

٥ - إنه على الرغم من كل محاولات الطمس والتشريد التي دلتنا عليها الوثائق المحفوظة فقد ظل الموريسكيون يعتزون بأصلهم ويحافظون على هويتهم بالوسائل المتاحة رغم ملاحقتهم واضطهادهم، وجعلهم يعيشون على الهامش من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فظلوا يحافظون على روح التضامن .(٥)

نتائج الثورة على من لم يشترك في الحرب:

عملت الحكومة الأسبانية على تقنين أعمال التضييق على الموريسكيين وصدر في ٢٤ شباط ١٥٧١م القانون المعروف باسم " مجموع القوانين المحلية الخاصة بمملكة غرناطة" (Ordenanzas De Granada) وقدم لها بما يلي : " أن من غير المتوجب معاقبة الموريسكيين الذين لم يشاركوا في العصيان وعلينا ألا نرغب في إيذائهم ولكن لن يكون بمقدورهم بعد اليوم استغلال أراضيهم ذلك لأن محاولة فصل الأبرياء عن المذنبين مهمة بلا نهاية. وسنعمل بالتأكيد على تعويضهم في المستقبل ولكن أطيانهم ستصادر في الوقت الراهن

(١) هيس ، افتراق العالمين ، ص ٢٢٦-٢٢٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٧.
Juan Regla, (La expulsion de los Moriscos Y sus consecuencias) Hispania 13, nos 51-52 (1953): 215-67 , 402-79.
(٣) افتراق العالمين، ص ٢٢٧.
(٤) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٥١، هورتز وبنشت ، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٦٩.
(5)Mercedes Garcia Arenal : Jnquisicion Y moriscos .los .procesos del Tribunal de Cuenca .Madrid, 1978. capt. IV . pags 84 -886.

مثلهم في ذلك مثل الموريسكيين الثائرين.([1]) ولم يعوض "أندلسيو السلام".([2]) فيما بعد ومع ذلك نظر القشتاليون إلى القانون على أنه تضمن صفحاً عن الأندلسيين لا يسوغه الواقع.([3]) وقد شمل قرار النفي جميع الموريسكيين المسالمين الذين لم يحملوا السلاح والآخـرين الـذين حملوا السلاح ثم استسلموا دون تفريق بين الفئتين.([4])

نتائج الثورة على أسبانيا:

١- فمن الناحية السكانية: فإن عملية الطرد التي اعتبرت النتيجة الرئيسية للثـورة تمثـل إحدى القضايا الشائكة عند معالجة موضـوع الموريـسكيين وإن دراسـتها تتطلـب الاستعانة بوثائق مضمونة ويمكن أن يقاس أثر الطرد على تعداد السكان بشكل أكثـر دقة إذا نظرنا إلى نسبة تلك الأقلية إلى المجموع الكلي للسكان.ومن خـلال الوثـائق الموجودة في الأرشيفات التي تقدم لنا معلومات قيمة عن آثار الطرد ففـي غرناطـة حدث تدهور اقتصادي وهبط عدد السكان إلى حد كبير أثر خروج الموريسكيين عـام ١٥٦٩م عندما أمر الملك فيليب الثاني بترحيل الموريسكيين إلى قـشتالة إن غالبيـة سكان غرناطة النازحين استوطنوا مناطق من أندلوثيا تقع على نهر الـوادي الكبيـر واستقر معظمهم في جيان وقرطبة أما اشبيلية فلم يستوطنها عدد كبير([5]) وقد أصـبح موريسكيو ولاية "ارغون"منذ ذلك الوقت أكثر عدداً وتركيزاً ولقد قل اهتمام الحكومة بمشكلتهم وذلك لأن أحد نتائج الطرد الرئيسية كانت زيادة العداء بين الجماعتين فـي مناطق واسعة من ولاية قشتالة التي ظلت حتى ذلك الوقت في حالة ركود.([6])

٢- ومن الناحية السياسية والاجتماعية فقد ادت حرب غرناطة إلى أضـعاف سـلطة آل مندوزا وتجسيم أهمية الحلف القائم بين البيروقراطية والكنيسة والمجتمـع المـسيحي القديم في حين أنها قضت على الجماعة الموريسكية باعتبارها أحد عناصر الحياة في

---

(١) Circourt, count Albert de, Histoire des Arabes en Espagne, vol . III. P 148.

(٢) اللقب الذي أطلق على الأندلسيين الغرناطيين الذين التزموا الحياد في الثورة الموريسكية ١٥٦٨م.

(٣) Carbajal. Luis del Marmol, Historia del Rebeliony castigo de los Moriscos del Reyno de Granada, (Madrid), 1797, part II. P 439.

(٤) هورتز وبنلث،تاريخ مسلمين الأندلس ،ص٦١.

(٥) أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية ، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٦) هورتز وبنلث، المرجع نفسه، ص ٧١.

المقاطعة.(١) وكانت الثورة أشبه ما تكون بحفرة عمقت الفصل بين حضارتين كما كانت تعبيراً عن خيبة أمل أقلية أرادت المحافظة على هويتها.(٢)

٣- ومن الناحية الاقتصادية فقد أدى طرد الموريسكيين إلى ضعضعة الاقتصاد في المنطقة بالقحط والخراب لأن الدولة حاولت الحصول على أموال كثيرة منها فأجرت أراضيها ومنازلها بأسعار عالية جداً وحملت السكان الجدد ضرائب عينية ومالية أكثر من تلك التي تحملها الموريسكيون.(٣)

٤ – إن ثورة أهل غرناطة بمذابحها الرهيبة،قد عملت الكراهية بين المسيحيين والموريسكيين (المسيحيون الجدد) هذا بالإضافة إلى حالات الإغتيال الفردية التي ارتكبها موريسكيون بدافع الانتقام الشخصي والتي كان العامل الديني يؤثر فيها كحافز.(٤)

وتأثر نفقات الدولة بسبب أن دواوين محاكم التفتيش كانت تعيش في كثير من نفقاتها من الموريسكيين وأنها كانت توفر مداخيل ضخمة إلى التاج وهذا ما يفسر كيف أن البلاط الملكي تردد كثيراً في طرد الموريسكيين.(٥)

نتائج الثورة على أقطار المغرب العربي والصراع الإسلامي المسيحي في البحر الأبيض المتوسط:

١- أن آلاف الموريسكيين التجأوا إلى الجزائر والمغرب والدولة العثمانية بعد فشل هذه الثورة وقد نشطوا نتيجة لذلك حركة التصدي للأسبان وساعدوا القيادات العثمانية بفضل معرفتهم اللغة القشتالية والأماكن الجغرافية والطرق البحرية.(٦)

٢- أن سياسة فيليب الثاني أصبحت مهتمة جداً بسواحل شمال أفريقيا وعلى الخصوص قلعة حلق الوادي وكان يخطط لتحصينها أكثر والعمل على تصفية ولاية الجزائر الخطيرة على أمن السواحل والبواخر الأسبانية.(٧)

٣- أن رد فعل علي باشا كان تخطيطه ضرب النفوذ الأسباني في تونس والقضاء على الحفصيين محميي الأسبان وقد تم له ذلك. (٨)

---

(١) هيس، افتراق العالمين...، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ٢٢٤.
(٢) عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ١٢٥، هيس ، افتراق العالمين....ص ٢٢٤.
(٣) عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٥١، هيس ،افتراق العالمين، ٢٢٦-٢٢٧.
(٤) لونغا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسين، ص ٥٤ .
(٥) كاردياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص ١١١
(٦) رزوق، الأندلسيون وهجراتهم،....، ص ٩٧.
(٧) المرجع نفسه، ص ٩٧.
(٨) المرجع نفسه، ص ٩٧.

٤- أن خنق الثورة الموريسكية أعطى بعداً جديداً لحركية الأسبان وحتم عليهم خلق أرضية جديدة تتجلى في النشاط الذي تزعمته أسبانيا والبابا الذي كان وراء الحلف المقدس ومعركة لابنتي التي أدت بدورها إلى إحتلال تونس بصورة فعلية وطرد العثمانيين منها سنة ١٥٧٣م. وهذا ما يؤيد ترابط الأحداث بالبحر الأبيض المتوسط.(١) فقد سببت ثورة الموريسكيين عدم توازن لصالح الشرق في صراع السيطرة في البحر الأبيض المتوسط كما يرى " بروديل" وقد حدد فيليب الثاني الوضع الاستراتيجي في حوض البحر الأبيض المتوسط في رسالة موجهة إلى "برى دي سردينيا" يتحدث فيها عن خطر تهديد أسطول الترك لهذه الأجزاء مستغلاً ثورة الموريسكيين في غرناطة واحتمال مناصرة إخوانهم في "ارغون وبلنسية" وقرب تلك المناطق من أفريقيا وفي ١١ مارس ١٥٧٠م توجه الملك من قرطبة إلى السلطات الدينية موجهاً أنظارهم إلى أن أسطول الترك العدو المشترك للمسيحية لا بد أن يأتي هذا الصيف لتشجيع الموريسكيين المتمردين في غرناطة ويوصيهم بالصلاة والعبادة حتى يمكن تجنب ذلك الخطر.(٢)

(1) عبد الجليل التميمي، رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية – المغربية ، في القرن السادس عشر مقالة بالمجلة التاريخية المغربية ، تونس ،العدد ٢٩-٣٠ يوليو. ١٩٨٣، ص ٩٢-٩٣.

(2) Fernando Braudel, la Mediterranee et le monde mediterranmeen al, époque de philip II, paris 1949, p. 902.

وانظر صفحات: ١٨٣-١٨٦-٢٤٠-٣٤١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٦-٥٥٧-٥٦٤-٥٧٣-٥٨٤ من الجزء الثاني للترجمة الأسبانية حيث عرض للآثار الداخلية والخارجية للثورة الموريسكية الغرناطية ١٥٦٨م
عن: عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٢٦-١٢٧.

أسباب فشل الثورة الموريسكية الكبرى:

١- يرى بعض المؤرخين أن الثورة قضي عليها من الخارج وليس من الداخل وذلك بهزيمة الأتراك في معركة لابنتي سنة ١٥٧١م وإن نجاح الأتراك وتقدمهم نحو نابولي وصقلية كان سيبعث الأمل في نفوس الموريسكيين ويستجمعون قواهم للنهوض من جديد([1]) ذلك أن هزيمة الأسطول العثماني على عهد السلطان سليم الثاني في هذه المعركة كان بمثابة كارثة وأصبحت تركيا شيئاً فشيئاً لا تهتم بأحداث غربي البحر الأبيض المتوسط ثم توصلت إلى هدنة ضمنية مع فيليب الثاني.([2])

٢- عدم الانسجام الكامل بين قادة الثورة وزعمائها ([3]) وأشار "كارو باروخا" إلى أن زعماء المسلمين كانوا يتنافسون ويتباغضون منذ البداية وأنهم ينتمون إلى جذور متعادية بصورة تقليدية ([4]) فعلى سبيل المثال: ما كان بين (أبن أمية) من ناحية و (ابن أبوه) و (الغالبي) من ناحية أخرى([5])وقد لعبت الخيانة دوراً بارزاً في هذا المجال حيث دبر بعض ذوي النفوس الضعيفة في معسكر محمد بن أمية مؤامرة لاغتياله متهمينه بالتقاعس في الحرب ومحاولته تصفية بعض العناصر التركية المتطوعة التي جاءت من الجزائر للمساعدة في الحرب إلى جانب الثوار , فاختار زعماء الثوار ملكاً جديداً بدله هو ابن عمه دييغو لوبث (Diego Lopez) المعروف بابن أبوه فتسمى باسم مولاي عبد الله محمد بن أبوه ملك الأندلسيين.([6])

٣- لقد كان جنود الثورة فلاحين بسطاء غير مدربين تؤثر في نفوسهم الهزيمة والتراجع وتضعف من ثقتهم وهممهم.([7])

٤- عدم شمولية الثورة: حيث امتنع موريسكيي اراجون عن التدخل فهل يمكن أن نقبل القول بأن الفروق بين العديد من العناصر المكونة للأمة الموريسكية أصبحت

([1]) ليلى الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة، مقال بمجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد ٢٧، سبتمبر - اكتوبر ١٩٧٥ ص١٧٥ رزوق،الأندلسيون وهجراتهم، ص ٩٥،وانظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية...، ج ٢ ص ٩٢٥-٩٢٧.

([2])Braudel,op .cit . tomo II,p . 365 Yss

عن: عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون، ص ١٣٧، وانظر تفصيل ذلك عند : عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية ....ج٢ ص، ٩٢٥ - ٩٢٧.

([3]) ذنون، حركة المقاومة ....، ص ٦٥.

([4]) Julio caro Baroja, los moriscos..., pp 189

عن عبد الله محمد جمال الدين المسلمون المنصرون، ص ١١٧.

([5]) هورتز وبنشت، تاريخ مسلمي الأندلس، ص ٥٧.

([6]) ذنون ، المرجع نفسه، ص ٦٥،محمد عبده حتاملة، المرجع نفسه، ص ٦٧-٦٨ حومد، أسعد ، المرجع نفسه، ص ٢٣٩.

([7]) سيركور ج ٢، ص ٣٣٦/ عن حومد، أسعد، محنة العرب ، ص ٣٠٤-٣٠٥.

كبيرة.([1]) كما كان موريسكيو أرغون في منطقة بلنسية منزوعي السلاح وكانوا هدفاً لحراسة شديدة ويقول " جراثيا كراثيل" في تقرير لـــه قـــدم للمـــؤتمر الأول لتـــاريخ الأندلس: أن تدخلهم لم يضر إلا في مد الآثار السيئة لحرب لا يمكن الانتصار فيها ثم تحدث عن إقامة عزل بين البلنسيين والغرناطيين ثم كان التفكير السائد وهو اليأس من إمكانية استرداد أسبانيا وإعادتها للإسلام مرة أخـــرى وأخيـــراً ادرك الموريـــسكيون الغرناطيون أن التضامن الإسلامي له حدود([2]).

٥- ولا ننسى رفض الموريسكيين بالبيازين الانضمام إلى الثورة فقد أعطاها طابعاً يختلف عما ستكون عليه الأحوال لو انضم إليها عشرة آلاف مواطن " لقد جئت متأخراً يا زيد احضرت قليلين وجئت متأخراً "([3]) لقد برهن ذلك على ضـــعف روح الثـــورة عنـــد مواطني المدينة وقوة اليأس والإيمان بالفكرة عند سكان المناطق الجبلية.([4])

٦- ويرى مؤرخون أن من نتائج فشل ثورة البشرات (١٥٧٠-١٥٨٦م) نـــزوح حـــوالي ٣٠٠٠٠ موريسكي بقيادة الحبقي إلى الجزائر ([5]) على أثر عقد اتفـــاق مـــع ضـــون خوان دي استريا D.Juan de Austria في ٢٠ ماي ١٥٧٠م.([6])

([1]) هورتز وبنثنت ،المرجع نفسه ، ص ٦١، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٣٩.
([2]) المرجع نفسه، ص ٦١، عبد الله محمد جمال الدين، المسلمون المنصرون، ص ١٣٩.
([3]) عبد الله محمد جمال الدين ،المسلمون المنصرون، ص ٨٨-٨٩.
([4]) المرجع نفسه، ص ٨٩.
([5]) نصر الدين ، الجالية الأندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي . in,Awraq, No 4,1981 , Madrid ,0.114 عن أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر ما بين سنتي ١٥٧١-١٥٧٢م، ص٣٤.
([6]) أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية، موقف الدولة...، ص ٣٤-٣٥،وحول العلاقات بين الجزائر وموريسكيو منطقة البشرات انظر : Marmol, Carvajal , Historia de la Rebelion Y Castigo de los Moriscos de Granada , T. II.,Madrid, 1797, pp . 397 – 396.

الاستنتاجات

١- إن المشكل الموريسكي في أساسه وجوهره وأسبابه مشكل ديني فكانت الثورةأشبه ما تكون بحفرة عمقت الفصل بين حضارتين وأبرزت في الآن نفسه التضامن الموريسكي داخل مملكة غرناطة.

٢- إن الثورة لم تكن كمطلب آلي كرجوع الحكومة الأسبانية عن قراراتها السابقة أو السعي لرفع مختلف ضروب الظلم والتعسف عن الموريسكيين أو الإلحاح على معاملتهم كمواطنين كاملي الحقوق كغيرهم وإنما كانت الثورة ذات هدف ثوري إيجابي عميق هو إعادة تكوين مملكة غرناطة.

٣- ومن خلال دراسة موقف الدولة العثمانية من المشكل الموريسكي بشكل عام والثورة الموريسكية بشكل خاص اعتماداً على دراسة علمية وبعيداً عن الأحكام الاعتباطية العاطفية ومن خلال دراسة الوثائق العثمانية أدت إلى تغيير النظرية السائدة عن عدم مساعدة العثمانيين وضعف موقفهم تجاه المشكل الموريسكي وإنهم إنما يخدمون مصالحهم.

٤- ومن خلال دراسة العلاقات الموريسكية – البروتستانتية نستنتج أن هذه العلاقات هي قضية سياسية بحتة وإنه أبعد ما تكون عن العطف العقائدي المتبادل وأن هذا التحالف فرضته الملابسات السياسية الظرفية.

٥- ونستنتج البعد المغربي في السياسة الأسبانية تجاه الموريسكيين فالمغرب بقربه من أسبانيا ولاعتباره أرضا صالحة للاحتواء وإيواء الموريسكيين سنجده يبرز دائماً في الوثائق الأسبانية كملجأ منتظر للموريسكيين فدور المغرب إذاً في هذه المرحلة التاريخية وبالرغم من المسيحيين في الحقيقة كان يظهر في عيون الأسبان كمكان مناسب لنهاية الموريسكين. فقد كان المغرب من بين الجهات التي كان يضعها الساسة الأسبان في الاعتبار أثناء تخطيطهم لطرد الموريسكين من أسبانيا ولكن ثقل المغرب لم يكن ليصل إلى درجة التخوف من تدخله بشكل يرعبهم نظراً لمعرفة الأسبان بدقائق الأمور المغربية ويقينهم بأن الأوضاع الداخلية للمغرب لم تكن تسمح بتدخل مهم خارج حدودها. ونظراً لما ارتبط به الموريسكيون من علاقات متعددة الجوانب مع المغرب السعدي منذ بداية حكم هذه الدولة سنجد باستمرار صدى الوضعية السياسية المغربية تنعكس في المخططات التي كانوا يهيئونها والقرارات التي كانوا يتخذونها.

لقد كان الصراع بين القوى السياسية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط له تأثير على الثورة الموريسكية الكبرى وذلك عندما نشير إلى موقف السلطان السعدي عبد الله الغالب من الثورة الذي رأى في الأتراك العثمانيين خطراً يهدده أن التوافق الإستراتيجي الذي حدث بين الأسبان والسعديين سيؤثر سلباً على الثورة الموريسكية.

٦- ونستنتج أيضا أن اقتصاد أسبانيا تأثر تأثراً عميقا في جميع قطاعاته نتيجة خروج الموريسكين منها وإن كانت الكتابات التبريرية بالرغم من وعيها بهذه النتائج السلبية فضلت الوحدة الدينية والعرقية على أي ازدهار آخر فإن هذا التوجه الأيديولوجي سرعان ما بدت آثاره واضحة في الاقتصاد الأسباني لقد اعتبر القرار كارثة من الناحية الاقتصادية ووصمة عار من الناحية الإنسانية. لقد كان أكثر القطاعات تضرراً لهذا الإجراء قطاع صناعة الحرير والفلاحة فقد كانت ثورة الموريسكيين بحد ذاتها خراباً لهذا القطاع على واجهات عدة فقد أدت إلى إتلاف الكثير من أشجار التوت بإحراقها أو قطعها أو قلعها وهو ما عرف بإستراتيجية الأرض المحروقة. وأدى ترحيل الموريسكيين وتهجيرهم إلى تضييع الأيدي العاملة الخبيرة بجميع مراحل استغلال الحرير. ومما يؤكد هذه الوضعية المتأزمة قلق الحكام لوعيهم التام بالدور الذي تلعبه صناعة الحرير في التطور الاقتصادي للمنطقة وفي مداخيل الخزينة ولإنجاح عملية تعمير المدينة.

المراجع

المراجع العربية :

رئاسة الوزراء باستانبول ، مهمة دفتري رقم ٩. فرمان بتاريخ (١٠ ذي القعدة ٩٧٧هـ / ١١ إبريل ١٥٧٠م).

بروديل ، فرمان (١٩٩٣) ، **المتوسط والعالم المتوسطي** ، (ط١) ، (ترجمة وإيجاز مروان أبي سمرا) ، بيروت : دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.

بشتاوي ، عادل (١٩٨٥) ، **الأندلسيون المواركة : دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة** ، (ط٢) ، دمشق : دار أسامة للنشر والتوزيع والطباعة.

بوشرب ، أحمد (١٩٩٦) ، **مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية** ، (ط١) ، الرباط : منشورات كلية الآداب.

بوزينب، الحسين (٢٠٠٠) ، **البعد المغربي في السياسة الأسبانية تجاه الموريسكيين منذ عهد أحمد المنصور، ضمن ندوات الموريسكيون في المغرب** ، (الندوة الثانية) ، شفشاون – المملكة المغربية : مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

التميمي ، عبد الجليل (١٩٨٩) ، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين زغوان** ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي).

التميمي ، عبد الجليل (١٩٨٣) ، **رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر** ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، ع٢٩-٣٠.

التميمي ، عبد الجليل (١٩٧٥م) ، الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر ، **المجلة التاريخية المغربية** ، ع٣ .

جمال الدين ، عبد الله محمد ، (١٩٩١) . **المسلمون، المنصرون : صفحات مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس** ، (ط١) ، القاهرة : دار الصحوة .

الجنابي ، مصطفى بن حسين ، (ت٩٩٩هـ-١٥٩٠م) . **البحر الزخار، والعيلم التيار** . مخطوط في الخزانة العامة – الرباط ، عدد ١٥٠٧.

المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية الأندلسية، الحايك ، سيمون ، (١٩٩٥) . الدراسات الموريسكية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة

في إسبانيا ، مدريد.

حتامله، محمد عبده ، (١٩٨٢)، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني (١٥٢٨-١٥٩٨)** ، (ط١)، عمان – الأردن : نشر بدعم الجامعة الأردنية.

حتاملة، محمد عبده، (٢٠٠٠) ، **الأندلس : التاريخ والحضارة والمحنة (دراسة شاملة)** . عمان – الأردن .

حتاملة، محمد عبده، (١٩٩٩) ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، عمان – الأردن.

الحجري ، احمد بن قاسم ، **ناصر الدين على القوم الكافرين** ، (تحقيق محمد رزوق) ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م .

حجي ، محمد ، (٢٠٠٠) ، **الموريسكون والجهاد البحري في المغرب العربي** ، سلسلة ندوات الموريسكين في المغرب ، الندوة الثانية .

المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية ، ابن حفري ، شكيب (١٩٩٣م) ، **موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر (١٥٧١-١٥٧٣)** ، الجزء الثاني.

حومد ، أسعد ، (١٩٨٨) ، **محنة العرب في الأندلس** ، (ط١) ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

ذنون ، عبد الواحد (٢٠٠٤) ، **حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة** ، (ط١) ، بيروت : دار المدار الإسلامي.

رزوق ، محمد (١٩٩١م) ، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين١٦-١٧** ، الدار البيضاء : افريقيا الشرق .

الساحلي ، خليل ، (١٩٧٧م) ، **وثائقية عن المغرب العثماني اثناء الحرب مالطة سنة١٥٦٥، المجلة التاريخية المغربية** ، تونس ،ع٧-٨ .

الشناوي ، عبد العزيز محمد ، (١٩٨٠). **الدولة العثمانية** (دولة إسلامية مفترى عليها) القاهرة .

الشيخ ، رأفت غنيمي (١٩٩٣) ، **ارتباط خروج المسلمين من الأندلس بحركة الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي المتوسط** ، ضمن أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية ، (الجزء الثاني) ، زغوان ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي).

الشيخ ، رأفت غنيمي (١٩٨٣) ، **العرب : دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر** : القاهرة .

الشيخ ، رأفت غنيمي (١٩٨٢) **الجهاد البحري الإسلامي في البحر المتوسط ، المجلة الإسلامية** ، رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط .

الصباغ ، ليلى (١٩٧٥) ، **ثورة مسلمي غرناطة عام ٩٧٦هـ والدولة العثمانية ، مجلة الأصالة الجزائرية** ، السنة الرابعة ، ع٢٧.

عبود ، محمد (١٩٨٥م) ، **الموريسكيون في نهاية عهد دول الطوائف من خلال النصوص التاريخية الأندلسية ، مجلة البحث العلمي** ، ع٣٥.

عنان ، محمد عبد الله (١٩٨٧) ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، (ط٤)، القاهرة .

عنان ، محمد عبد الله (١٩٦٦) ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، القاهرة.

فضل ، صلاح (١٩٩٢) ، **ملحمة المغازي الموريسكية دراسة في الأدب الشعبي المقارن** ، (ط٢) ، القاهرة : دار عالم المعرفة.

قدوري ، عبد المجيد (٢٠٠٠) ، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر (مسألة التجاوز)** ، (ط١) ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.

الكتاني ، علي المنتصر (٢٠٠٠) ، ثورة غرناطة الكبرى (١٥٦٨-١٥٧٠) ، **مجلة التاريخ العربي** . العدد (١٦) ، ص ٢٩٥-٣٢٥.

كاردياك، لوي (١٩٨٩) ، **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون : المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا** ، (ط٢) ، زغوان : مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي).

لونغا، بدرو (١٩٩٣) ، **الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين** ، (ترجمة جمال عبد الرحمن) ، زغوان : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق.

مجهول(ت١٩٣٤) ، تاريخ **الدولة السعدية التكمدارتية** ، (نشره جورج كولان)،الرباط .

هورتز، أنطونيو وبرنارد ، بنثت (١٩٨٨) ، **تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون "حياة...ومأساة أقلية"**، (ط١) ، (ترجمة عبد العال صالح طه) ، قطر : دار الإشراق.

هيس ، أندرو (١٩٨٦) ، **افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس** ، (ط١) ، (ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى) ، الكويت : منشورات ذات السلاسل.

المراجع الأجنبية :

Archivo historico nacional, inquisicion lag . 2604 (3-6-1070) .

Archivo municipal de Granada libro de provisiones 1

Archivo Municipal de Granada, Provisiones No. I.

Archivo Municipal de Malaga, Documentos so los reyes Catollicos, 20 Julio 1515. Burgs.

Archivo Municipal do Malaga, Documentos do los reyes Catollicos, 20 Julio 1511, Sevilla.

Archivo General Simacas, P.R Legajo no. 8.

Archivo Municipal de Malaga, Documentos de los Reyes Catolicos, 21 Junio 1509. Valladolid.

Archivo Municipal de Malaga, Documetnos , de los Reyes Catolicos, 25 Junio 1512. Brgos.

Archivo Municipal de Malaga, Documento, do los Reyes Catolicos, 23 octubre 1514

Albert, mas **(1967), Les Tures dans L2 litterature espagnole siecle d,** Or, paris.

Aznar ,Cardona (1612), **Expulsion Justifi cada de los moriscos espanoles Imprenta de pedro cabaret,** Zaragoza.

Bermudez de pedraza, Antiguedad Y excelencias de granada.

C. Bernalde de Quiros et L ARDICA ," ELBandolerismo. Andalus" in les Bandits morisques en andalouise .

B. Bennasser (1975) , **L home espagnol,** attitude, et mentalites du XVI au XIX, siecle, paris.

BORONAT Y BARRACHINA (pascual) (1901), **los Moriscos espanoles Y su expulsion,** Valencia, Imprenta de Francisco Vives Y Mora 2 vol.

BORONAT Y BARRACHINA (pascual) (1904) **EL beato Juan de Ribera Y el colegio de Corpus Cristis Balencia,** Imprenta de Francisco Vives Y Mora.

Braudel(F)(1949,1966,1976),**La mediterranee et lemonde mediterraneen** al ' époque de phelippe II paris.

Braudel (f) (1947) **Conflits et refus de civilization,** Espagnols et morisques au XVI siecle in Annales ESC.

Callego Burin, **los moriscos del reino de Granada.**

Catena, Francisco Oriol(1935), **La repoblacion del reino de Granada despue del la Expulsion de los moriscos Boletin de la Veversidad de Granada Ano IV de Granada Ano IV**

Carlos Mendoza Glorias Espanolas Tomo, III Barcelona sin Fecha Capitulo

Caro Baroja(Julio) (1957), **Los Moriscos del Reino de Granada,** Ensayo de historria social, Madrid,2.ed. ,Madrid,Istomo,1976.

Circourt, count Albert de, **Historie des Maures et Morisques** , ou des Arabes d'Espagne sous la domination des chretiens, paris

, G. A . Denter, 1854-1848,3vol.

Driault, Edourd (1921), **La question d'orient depuis ses origins Jusqu'a la paix de serres** (1920), edition, paris

Dziubins Ki (A..) (1972)' **L'armee et la flotte de guerre Marocaines** " in Hesperiss- tamuda, vol. XIII- Fascicule uique.

Elliott, J, H (1969), **Imperial spain**, London.

Le flem,**Jean paul(1967) Les morisques du Nord** – Ouest de I ' Espangne en 1594,d,après un recensement de l,Inqusion de Valladolid)) Mélanges de la casa de Velazques .

Fournel –Guerin (J)(1980), **Morisques aragonais et l'inquisition de Saragosse (1540-1620)**, these indeite Montpellier III.

Gallego Burin(1968),Antonio,**Y Gamir Sandoval Alfonso**, Los Moriscos del reino de Granada segun el sinodo de Cuadix 1554, edicion proeparada por Dario Cabanelas, Granada.

Garrad , (K) (1965). **La Inquisicion Y los Moriscos granadinos (1528-1580)** ,Bulletin Hispanique, LXVII

Garrad (K)(1954), **The original memorial of don Francisco Nunez Muley** ("AHante"11.90).

Garcia Arenal Mercedes(1975,1976), **Los cuentos de la inquisicion de Valencia en el siglo XUI anuario de historia moderna**"Y" Contemporanea 11 , 1H .

Garcia Arenal Mercedes (1974) **Los moriscos de CauencaY la inquisicion** Madrid .

Gracia Arenal (1978), **Inquisicion Y moriscos** . Los process del Tribunal de cuenca . Madrid .

Gomez Ranera . Alejandro(1875), **Compendio de La hisoria de Espana**, Desde su origin hasta el fin del Reinado de Dona Isabel II Y A no De 1868, Novena Edicion, Madrid.

Grammont (1887), **Histoire d'Ager sous La domination Turque** (1515-1830)

Guy Turbel–Delof(1973),**LaFrique Barbaresque** dans La literature francais aux xvle et xviie Siecles, Geneve.

Haedo ,Topografia.

Hitos , Francisco(1935), **Martires de la Alpujara en La rebellion** de los moriscos.

Hurtado de Mendoza(D)(1970),**Guerra de Granada** , Edicion, introduccion Y notas de Bernardo Blanco Gonzalez. madrid

Janer,Florencio condicion, **Social de los Moriscos de wspana**,Madrid (1857)

Jean perez, (1973), L espangne du . XVI siecle, paris .

Karmen , Henry(1966), **L Hiestoire del**, Inquisition espagnole ,paris.

Lane poole , s(1888) , **The moors in spain** , The edition , London.

Lapeyre (H.)(1959), **Geographie del L' Espagne morisque**, paris.

Lapeyre (H) (1957) , **les monarchies europeennes du xvie sicle** ,paris.

Lea, henry charles (1966) , **Ahistoryof the jnquisition of spain 20 edition**,newyork Americam scholar publication.

llorente Don, Antonio, **Historia Critca de La inquisicion de Espana lea**: the moriscos .

Lucien, Febre (1947), **Le probleme de Iincoroyance au XVI siecle**, paris.

Lynch (1965), **Spain under the Hasburge** , oxford.

Luis Del Marmol Carvajal (1946) **Historia de la Rebelion Y Castigo de los** Moriscion del Rein do Granada, Biblioteca de Autores Espanoles , T, XXL.

Marcelino Menendez y pelayo,**Historia de Espana**, Madrids ,1941, p. 149.

Mas, Albert (1967), **Les Tures dans L2 liherature espagnole siecle d'or**, t.1.,paris.

Mathorez (1919), **Les etvaugers en France sous l'ancien Re'gime**, paris, E Champion.

Maxwell, sir w , stirling , **Don juan of Austria**.

Miguel LAFVENTE ALCANTARA , **Historia de Granada** , Tomo I . B Granada 1846 . Capt XIX.

V.S parry, " **Bayazid II** , in Encyclopediw de Islam (E.I.).

pedro Longas (1915), **Bida Religiosa de los Moriscos**, Madrid .

Perez de Hita (1915) , **Guerras Civilesde Granada** , segunda parte , Reprooduccion de la edicion de Cuenca de 1619, Madrid

Plaidy, j (1978), **The Spanish Inquistion**, London.

Prescott,William Hickling(1859),**History of the Reign of Philip the second** ,. Boston.

Ranon Menedez pedal"**Formacion del Fundamental pensamientu politico de Carlos v' in Chales Quint et son temps.**

Recopilacion de las leyes destos reynos alca la de henares 1.592 libr 1. Titulo 1. ley.

Regla Joan(1953)"**La expulsion de los Moriscos Y sus consecuencial,** contribucion a su estudio n , Hispaina

Salvador Madriaga (1930), **spain** , Londres.

A. sicroff (1960),**Les controveres des statuts de** " purete de sang" en Espagne de XVe au XVIIe, Didier.

Suite de la torisieme partie de Memoires royals. d,tat de Henryie Granada Re Rome et paris.

torrente perez (1975), **Documentos para historea de Sanclemente**, Madrid.

Ch.,De la Veronne (1973),<< **Relatiom entar le Maroc et la Turquie dans la seconde moitie du XVIIe siecle et le debut du XVIIe siecle (1554 -**

1616), in, Revue de JOccident Musulman et de la Mediterranee (R.O.M.M) n (15 – 16) .Aix.

B.Vincent (1974), **"les bandits morisques en Andaiousie au XVI** , siecle, "in Revue d 'Histom'e modrene et contem poraine.

Urgoti (M.S) (1969), **El problema morisxos en Aragon al comienazo del reinado de Felpe II** (Estudio Y Apendices documentales) . estudio de hispanofilla II, Madrid.



الملك فيليب الثاني 1527-1598م

صورة رقم(1) عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



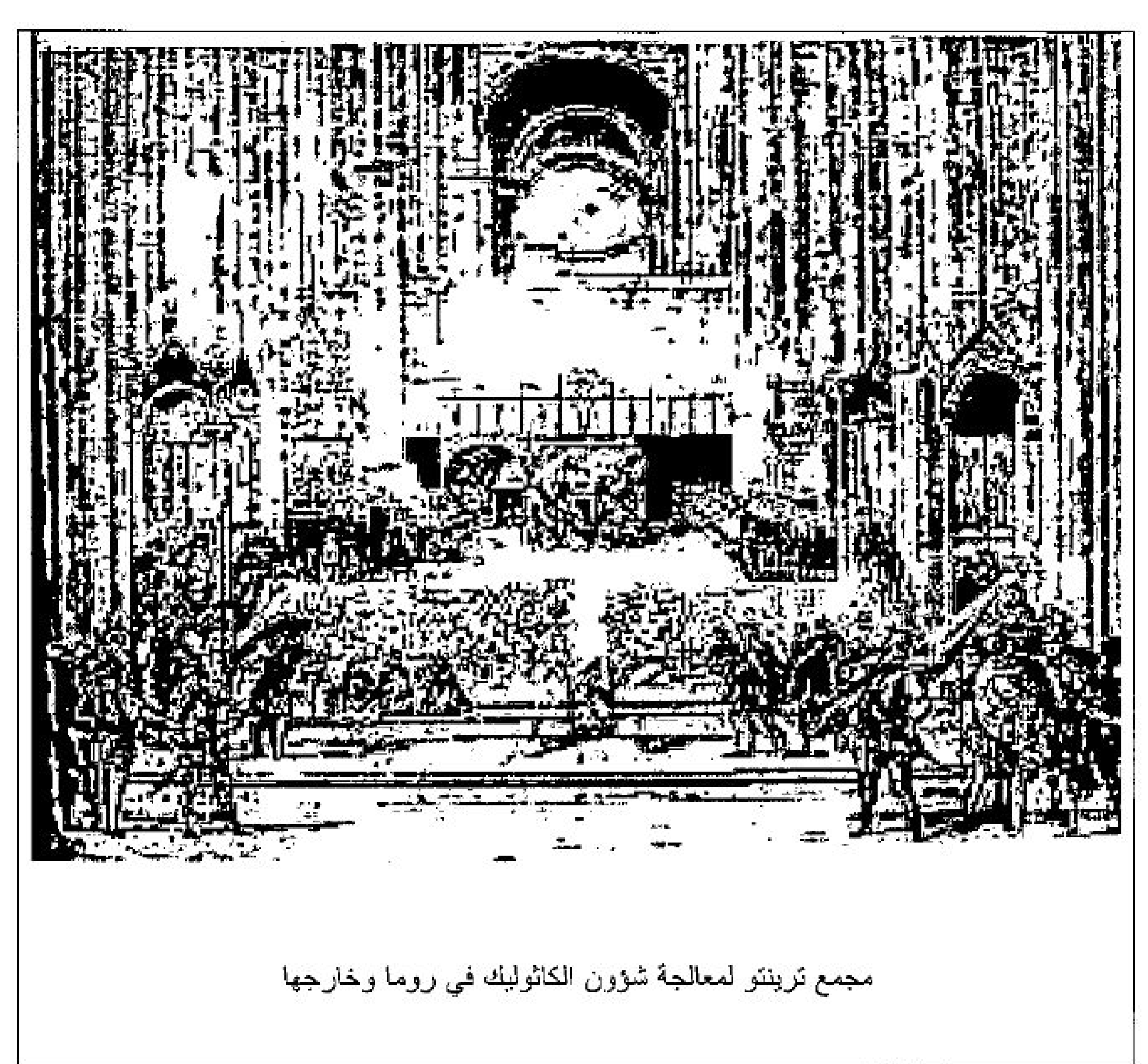
منظر لمدينة غرناطة عام 1563م

صورة رقم(2)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



البشرات عرين الثورة الموريسكية

صورة رقم(3)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



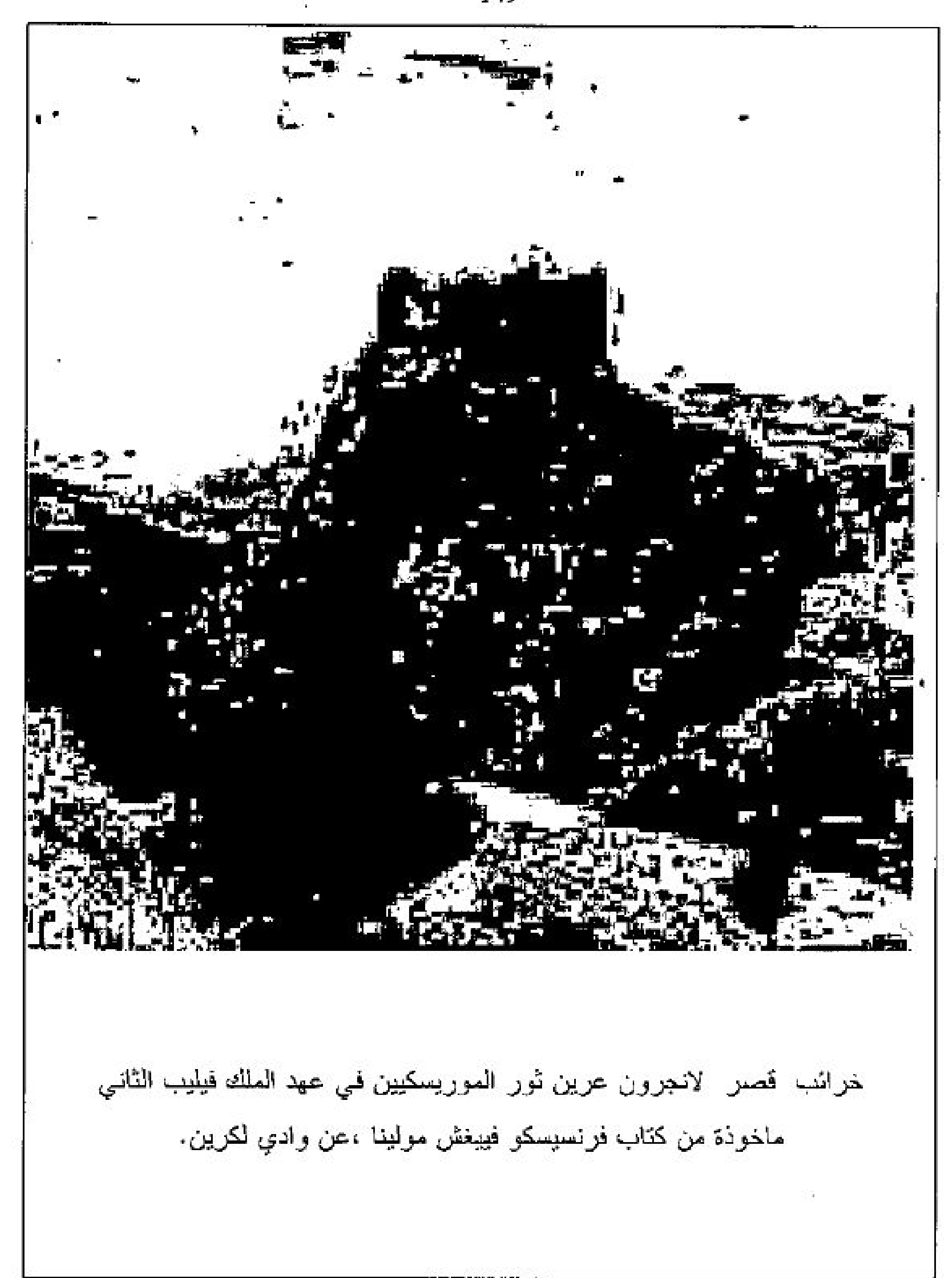
مجمع ترينتو لمعالجة شؤون الكاثوليك في روما وخارجها

صورة رقم(4)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



قرية برذنار (وادي لكرين)(Beznar) التي انتخب فيها محمد بن أمية ملكا على البشرات

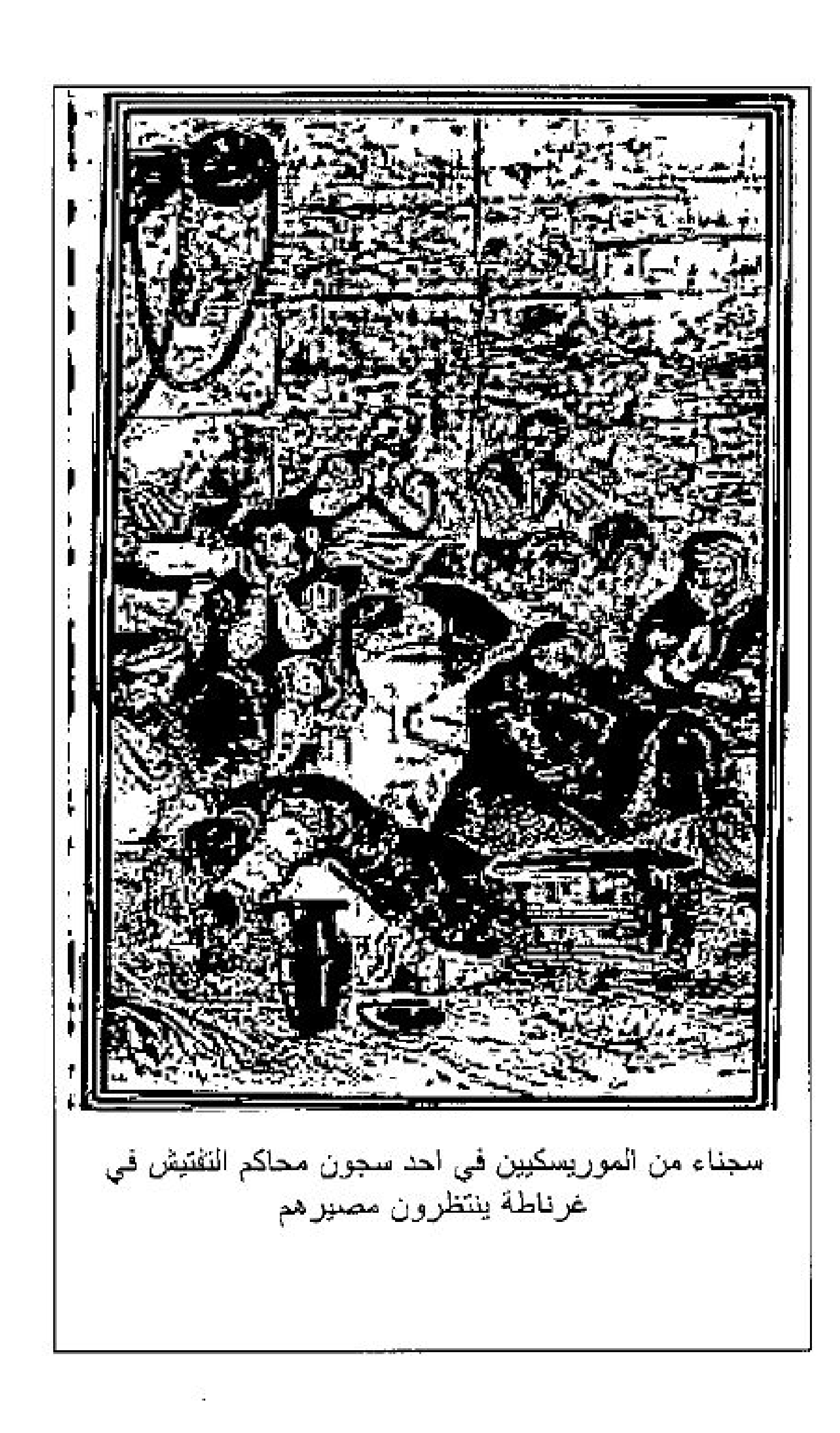
صورة رقم(5)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



خرائب قصر لانجرون عرين ثور الموريسكيين في عهد الملك فيليب الثاني

ماخوذة من كتاب فرنسيسكو فييغش مولينا ،عن وادي لكرين.

صورة رقم(6)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



سجناء من الموريسكيين في احد سجون محاكم التفتيش في غرناطة ينتظرون مصيرهم

صورة رقم(7)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



ضون خوان النمساوي "اخو الملك
فيليب الثاني غير الشرعي" وممثله الشخصي في حرب البشرات

صورة رقم(8)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.

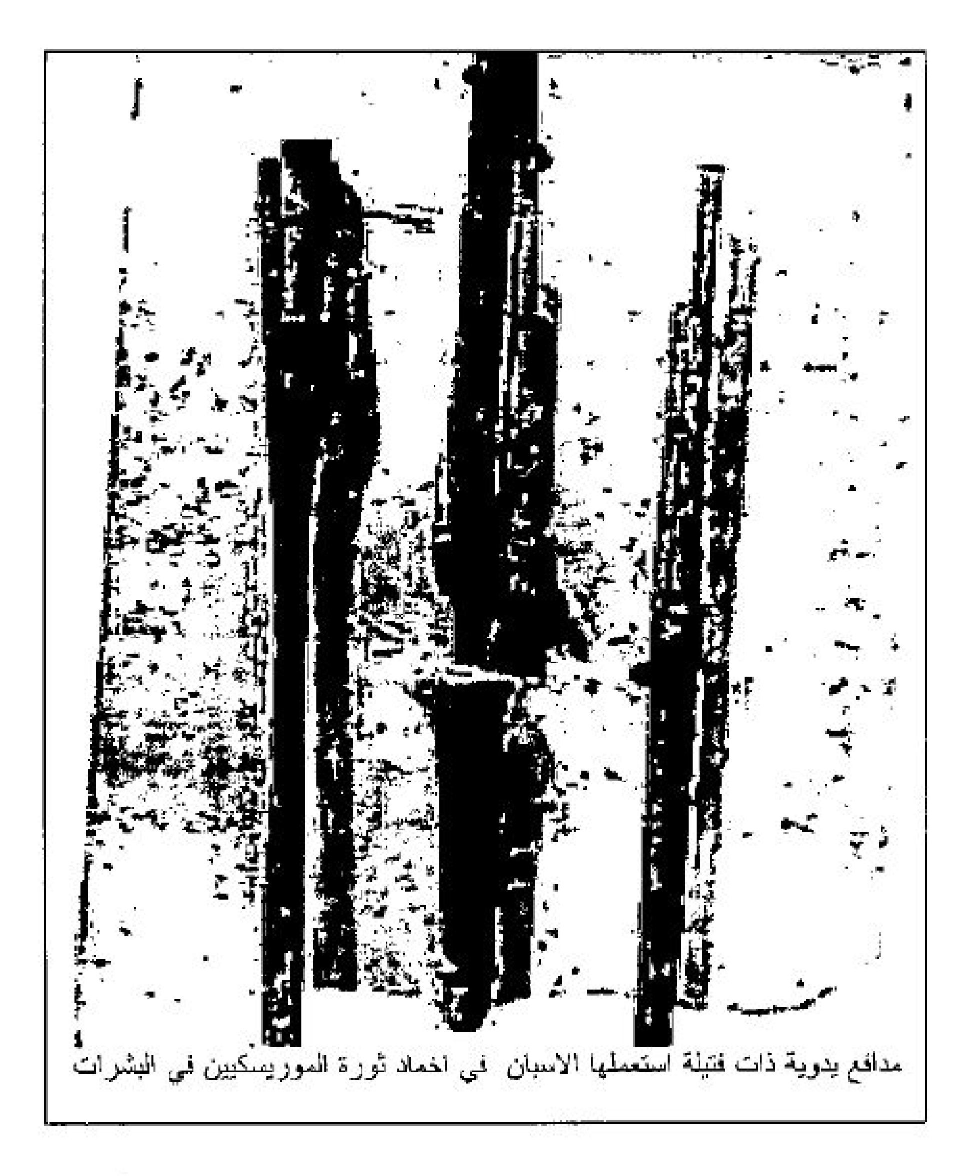

تجمعات الموريسكيين في منطقة البشرات الجبلية التي كانت معقلا لثورتهم ضد الاسبان
(مأخوذة من كتاب فرنسيسكو فيبغش موليىا عن وادي لكرين).

صورة رقم(9)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



ضون لويس ريكسنس كبير اعيان ورئيس الرهبانيات العسكرية في ليون.

صورة رقم(10)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



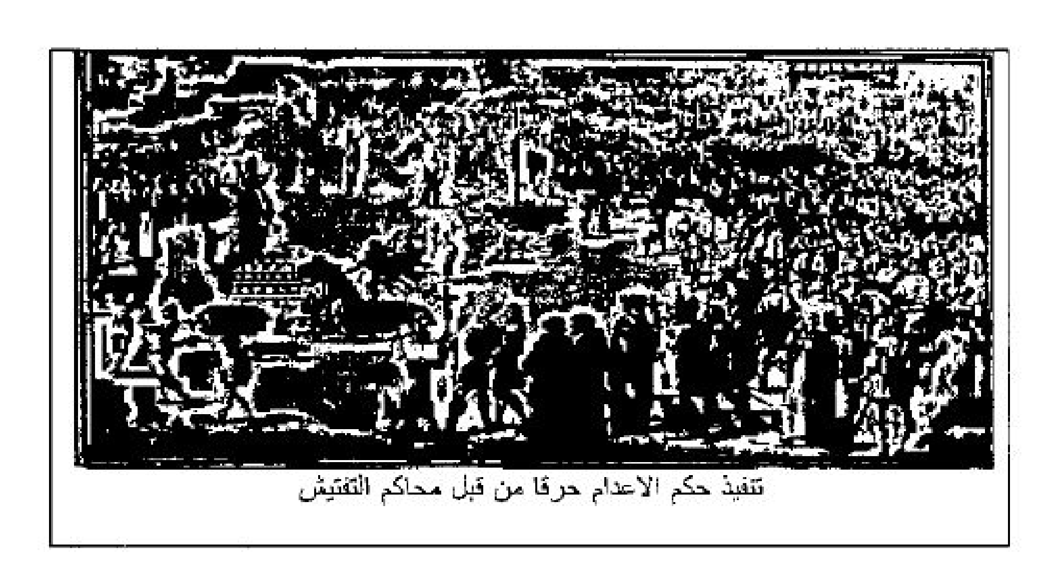
مدافع يدوية ذات فتيلة استعملها الاسبان في اخماد ثورة الموريسكيين في البشرات

صورة رقم(11)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.

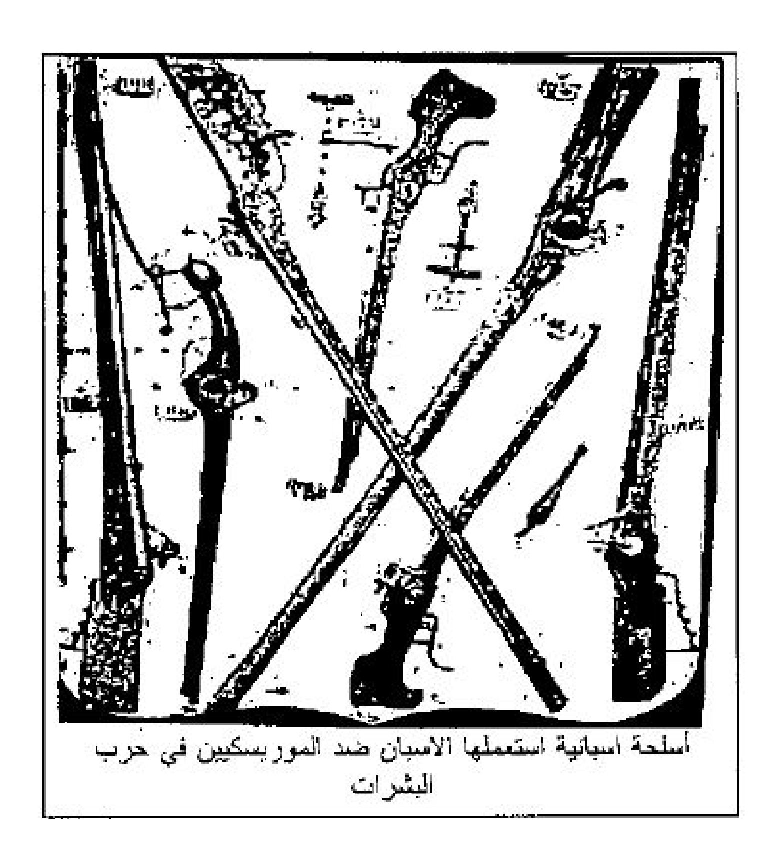


انتصار محمد بن امية في احدى
معارك الموريسكيين مع الاسبان

صورة رقم(12)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.

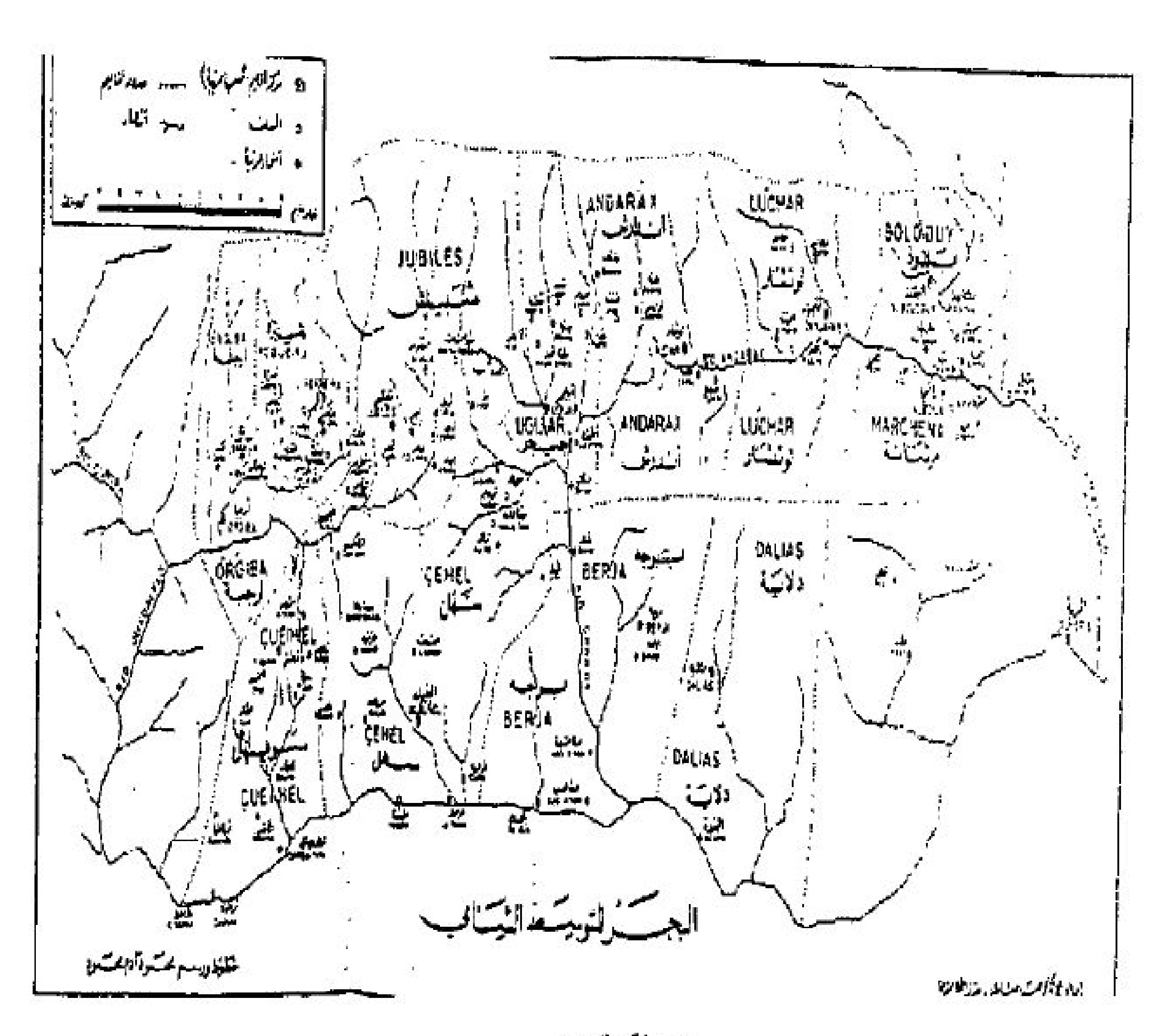

تنفيذ حكم الاعدام حرقا من قبل محاكم التفتيش

صورة رقم(13)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.



أسلحة اسبانية استعملها الاسبان ضد الموريسكيين في حرب البشرات

صورة رقم (14)عن: محمد عبده حتاملة،التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني1527-1598.

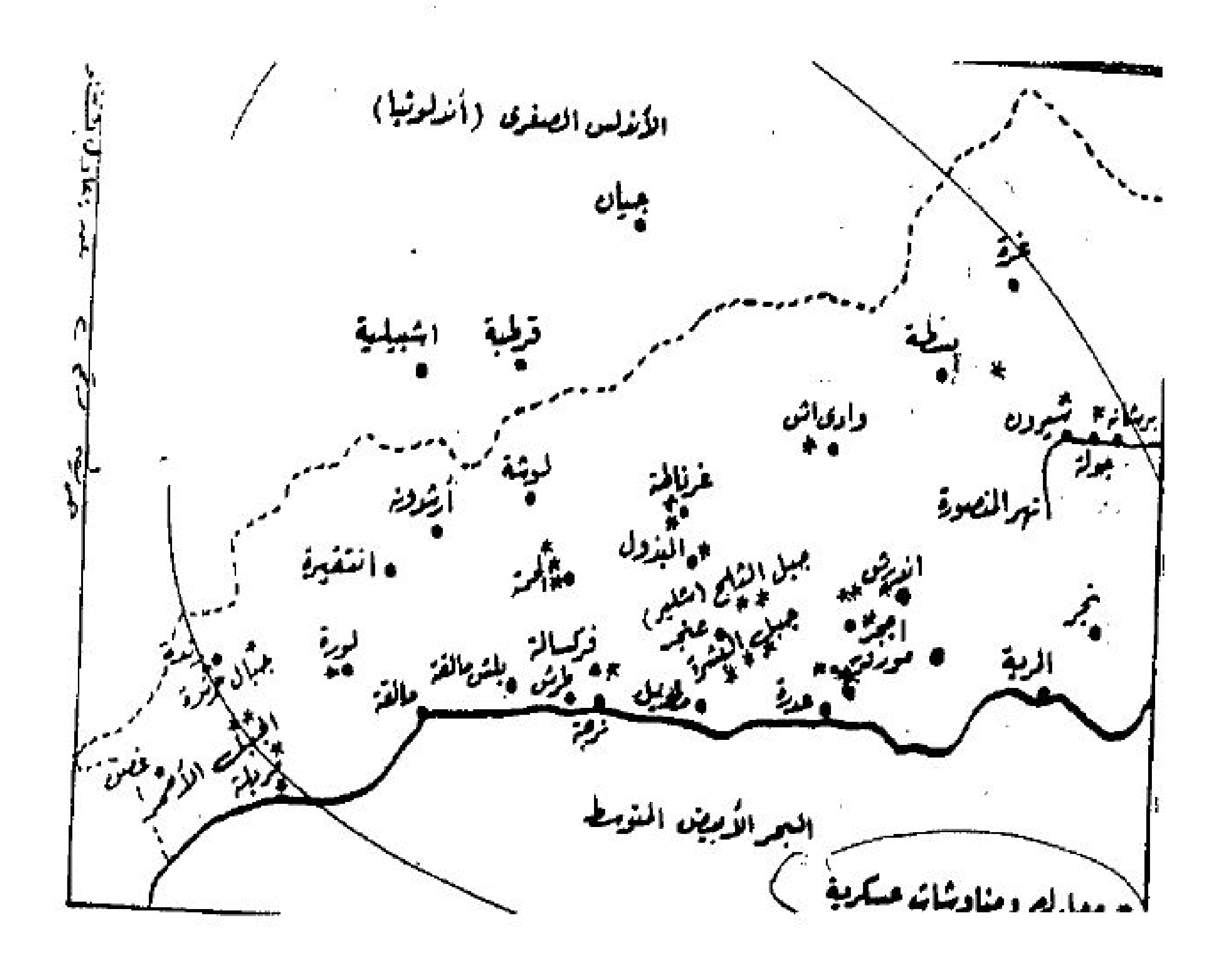


خريطة رقم(3)

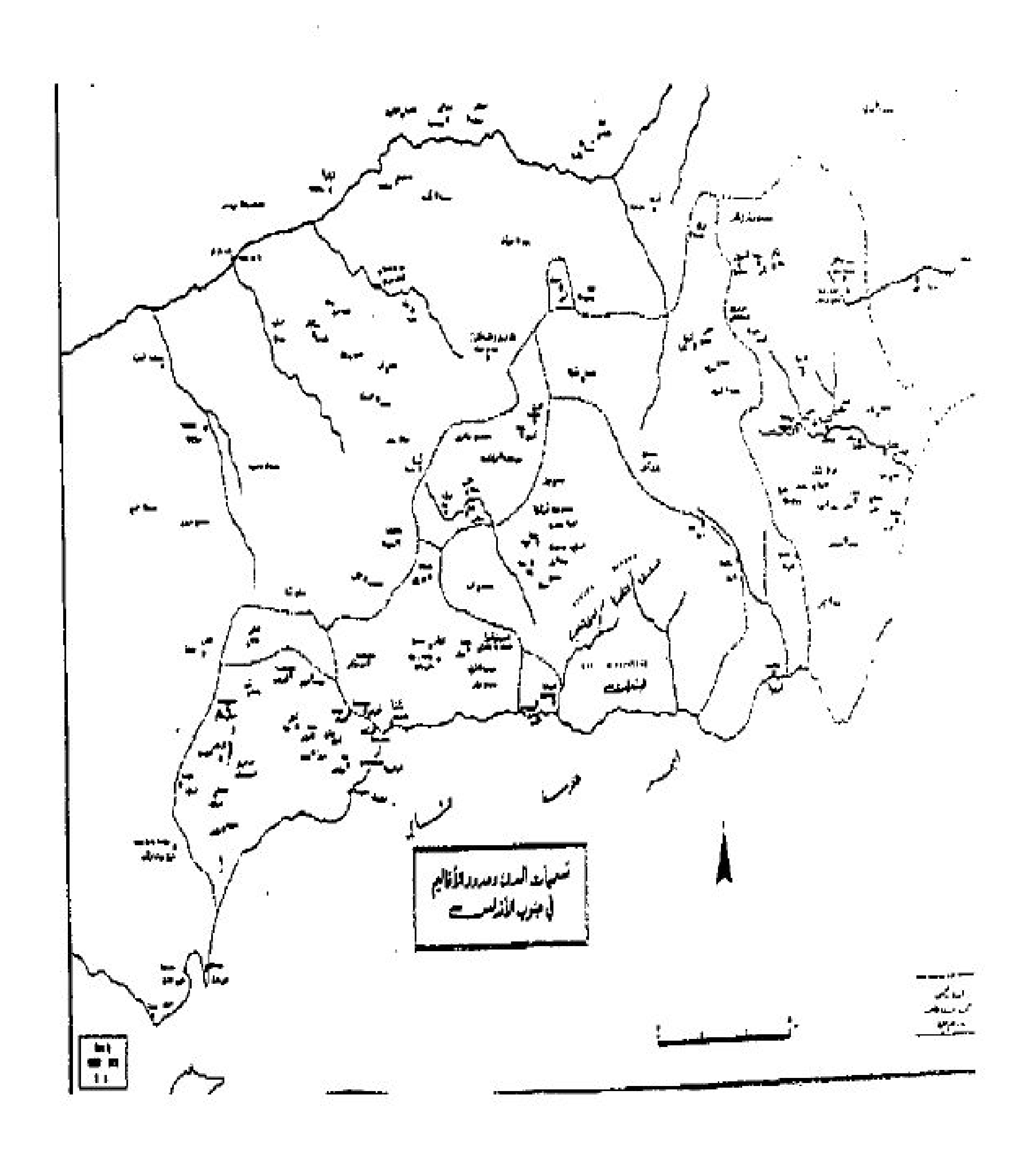
الحصون و الأقاليم في منطقة البشرات

عن: محمد عبده حتامله، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني**

(1598-1527)



خريطة رقم (2)
مواقع المعارك الثورة الموريسكية الكبرى
عن : عادل بشتاوي الأندلسيين المواركة



خريطة رقم(1)

المدن والأقاليم جنوب الأندلس

عن: محمد عبده حتامله، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني

(1598-1527)

THE REBELLION OF MORISCS(1568) THE REASONS AND RESULTS

BY

Mohammed M . Shilbayeh

Supervisor

Dr. Mohammed abdo hatamleh

ABSTRACT

This research discusses the Great Morisc Revolution 1528AD.It explains the causes of Morisc Revolution and its results ,on the other hand it shows the thoughts which formed as a result of reading the studies about Morisc history .According to Many of new points which came from the Othman documents and the archives of inspection Courts and the Spanish historical annuals. Through these new points, the historians studied the economic, social, cultural, religious and political conditions in Spain and its effects on Morisc revolution.

This study offers the analysis of the position contemporary religious and political forces in Othman state and North Africa Sea strugglers, and French Protestants on the Morics Revolution.

This study is an attempt to clarify the position of Othman State on Morics issue depending on the study of Othman documents .Finally the study could determinate and an laze the causes of the revolution .It focuses on annualizing the religious causes and its essential role in the Great Morics Revolution 1568AD.

This study recommends for more study about the morics from another angle and comprehensive vision of Islamic Arab History with full sense of duty and scientific responsibility in studying such essential issues and their belief that they have to give more interest in Andalus Morisc history.